الهجمة على المسلمين

المرأة في عين العاصفة

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١٢/9/3619)

272.27

السيد، محمد حمدان
الهجمة على المسلمين المرأة في عين العاصفة/محمد حمدان السيد ._ عمان: دار المأمون للنشر والتوزيع، ٢٠١٢.
(200) ص

ر.أ.: (3619/9/ ٢٠١٢).

الواصفات:/المرأة المسلمة//حقوق المرأة

❖ **يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.**

ISBN ٩٧٨ – ٩٩٥٧ – ٧٧ -١٤٤ – ٧ (ردمك)



الهجمة على المسلمين

المرأة في عين العاصفة

محمد السيد



دار المأمون للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى الأم، إلى الأخت، إلى الا بنة، إلى الزوجة، إلى كل امرأة، أقول امرأة وحسب .. مسلمة كانت أو غير مسلمة ..

أهدي كلماتي هذه .. في كتابي هذا

كي تكون حافز نظرٍ ومراجعة من نساء اليوم لما استقر في روعهن.. يتفكرنّ فيه، ويتدبرنّه، ويعتبرن بما آل إليه حال الأنثى، بعد أن غرّتها كلمات الخبثاء، الذين أطلقوا في أجواء الناس صيحة إبليس، الذي لم يعجبه أن يكون مطروداً وحده من رحمة الله .. بل آلى على نفسه إلا أن يكون له شركاء، فأرسل في الناس جنده بالأمس واليوم والغد، ليزيّنوا لهم خروجاً شبيهاً بخروجه وعصيانه لأمر الله؛ كِبْراً وأشراً فكان من المدحضين الذين أخزاهم الله في الأولى والآخرة. وإنني لأقول لكل أنثى .. حرصاً .. حرصاً على كونك أنثى، شقيقة الرجل، ومكملته، ومعاونته، وشريكته في بناء هذا العالم، فوق أساسات التكامل والعدل، لا على أساسات أوحت بها الشياطين؛ إذ قالت بالمساواة المطلقة، "والتحرر" الذاهب بالعقول وتوازن الأمور.. وكوني كما كانت خديجة بنت خويلد رضي الله عنها لزوجها الرسول محمد ﷺ.. يوم رجع من غار حراء مرتجفاً ..: "أَبْشِر ابن عم واثْبُت، فوالذي نفسُ خديجة بيده إنك لنبي هذه الأمة .. واللهِ لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمي الكَلَّ، وتقري الضيّف، وتعين على نوائب الدهر" هكذا ... فأنتِ الثبات، وأنت المُبَشّرة، وأنتِ الشقيقة، وأنتِ الشريكة، وأنتِ السَّكن، وأنتِ الحبيبة الْقريبة الشجاعة، المعينة على نوائب الدهر ومهمات الحياة .. فهل وفَّيْتِ وكفيتِ..؟

تقديم

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستهديه، ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.. نبي الهدى المبعوث رحمة للعالمين، صفوة خلقه، وقدوة الشادين الراحلين إلى الله، وعصمة السائرين في عتمة العصور، ودياجير الظلام وبعد:

هذه كلمات ألقيها فوق هذه الصحائف، أبتغي من ورائها الإعذار إلى الله، ومن ثم محاولة متواضعة للمشاركة في بيان الحق الذي نزل به من عند الله أمين السماء إلى أمين الأرض، ليبين للناس خطوط السير في مفازات هذه الحياة.. تلك الخطوط التي كانت وما زالت وستظل هادية الناس إلى ملاذات الحياة الآمنة، وإلى المآلات الفائزة الناجية، ولتحطّ بنا رحالنا فوق أرض خصبة ممرعة .. فيها يقتدى بتلك الخطوط ويُتمسك بها حذو القذة بالقذة. إن الله يحب للإنسان الذي خلقه "من ذكر وأنثى" أن يتبوأ في هذه الحياة مكاناً ومكانةً، يكون بهما مرضياً آمناً مستقيماً عاملاً لنفسه ولأمته وشعبه ولكلّ النّاس، بما هو جالب للجميع الخير والحياة المطمئنة السالكة سكك السلامة والسلام والأمن والإيمان .. فلا يجنح متكبراً على أمر الله، فيكون كإبليس المتكبر مطروداً منبوذاً، ليس له سعي إلا سعي الوسوسة والإفساد والكِبْر .. مخالفاً بذلك أمر الله الذي جاء على لسان لقمان: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾[1] و: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ

(1) لقمان (١٣).

﴿مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾[1]، و: ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ﴾[2]، و: ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾[3]، نعم .. إنها توجيهات ربانية تحتدم من أجل إثباتها ميدانياً معركةٌ بين الحق الذي يحمله ويدعو إليه رجال اهتدوا بما هدى به الله: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ﴾[4]، وبين الباطل الذي يزين مفترياته هذه الأيام رجالٌ ونساءٌ من جنود إبليس، يبتعثهم مُلَمّعين بتلميعات يقولون عنها إنها "عصرية" وما هي بعصرية، فقد سبقهم إلى مقولاتها بشأن المرأة وعلاقتها بالرجل والأسرة والمجتمع سابقون أولون في مجتمعات غابرة آفلة، بادت بسبب مقولاتهم تلك أممٌ ودولٌ، غابت عن الحضور في عالم اليوم ...

وكان خطر تلك المعركة المحتدمة شديدة الأوار أنها دخلت على الناس كل مدخل؛ من الشارع، من المدرسة، من البيت، من الصحيفة، من التلفاز، من الشبكة العنكبوتية، من الطائرة، من البحر. وبذلك أحاطت أفكار المبطلين بالناس من كل جانب، مستخدمين في معركتهم اليوم كل زينة من القول، وكل بهرجة للمفتريات، متكئين على جمود وخمول في عقول وفكر الجمع المقابل لهم، ومتوكئين على عكازات وقامات من خشب مدخول، ينخر فيه سوس الأنانية والجهل والكِبْر ...

ولكن الله سبحانه- تعهد بحفظ هديه القرآني بألفاظه ومعانيه وأهدافه ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[5]، فلم يترك الساحة لهؤلاء المبطلين،

---

(1) لقمان (١٧).
(2) لقمان (١٨).
(3) لقمان (١٩).
(4) الحج (٢٤).
(5) الحج (٩).

يسـرحون ويمرحـون، يفسـدون ويفسـدون، بـل إنـه جلـت قدرتـه سـخر فـي مواجهتهم من يُسَفِّهُ أحلامهم، ويحزن آمالهم، ويرد كيدهم مذموماً مدحوراً .. (وبالذات في باب المرأة، ذلك الباب الذي أرادله المريدون لفكر وممارسات الغرب أن يكون مُشرعاً على مصراعيه، كي تدخل منه كل الرياح الصفراء المميتة لكل خَيْرٍ في أمتنا)..

وكانت الصحوة في الأمة، حيث بدأت تستيقظ من سبات، ابتعث فيها الغفلة والانحياز إلى صف مباذل الدنيا، وليس معاليها .. وإن كلمات هذا الكتاب، لتصطف متواضعة إلى جانب كلمات جمّة من أفذاذ الأمة وروادها المهتدين بطيّب القول وصالحه وأمنه وأمانه. فإن قلت في كلماتي هذه حقاً .. فهو بتوفيق من الله، وإن كان فيه غير ذلك فهو من نفسي ومن الشيطان .. راجياً من الله العلي القدير أن يكتب لي فيما سطرت الأجرين، داعياً لكل إخواني المبينين للحق في علاقة المرأة بالرجل والأسرة والمجتمع بالخير العميم والأجر الكريم، وصلى الله على سيدنا وحبيبنا وقدوتنا وقائدنا .. وشفيعنا، محمد بن عبد الله وسلم تسليماً كثيراً .. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه محمد السيد/ نيسان/ إبريل ٢٠١٢ الموافق لـ: جمادي الأولى ١٤٣٣هـ

الفصل الأول

تأصيل أوضاع المرأة

الفصل الأول

تأصيل أوضاع المرأة

البند الأول: تمهيد

تقول الحقيقة إن المرأة مظلومة عندنا وعند العالم الآخر، أما بشأننا نحن العرب والمسلمين: فقد ظلمت المرأة عندنا تحت وطأة الأعراف والتقاليد والعادات، التي تجاوزت دين الأمة، وأخضعت التعامل مع المرأة لتواضعات أخذت مكوناتها من الثقافة الجاهلية، ثم من ثقافات قديمة للشعوب التي دخلت في الإسلام بعد الفتوحات الإسلامية الكبرى. وكان من أهم وأشدّ تلك الثقافات أن انطلق التعامل مع المرأة على أنها مخلوق دوني لا يساوي الرجل، بل هو تابع ذليل للرجل، وكائن لا يستحق الوجود إلا بكونه ذلك المخلوق القائم على خدمة وتأدية أتاوات رضى الذكور .. وقد حدث كل ذلك الانحراف في التعامل بعد أن أخذ الزمن مداه، فتطاول الناس في بلادنا على ما فتح الله ورسوله عليهم بما هو ردٌّ جميل لاعتبار المرأة وحفظ كرامتها ومكانتها وحقوقها وواجباتها. ولم يقتصر الناس في ذلك على العودة لثقافة الجاهلية بشأن المرأة، بل إنهم أضافوا إلى تلك الثقافة المتخلفة المنحرفة ثقافة أمم دخلت في الإسلام، وكانت من قبل وثنية أو غير وثنية، ولم تستغن عن بعض المفاهيم والثقافة التي تعتبر المرأة مخلوقاً ثانياً منقوص المكانة والحقوق. ومنذ ذلك الانحراف عن خطط الإسلام في التعامل السوي مع المرأة باعتبارها مخلوقاً مساوياً للرجل في أصل الخلقة ومتكاملاً معه في الحقوق والواجبات والمهمات، وذلك لتقوم الحياة وتربو بثقافة عالية غالية متوازنة، تعطي للإنسان ذكراً كان أم أنثى مكانته ومكانه وحقوقه ومهمته، حسبما خُلق له، فلا تكون بذلك ندية بين

الجنسين، ولا يكون احتقار لجنس من الجنس الآخر، بل هو تعاون على البر والتقوى وإدارة الحياة على الأرض، لتكون الأرض والحياة عليها ملاذاً آمناً للإنسان، أياً كان جنسه وأياً كانت مهمته، فلا فروق، ولا اعتداء على خصوصيات كل جنس، ولا مداخلات فظة على حقوق جنس الأنثى أو جنس الذكر، ولا خلط في المفاهيم، ولا في المصطلحات، ليدخل الخالطون بذلك إلى أبعاد الفصام النكد بين الجنسين .. ذلك الفصام الذي أورثناه من ثقافات ذات عوج في هذا الشأن.

وأما بشأن العالم الآخر (الغرب ومن لفّ لفه): فإن المرأة ظُلمت بشدّة، ولكن بأسباب أخرى، وإن كان أصل التعامل واحد (عندنا وعندهم) وهو اعتبار المرأة مخلوقاً دونياً غير مساوٍ للرجل .. ولقد كانت مظاهر ذلك الاعتبار الدوني للمرأة عند الآخر مختلفة عن مظاهره عندنا. إذ كان أبرز تلك المظاهر عندنا. ما تمثل في الاعتداء على حرية المرأة وعلى خصوصيتها واستقلال أدائها وملكيتها ومصير مساواتها في العمل والجزاء. وكان أبرز تلك المظاهر عندهم بعد اعتبار الدونية، ذلك الاعتداء الفاجر على جوهرها وأهم بند في شخصيتها، ألا وهو جعلها مادة ألعوبه بيد الرجل، وذلك من داخل شعورها بأنها حرّة مستقلة؛ فالرجل هناك يأكل فريسته (المرأة) وهو يدغدها ويضحكها ويشعرها بأنها حرّة كريمة، وإن كانت شخصيتها وخصوصيتها تتآكلان قطعة قطعة، وذلك على طريقة الضبع في أكل فريسته كما يدعي المدعون.

وبغض النظر عن مدى شراكة المرأة عندهم في الشأن العام والخاص، فإنها راحت تفقد جوهرها وخصوصيتها الذين فطرها الله عليهما شيئاً فشيئاً، وقد شعر كثير من النخب المفكرة المختصة في الغرب بخطورة ما ذهبت إليه

برامج أعدّها مهووسون غربيون من قبل، ليقودوا بها المرأة إلى ساحات غير مؤهلة بإمكاناتها وقدراتها على الخوض فيها، بحيث جعلوها همّاً لها وغاية تبتغيها، تاركة خلفها ما خُلقت له، ورُزقت الإمكانات الكافية لإدارته ورعايته وإيصاله إلى برِّ الأمان.

وفي تفاصيل بحوث الكتاب سوف نجد ما يؤيد قولنا الآنف الذكر، مدعماً بالشواهد العملية والإحصائية، وشواهد الرأي والفكر والتنظير. ولكننا في هذا التمهيد نشير إلى قولٍ صريح معبر عن حالة هذا الشأن، نقتبسه هنا، فهو كافٍ على ما أعتقد ليضعنا في ذلك المشهد غير السّوي لوضع المرأة عندهم، فإلى النص المقتطف من كلمات قالتها الأمريكية "باميلا ميشيل" خبيرة الأمم المتحدة بمنظمة "اليونيسيف" لمنطقة الشرق الأوسط: قالت (باميلا):

- طغت المادية على حياتنا الأسرية، وغلبت عليها الأنانية، مما جعلني أفتقد الدفء الأسري.
- تلقيت تعليمي في المدارس الأمريكية التي لا تهتم بالدين، في حين تعلم الأطفال الجنس، وكيف يستقلون عن أسرهم بمجرد وصولهم سِنّ المراهقة.
- افتقدت حنان أبي وأمي رغم أنني ابنتهم الوحيدة، فقد انشغل كل منهما بشؤونه، وتركاني وحدي مع الخادمة.
- بسبب المادية والأنانية أصبح أكثر من ٩٠% من أطفال الولايات المتحدة خاصة والغرب عامة محرومين من الرعاية الأسرية الكاملة، مما بعث في نفوسهم شعوراً بالقلق وعدم الاستقرار النفسي.

- بعيداً عن الجو الأسري المستقر ٨٠% من أطفال الولايات المتحدة تحتضنهم الحضانات والملاجئ، وذلك لانشغال الوالدين بشؤونهما الأنانية أو لانفصالهما.

- مارستُ حياتي اللاهية مثل أيِّ فتاة هناك، تبحث عن "بوي فريند"، لقضاء حاجاتي البيولوجية خارج الأسرة، ذلك النظام الذي يفتقد كل إنسانية، فهي علاقة حيوانية.

- في بداية التسعينات تعرفت على مهندس مصري مسلم، يعيش في أمريكا، ساعدني ووقف إلى جانبي، وقدم لي المشورة الصادقة في شؤون أسرتي، بعد أن تركني زوجي الأمريكي وأولادي الثلاثة، ليلتحق بفتاة صغيرة، وحين سألت المهندس المصري عن سبب تقديم العون لي .. قال: هذا ما يأمرني به ديني: أن أحبّ الناس، وأتعاون معهم، فسألته عن دينه، فقال: "الإسلام" فقلت له: أرجوك عرّفني على هذا الدين، فأهداني مجموعة من الكتب الإسلامية المبسطة، منها: ترجمة معاني القرآن، وأحاديث نبوية، وسيرة، وتاريخ إسلامي، واكتشفت من ذلك كنوزاً كنت أجهلها تماماً، إلى أن أصبحت على يقين بأن الإسلام هو الدين الحق، وقلت للمهندس المصري: أرغب بالدخول في الإسلام.

بعد إسلامي عرضت على المهندس الزواج فوافق وتزوجنا، وعشنا حياة سعيدة أسرية كاملة"[1] انتهى كلام "باميلا".

وإنها لشهادة فكرية وعملية من غربية خبيرة، تبين: أن الشذوذ في

[1] من مجلة النور الكويتية العدد ٢٦٤ ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ (نيسان) إبريل ٢٠٠٧.

تعامل الرجل والمرأة بعيداً عما خلق كل منهما له (ذلك التعامل المتمثل بالمساواة، والتكامل، والتعاون، والعيش في حياة أسرية، يعرف كل فرد فيها مهمته وعمله وحدوده). هو السبب المباشر والأكيد في هذا الانفلات والفوضى والاعتداء على حق المرأة وحق الرجل أيضاً .. فهل إلى مردٍّ إلى الحق من سبيل..؟ نرجو ذلك

والآن لنتابع استعراض بنود المبحث الأول المتعلقة بالنصوص الخاصة بموضوع المرأة والأسرة وعلاقة الرجل بالمرأة.

البند الثاني: تأصيل من الكتاب الكريم

أ- قال تعالى:

﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾[1].

هذه آية بليغة، -وكل آيات الله بليغة- ناطقة بوضوح بشأن النساء والرجال والعلاقة بينهما، تلك العلاقة التي تلوكها ألسنةٌ غير فقيهة، بل هي مقلدة ببغاوية غير متزنة. وكذلك فإن الآية محكمة. بكل ما جاء بشأن العلاقة بين المرأة والرجل؛ فهي واضحة أشد الوضوح في بيان وتقرير:

١- أن الله هو العليم بمن خلق، وأنه العليم بما يصلح ويُسدّد العلاقة بين الرجل والمرأة، وأن علم ذلك ليس موجوداً في تخرصات بشرية لا جزم في صلاحها، بل إن ما يشهده العالم من انحدار أخلاقي واجتماعي

([1]) النساء (٣٢).

وأسري بشأن هذه العلاقة وبشأن أداء الأفكار التي تنشئها سببه تلك التخرصات التي ليست إلا نتيجة للممارسة الحياتية في ظل تلك التخرصات الخائبة..

٢- وأن الآية الكريمة تقضي بأن يفهم الناس جميعاً أن للرجل مميزات وقدرات ليس عند المرأة مثلها، وأن للمرأة ميزات وقدرات ليس عند الرجل مثلها ..

٣- كما تقرر الآية أن ربنا نهى الناس من الجنسين أن يقتحم الواحد منهما – بلا ضرورة - مساحات عمل ومهمة الآخر وميزاته وفضائله، لأن في ذلك الاقتحام مخالفة للفطرة، التي ركزها الله في أصل الخِلقة؛ فالتكليف الحق، أن يكون لكل منهما مهمة، وهما مهمتان لا تقوم الحياة سديدة متوازنة راشدة إلا بأن يقوم كل طرف بما يصلح له بعلم الله الخالق، وكل تعدٍّ على ذلك التكليف من أي طرف- بلا حاجة- يؤدي إلى ظلم للمجتمع وللأفراد، ويزحزح المسيرة الإنسانية عن سبيل الرشاد.

٤- كما نفهم من الآية: أن من واجب طرفي المعادلة (الرجل والمرأة) أن يسأل الله التوفيق في إتقان الفضل الذي فضله به على الآخر، وأن يلتزم به مفتخراً وراضياً ومخلصاً، وبذلك تستقر العلاقة بينهما على خير، وتدوم المودة، وتنأى عنها معاني الندية أولاً، ثم معاني الدونية؛ التي ينظر الرجل من زاويتها تلك النظرة السائدة إلى المرأة في كل العالم شرقه وغربه، ولا يدَّعينَّ أحدٌ لدينا أن الغرب متقدم عن الشرق في هذا الباب.. بل إن الغرب يفوق في سوئه سوء الشرق .. وتجيء الإحصاءات والتقارير لتؤيد ما قلناه وما سنقوله في فصول كتابنا هذا من شواهد على صدق ما نقول ..

وبعد آية سورة النساء، التي تعدّ حاسمة في بيان حدود العلاقة بين

الرجل والمرأة، نستعرض آيات كريمات في هذا الشأن.

ب - **قال تعالى:**

- ﴿ **فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٖ** ﴾[1].
- ﴿ **وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِي عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ** ﴾[2]
- ﴿ **ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ** ﴾[3].
- ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةٗ وَأَجْرًا عَظِيمٗا ﴾[4].
- ﴿ **وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجٗا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحْمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوْمٖ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾[5].
- ﴿ **يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلْبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلْنَ قَوْلٗا مَّعْرُوفٗا (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ**

---

(١) آل عمران (١٩٥).
(٢) البقرة (٢٢٨).
(٣) النساء (٣٤).
(٤) الأحزاب (٣٥).
(٥) الروم (٢١).

﴿ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾[1].

- ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[2].

- ﴿ ...وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ... ﴾[3].

- ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ... ﴾[4].

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[5].

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[6].

- ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾[7].

- ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ

(١) الأحزاب (٣٢، ٣٣، ٣٤).
(٢) النحل (٩٧).
(٣) البقرة (٢٨٢).
(٤) النساء (١١).
(٥) النساء (١).
(٦) النساء (١٩).
(٧) المجادلة (١).

بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾[1].

- ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾[2].
- ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾[3].
- ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[4].

حاولنا في السطور الآنفة استحضار الآيات الكريمة الأكثر ظهيراً وبياناً لأصول العلاقة بين الشقين الإنسانيين (الرجل والمرأة)، ونحن الآن بحاجة إلى شيء من التأمل في تلك النصوص، لنستنتج من ذلك التأمل موجزاً لمحاور قررتها النصوص القرآنية بشأن المرأة وعلاقتها بالرجل، وما فيها من إنصاف للمرأة وتحريرها من تعاملات وممارسات، سواء كانت تلك التعاملات والممارسات شرقية أم غربية فهي مبنية على عادات وتقاليد وأفكار قطعت جميعها مسافات شاسعة، بعيداً عن الهدي الرباني، الذي أنصف المرأة،

---

(1) التحريم (١١-١٢).
(2) الإسراء (٢٣-٢٤).
(3) لقمان (١٤).
(4) التوبة (٧١).

وأقام فكر العدل والتكامل بين المرأة والرجل...

والآن إلى بعض تلك المحاور المستنتجة من التأمل في تلك النصوص:

١- بداية أود اقتباس كلمات طيبة للشيخ "محمد الغزالي" رحمه الله، إذ يقول: "أكره البيوت الخالية من رباتها، إن ربة البيت روح ينفث الهناءة والمودة في جنباته، ويُعين على تكوين إنسان سوي طيب، وكل ما يشغل المرأة عن هذه الوظيفة يحتاج إلى دراسة ومراجعة. وإلى جانب هذه الحقيقة فإني أكره وأد البنت طفلة ووأدها وهي ناضجة المواهب، مرجوة الخير لأمتها وأهلها، فكيف نوفق بين الأمرين. لنتفق أولاً على أن احتقار الأنوثة جريمة، وكذلك دفعها إلى الطرق لإجابة الحيوان الرابض في دماء بعض الناس .. والدين الصحيح يأبى تقاليد أمم تحبس النساء، وتضيّق عليهن الخناق وتضنّ عليهن بشتى الحقوق والواجبات، كما يأبى تقاليد أمم أخرى جعلت الأعراض كلأً مباحاً، وأهملت شرائع الله كلها عندما تركت الغرائز الدنيا تتنفس كيف تشاء... يمكن أن تعمل المرأة داخل البيت وخارجه، بيد أن الضمانات مطلوبة لحفظ مستقبل الأسرة، ومطلوب أيضاً توفير جوٍ من التقى والعفاف، تؤدي فيه المرأة ما قد تكلف به من عمل ...﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (البقرة: ٢٢٩) [1].

٢- الرجل والمرأة هما الإنسان، المخلوق من نفس واحدة، فهما متساويان في أصل الخلقة: "يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس

([1]) من كتاب: (السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث) للشيخ محمد الغزالي صفحة ٤٤/ط٤ دار الشروق.

واحدة.."

٣- تقوم علاقة الرجل والمرأة .. على أساس التكامل والعدل، بما أن المهمات المكلف بها كل منهما بشكل رئيسي قائمة على تفاضل أصّله رب العالمين في كيان كل منهما، وذلك بقوله جل من قائل: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾، وهذا هو التكامل، وأما العدل فقد نطقت به الآية: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾، وكذلك ثبتته الآية: "١٩٥" من آل عمران ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ﴾.

٤- ساوى ديننا بين المرأة والرجل بالتكليف والجزاء، وقد ثبت ذلك في الآية التي أوردناها وهي الآية (٣٥) من سورة الأحزاب، وفي الآية (٩٧) من سورة النحل.

٥- والإسلام أول دين ردّ للمرأة اعتبارها الإنساني أولاً، وحفظ لها حقوقها وكرامتها ثانياً، وكرس لها حريتها في الاختيار والعمل والمشاركة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في حدود المعروف والعدل والتكامل مع الرجل ثالثاً. لا المناددة والمزاحمة والعداوة أحياناً عند بعض المتطرفين، وذلك مفهوم من الآيات: "النساء (١)، وفيها المساواة في الإنسانية، والآية (١٩٥) من آل عمران، والآية (٢٢٨) من البقرة، والآية (١٩) من النساء، وفي هذه الآيات يتبين حفظ حقوق المرأة والعناية بها، أما الاحترام لها وتقديرها ورفض احتقار الأنوثة فهو مفهوم من الآيات: (٦) من المجادلة، و (١١-١٢) من سورة التحريم، ومن الآية (٩) من سورة لقمان، و(٢٣، ٢٤) من سورة

الإسراء.

٦- وقد نصّ القرآن على حفظ المرأة من أفكار وممارسات حياتية قد تؤدي بها، لتكون سلعة أو لعبة للرجال .. وذلك مفهوم من الآيات (٣٢، ٣٣، ٣٤) من سورة الأحزاب، والآية ٢١ من سورة الروم والآية (٣٢) من سورة النساء والآية (١٩) من النساء، والآية (١) من المجادلة، والآية (١١) من سورة التحريم، والآية (١) من النساء.

٧- إلى جانب كل تلك الإيجابيات فقد جاءت نصوص القرآن بإنصاف المرأة فيما يتعلق بحقوقها.. إذ بعد أن كان الناس قبل الرسالة الإسلامية يتناقشون حول: هل المرأة إنسان أم غير إنسان؟ وكانت المولودة الأنثى موؤودة من قبل ذويها لأنها أنثى وحسب. جاءت نصوص القرآن لتثبت إنسانية المرأة، وتُساوي مساواة عدل وتكامل بينها وبين الرجل، كما رسمت وحددت نَظْمَ العلاقة الإدارية والمالية والحرية بالمعروف، وبما فضل الله به المرأة على الرجل وفضل به الرجل على المرأة، فأعطى لكل منهما ما يستحقه من العدل مقابل المسؤولية الملقاة على عاتقه، وما يترتب على تلك المسؤولية من واجبات وحقوق.

وقد جاء بعض ذلك التنظيم في الآية: ٣٤ من النساء وهي بشأن القوامة، والآية (٥) من الروم، وهي تتعلق بالعلاقة الزوجية، والآية ٢٨٢ من البقرة، وهي تتعلق بالشهادة، والآية (١١) من النساء، وهي تتعلق بالميراث وتوزيعه، ورغم أن النصوص بهذه الشؤون، راعت العدل في المسؤولية المبنية على التفاضل الذي بينته الآية ٣٢ من النساء، مع الانتباه إلى الإمكانات الجسدية والنفسية لكل من الرجل والمرأة. أقول رغم كل ذلك .. فإن جدلاً عقيماً حول

تلك النصوص، يديره العديد من الذين انطبعت في قلوبهم وعقولهم أفكار غريبة استوردوها من مجتمعات قامت فيها العلاقة بين الرجل والمرأة ليس على أساس المساواة العادلة المتكاملة، بل إنها قائمة على أساس من تخرصات مادية غرائزية؛ لا عدل فيها، ولا نظر إلى الإمكانات، وكذلك ظلّ يمارس الكثير من الناس ظلماً للمرأة ومكانتها وحقوقها ودورها، معتمدين على فهم معوج لتلك النصوص، متخذين من العادات والأعراف المنحرفة عن الحق بديلاً عن الفهم السديد لما أنزله الله على رسوله. وإذن فنحن أمام نصوص قرآنية ربانية وضعت الأمور في نصابها بشأن كل من الرجل والمرأة، وهي خطة وسطية، شأنها شأن كل الأحكام والخطط الربانية، فلا إفراط ولا تفريط، وهي في المآلات إنما تقود إلى مصلحة الإنسان عموماً، ولمصلحة المجتمعات، في توفير الأمن والأمان والسلام المجتمعي المحلي والإقليمي والدولي.

البند الثالث: نصوص من السُّنَّة النبوية

يقول العالم الفيزيولوجي "الكسيس كاريل": "على النساء أن ينمين أهليتهن تبعاً لطبيعتهن، دون أن يحاولن تقليد الذكور، فإن دورهن في تقدم الحضارة أسمى من دور الرجال، فيجب عليهن ألا يتخلين عن وظائفهن المحددة"، وقد قال كاريل هذا القول بعد أن فصّل في الاختلافات الفيزيولوجية بين تركيبة المرأة الجسمانية وتركيبة الرجل .. واستنكر بناءً على ذلك قول القائلين "بأنه يجب أن يتلقى الجنسان تعليماً واحداً، وأن يُمنحا سلطات واحدة

ومسؤوليات متشابهة"[1] فاقرأ وتأمل وتوصل إلى رأي يقول فيه الشيخ محمد عبده رحمه الله: "إن الدرجة التي رفع الله النساء إليها لم يرفعهن إليها دين سابق، ولا شريعة من الشرائع، بل لم تصل إليها أمة من الأمم قبل الإسلام ولا بعده، وهذه الأمم الأوروبية التي كان من آثار تقدمها في الحضارة والمدنيه أن بالغت في احترام المرأة وتكريمها، لا تزال دون هذه الدرجة التي رفع الإسلام النساء إليها"[2].

أو إلى رأي يقول فيه الأستاذ مصطفى الطحان: "فإذا حرر الإسلام المرأة وكرّمها، فإن بعض من يزعمون الغيرة على دين الله أرجعها إلى الجاهلية حيث يقول: رحم الله أياماً كانت المرأة لا تخرج فيها إلا ثلاث مرات: من بطن أمها إلى العالم، ومن بيت أبيها إلى الزوج، ومن بيت الزوج إلى القبر... ومن جانب آخر: فقد وجدنا من يريد إلغاء الفوارق بين الرجل والمرأة فهي إنسان كما أن الرجل إنسان، وهما مولودان لذكر وأنثى فلماذا يتفاوتان، ونسي هؤلاء أن فطرة الله فرقت بينهما، حتى في التكوين الجسدي، لحكمة بالغة، وهي أن لكل منهما رسالة في الحياة تليق به وبطبيعته ومؤهلاته..." [3].

وإذن فما الرأي السديد بهذا الشأن أيها السادة ..؟

إن الرأي كامن في وسطية الإسلام كما أمر بها رب العالمين في قرآنه، وكما رسمها عملياً رسوله الكريم محمد ﷺ، فَلْنَتَحَرَّ ما هدانا إليه رسولنا

(١) الإنسان ذلك المجهول ص١٠٨.
(٢) الإسلام والمرأة ص٥٧.
(٣) المرأة في موكب الدعوة ص ١٤ و١٧ ط١، ١٩٩٨.

الحبيب، بعد أن تعرضنا لنفحات قرآننا العظيم بهذا الشأن، ويحسن بنا هنا أن نتحرى تلك النصوص بقلوب حاضرة وعقول متأمله، لا يحدّها رأي قبْلي، أو موافقات مستخلصة من عرض حياة لنا دخل عليها كثير من ترهات واجفة مرتعشة لا تقف أمام حقائق إنسانية ثابتة كالجبال:

١- "إنما النساء شقائق الرجال"[١]: فالمرأة شقيقة الرجل وهو شقيقها.. فهما شقا الإنسان.

٢- "استوصوا بالنساء خيراً..."[٢].

٣- قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "كنا في الجاهلية لا نعدُّ النساء شيئاً فلما جاء الإسلام وذكرهنّ الله، رأينا لهن بذلك علينا حقاً"[٣].

٤- "وكانت زينب امرأة صنّاعة باليد، وكانت تدبغ، وتخرز، وتَصَدّق في سبيل الله"[٤].

٥- وحث النبي ﷺ المرأة على أخذ حريتها في التصرف بمالها، فقال: "تصدقوا تصدقوا وكان أكثر من يتصدق من النساء"[٥].

٦- "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي"[٦].

٧- "لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر"[١].

---

(١) من صحيح أبي داوود (انظر صحيح الجامع الصغير الحديث رقم ٢٣٢٩).
(٢) رواه البخاري ومسلم.
(٣) رواه البخاري.
(٤) رواه الحاكم على شرط مسلم.
(٥) رواه البخاري.
(٦) صحيح ابن ماجة.

٨- عن عائشة رضي الله عنها قالت: "وكان يوم عيد، يلعب فيه السودان بالدّرق والحراب، وأما سألت النبي، وإما قال: تشتهين تنظرين؟ قلت: نعم. فأقامني وراءه، خدّي على خدّه وهو يقول: دونكم يا بني أرفده، حتى إذا مللت قال: حسبك؟ قلت: نعم قال فاذهبي"[٢].

٩- عن ابن عباس قال: "جاءت امرأة ثابت بن قيس إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، ما أَنْقِم على ثابت في دين ولا خلق، إلا أني أخاف على نفسي الكفر. فقال رسول الله ﷺ: (فتردين عليه حديقته؟) قالت نعم. فردت عليه، وأمره ففارقها" رواه البخاري.

١٠- وقد خاطب رسول الله ﷺ عبد الله بن عمرو بن العاص في حق زوجه في المعاشرة الزوجية، بعد أن اشتكت منه الزوجة أنه مشغول في الصيام والقيام، فقال له رسول الله ﷺ: "يا عبد الله ألم أُخْبَر أنك تصوم النهار. وتقوم الليل؟ فقلت نعم يا رسول الله. قال: "فلا تفعل، صم وافطر، وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً" رواه البخاري.

١١- وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أنه قال: "كنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قَدِمْنا على الأنصار، إذا قومٌ تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار، فضجت عليّ امرأتي فراجعتني، فأنكرتُ أن تراجعني، قالت: ولِمَ تنكر أن أراجعك؟! فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه، وإن إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل.." رواه البخاري ومسلم.

=

(١) صحيح مسلم.
(٢) البخاري ومسلم.

- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "يا معشر النساء تصدقن وأكثرن من الاستغفار، فإني رايتكن أكثر أهل النار، فقالت امرأة منهم جَزْلةٌ: ومالنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟! قال: تكثرن اللعن، وتَكْفُرن العشير. وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لبٍّ منكن. قالت يا رسول الله، وما نقصان العقل والدين؟ قال: أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل، فهذا من نقصان العقل، وتمكث الليالي ما تصلي، وتفطر في رمضان، فهذا من نقصان الدين"[١].

- وبشأن حق المرأة في التعليم: قال رسول الله ﷺ: "إيما رجل كانت عنده وليدة فعلّمها فأحسن تعليمها، وأدّبها فأحسن تأديبها، ثم اعتقها وتزوجها فله أجران"[٢].

- وعن أبي سعيد قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله"[٣].

- أما بشأن حقها في أمر نفسها فقد قال رسول الله ﷺ: "الثيّب أحق بنفسها من وليها، والبكر تستأذن في نفسها وإذنها صماتها"[٤].

- أما حقها في المشاركة الجمعية: فقد شاركت في صلاة الجماعة والصلوات الجمعية الأخرى مثل صلاة الكسوف والاعتكاف والحج وقال: (لا تمنعوا إماء الله من مساجد الله) .. وكل ذلك وارد في روايات في البخاري وفي مسلم.

---

(١) رواه البخاري وابن ماجة.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه الشيخان.
(٤) رواه الجماعة.

- وفي المشاركة في الشؤون العامة كان الحديث التالي: دخل على حفصة أمِّ المؤمنين أخوها عبد الله بن عمر رضي الله عنهم، فتقول له: أعلمت أن أباك غير مستخلفٍ؟ قال: ما كان ليفعل. قالت: إنه فاعل، وحلفت أن أكلمه في ذلك"[1] وهنا اهتمام بشأن المسلمين وعناية بسياساتهم، حتى العليا منها. وبعد أن تغلب الحجاج على عبد الله بن الزبير، قابلته أسماء رضي الله عنها (أم عبد الله)، فقال لها الحجاج: كيف رأيتني صنعت بعدو الله...؟ قالت رأيتُك أفسدت عليه دنياه، وأفسد عليك آخرتك، أما إن رسول الله حدثنا أن في ثقيف كذاباً ومبيراً، فأما الكذاب فرأيناه، وأما المبير (المهلك) فلا أخالك إلا إياه"[2] (رأي سياسي وجرأة في الرأي).

وهذه أم الدرداء تقابل الخليفة عبد الملك بن مروان فتسمعه يلعن خادمه، فتقول له: سمعتك الليلة لعنت خادمك حين دعوته، يقول رسول الله ﷺ: "لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة"[3] (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

- ويوم فتح مكة، جاءت أم هانئ (أخت علي رضي الله عنهما) إلى رسول الله ﷺ، فقالت له: إنني أَجَرْتُ رجلين من أحمائي، فقال ﷺ: "قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ"[4] "وهذا منها تصرف سياسي مجاز".

---

(1) رواه مسلم.
(2) رواه مسلم.
(3) رواه مسلم.
(4) متفق عليه.

وفي مكانة المرأة ورد:

- "الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة"[1].
- عن خنساء بنت خدام الأنصارية: أن أباها زوّجها وهي ثيّب فكرهت ذلك، فأتت رسول الله ﷺ، فردّ نكاحه"[2].
- عن ابن عباس رضي الله عنه: "أن جارية بكراً أتت النبي ﷺ، فذكرت أن أباها زوجها وهي كارهة، فخيّرها النبي ﷺ "[3].
- "خياركم خياركم لنسائهم"[4].
- عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: "... وإنك مهما أنفقت من نفقة فإنها صدقة، حتى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك"[5].
- في رواية عن ابن مردوية عن ابن عباس قال: "كان رسول الله ﷺ إذا صلى الصبح جلس في مصلاه، وجلس الناس حوله حتى تطلع الشمس، ثم يدخل على نسائه امرأة امرأة، يسلم عليهن، ويدعو لهن، فإذا كان يوم إحداهن كان عندها"[6]. (كان عندها جاء تفسيرها في حديث آخر عن أنس قال في آخره "فكن يجتمعن كل ليلة في بيت التي يأتيها"[7] يؤنسهن).

---

(١) رواه مسلم في كتاب الرضاع ج٤، ص١٧٨.

(٢) رواه البخاري.

(٣) من صحيح أبي داوود.

(٤) من صحيح بن ماجه.

(٥) رواه البخاري ومسلم.

(٦) من فتح الباري نقله من كتاب (تحرير المرأة في عصر النبوة) ج٤ الفصل السادس صفحة ١٥٥ ط١ - دار القلم الكويت ١٩٩١.

(٧) رواه مسلم.

- "من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو وضمّ أصابعه"[1].

- "من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو ابنتان أو أختان فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة"[2].

- والعدل مطلوب بين الأبناء لا تفريق بين ذكر وأنثى، فقد أمر رسول الله ﷺ بذلك فقال: "اعدلوا بين أبنائكم، اعدلوا بين أبنائكم، اعدلوا بين أبنائكم"[3].

- جاء رجل إلى النبي ﷺ من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: "أمك" قال: ثم من؟ قال: "أمك"، قال: ثمّ من؟ قال: "أمك". قال: ثم من؟ قال: "أبوك". رواه البخاري ومسلم.

- وفي استشارة المرأة في شؤون الحكم وشؤون السياسة ورد ما يلي: "خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية.. فلما فرغ من قضية الكتاب (كتاب الصلح مع قريش) قال رسول الله ﷺ لأصحابه: "قوموا فانحروا ثم احلقوا" قال: فوالله ما قام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد، دخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتُحِبُ ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُدْنك، وتدعو حالقك فيحلقك. فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بُدْنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل

---

(1) مسلم (كتاب البر حديث ٢٩٣٦).

(2) الجامع الصحيح للترمذي تحقيق أحمد محمد شاكر حديث ١٩١٦.

(3) رواه أحمد في مسنده ورواه النسائي بتكرار "اعدلوا بين أبنائكم" مرتين، وكذلك رواه رواه أبو داوود.

بعضهم يحلق بعضاً" رواه البخاري.

- وإذا كان الإسلام قد جعل الطلاق بيد الرجل .. فإنه قد أعطى طلب الخلع للمرأة بشروطه.

- وإذا كان قد أباح للرجل تعدد الزوجات، فإنه جعل لجواز التعدد شروطاً يجب أن تتحقق وإلا فواحدة، ومن هذه الشروط العدل، والقدرة على تأدية حقوق الزوجات المعيشية والجنسية والمسؤولية عن رعاية الأسرة وأفرادها ".. والرجل راعٍ على أهل بيته وهو مسؤول عنهم" البخاري ومسلم، وقد بقي رسول الله ﷺ مُفرِداً غير معدّد خمسة وعشرين عاماً، مكتفياً بخديجة رضي الله عنها، فلما ماتت عدّد لأسباب كثيرة. وقد قال رسول الله ﷺ في موضوع العدل قولاً تخشع وتخضع له قلوب الخائفين على مصيرهم في الآخرة: "إذا كان عند الرجل امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط" رواه الترمذي في صحيحه.

وبعد هذه الجولة المباركة المعطاءة المؤنسة في ظلال حديقة الحديث النبوي الشريف نخلص إلى المحاور المستنتجة منها بشأن المرأة والأسرة والعلاقة. بالرجل..

١- المرأة والرجل شقيقان وهما حصراً طرفاً المعادلة الإنسانية التي تزينها المساواة العادلة المتكافئة والمتكاملة: "النساء شقائق الرجال" "استوصوا بالنساء خيراً".

٢- وحقوق المرأة محفوظة ومنها استقلال شخصيتها المالية والحياتية فحقوقها في ذلك محفوظة ومصونة بالنص النبوي كما هو بالنص القرآني "اعدلوا بين أبنائكم..." وحق الخلع ومثاله: امرأة ثابت بن قيس،

وحق تزويج نفسها ومثاله: ردّ رسول الله ﷺ نكاح خنساء بنت، وكان أبوها قد أكرهها على الزواج، وحقها في المتعة والمعاشرة ومثاله زوجة عبد الله بن عمرو بن العاص وقول رسول الله ﷺ"وإن لزوجك عليك حقاً". وحقها في إدارة بيتها ومراجعة زوجها في شؤونه، وحقها في أن تأخذ قسطها من ترويح النفس وراحة الأوقات ومثاله: عرض رسول الله ﷺ على عائشة رضي الله عنها بأن تشهد مسرح السودان وألعابهم ... وحقها في العمل والكدّ والتصرف بمالها ومثاله .. أن زينب رضي الله عنها كانت امرأة صنّاعة باليد وكانت تدبغ وتخرز وتتصدق من مالها في سبيل الله، وكذلك قول رسول الله ﷺ للنساء واعظاً: "تصدقوا تصدقوا..". وحقها في المشاركة بالشأن العام للأمة وسياستها، ومثال ذلك: في إجازة رسول الله لأم هانئ يوم فتح مكة في إجارتها رجلين من أحمائها ... وكذلك مشاورة رسول الله ﷺ لأم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها بشأن عدم استجابة الصحابة لرسول الله ﷺ بالنحر والحلق .. وهو شأن عام سياسي وتشريعي.. وحقها في التعليم والتربية ومثاله قول المرأة لرسول الله ﷺ: اجعل لنا يوماً نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله، وحقها في المشاركة الجمعية، ومثاله: مشاركتها في صلاة الجماعة والصلوات الجماعية الأخرى كصلاة العيد، وصلاة الكسوف، وفي الاعتكاف وقد ورد الأمر بذلك في أحاديث من رواية البخاري ومسلم. وحقها في إبداء الرأي والجرأة فيه ومثاله: جواب أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما للحجاج عندما قالت له: رأيتك أفسدت على عبد الله ولدي دنياه وأفسد عليك آخرتك ... ثم أضافت "وأما المبير فلا أخالك إلا إياه" وكذلك من أمثلته

مداخلة حفصة مع أخيها عبد الله بن عمر رضي الله عنهم من أجل استخلاف ما بعد أبيها بعد أن طعن عمر. وكذلك قيام أم الدرداء بتأدية النصيحة للخليفة عبد الملك بن مروان بقضية لعن الخدم وقد سمعته يلعن خادمه ..

٣- وهي مكرمة محترمة: بتقرير رسول الله ﷺ: "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي" ومنه أيضاً عدم توجيه الظلم لها: "لا يفرك مؤمن مؤمنه.." وكذلك حديث رسول الله ﷺ الذي ذكر الأم ثلاث مرات في حسن الصحابة، وبعدها ذكر الأب. وأيضاً .. "الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة". هذا فضلاً عن مراجعة زوجة عمر رضي الله عنه له في شؤونهما .. فلما استنكر عليها قالت له، فوالله : إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه، وإن إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل"، وكذلك قول عمر رضي الله عنه/كنا في الجاهلية لا نعدُّ النساء شيئاً فلما جاء الإسلام وذكرهنّ الله رأينا لهنّ بذلك علينا حقاً".

٤- ورعايتها والإنفاق عليها ولو كانت عاملة أو مليئة، وذلك مأخوذ من حديث رسول الله ﷺ: "... ولهنّ عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف" رواه مسلم ومن الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها: أن هنداً بنت عتبة (زوجة أبي سفيان) قالت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح، وليس يعطيني وولدي إلا ما أخذت منه - وهو لا يعلم - قال: "خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف" وقال ابن حزم في المحلى الجزء العاشر: "وينفق الرجل على امرأته من حين يعقد نكاحها،

دعى إلى البناء أم لم يَدعُ، ولو أنها في المهد، ناشزاً كانت أو غير ناشز، غنية كانت أو فقيرة..." [1]، وقال الظاهرية: "حيث وجدت الزوجية وجبت النفقة"[2]، وقال ابن قدامة: "اتفق أهل العلم على وجوب نفقات الزوجات على أزواجهن إذا كانوا بالغين، إلا الناشز منهن"[3]. وقالوا بالأصل العام القائل، "كل من احتبس لحق غيره ومنفعته فنفقته على من احْتُبِسَ لأجله"[4].

٥- وهناك مقابل كل تلك الحقوق التي للمرأة والواجبات التي على الرجل تجاهها، وقد جئنا على ذكر معظمها إن لم نقل كلها .. واجبات على المرأة تجاه الرجل والأسرة، وهي واجبات يثار حولها منذ عقود نقاش وشكوك وتشكيك وجدل عقيم، إذ يحاول الغربيون والمتغربون من الرجال والنساء خلط الأوراق بهذا الشأن، وتعميم الفكر والممارسات الغربية بخصوصها باعتبار أنها الحق والحقيقة، التي يجب إتباعها فيما يتعلق بالعلاقات الأسرية، وبشأن المرأة وعلاقتها بالرجل، دون الانتباه إلى أن هذا الفكر والممارسات ليست كلها سليمة صحيحة، بل إن

---

(1) نقلاً عن كتاب فقه السنة المجلد الثاني (ص ١٧٠، ١٧٣) (ط٣) ١٩٧٧، الناشر/دار الكتاب العربي.

(2) نقلاً عن كتاب فقه السنة المجلد الثاني (ص ١٧٠، ١٧٣) (ط٣) ١٩٧٧، الناشر/دار الكتاب العربي.

(3) نقلاً عن كتاب فقه السنة المجلد الثاني (ص ١٧٠، ١٧٣) (ط٣) ١٩٧٧، الناشر/دار الكتاب العربي.

(4) نقلاً عن كتاب فقه السنة المجلد الثاني (ص ١٧٠، ١٧٣) (ط٣) ١٩٧٧، الناشر/دار الكتاب العربي.

معظمها مصادم للفطرة البشرية السديدة التي فطر الله عليها الآدميين، ولقد تطرقنا في بطون مباحث الكتاب إلى هذا الموضوع المتضمن: واجب الطاعة والقوامة والميراث والاختصاص.

فلنرجع إليه في تلك المباحث لنجد الإجابة، الشافية في ذلك،وهي التي كانت ولازالت وستظل تدفئ المجتمعات بسدادها وبتقديمها مصلحة الخلق على طبق من نور وتنوير.

البند الرابع: من أقوال العلماء وتطبيقاتهم

١- قال صاحب فقه السنة الشيخ الجليل "السيد سابق" في كتابه القيم "فقه السنة": "أول ما يجب على الزوج لزوجته إكرامها، وحسن معاشرتها، ومعاملتها بالمعروف، وتقديم ما يمكن تقديمه إليها؛ مما يؤلف قلبها، فضلاً عن تحمّل ما يصدر منها والصبر عليه... وإكرام المرأة دليل الشخصية المتكاملة، وأهانتها علامة على الخِسّة واللؤم، يقول الرسول ﷺ: "ما أكرمهن إلا كريم، وما أهانهن إلا لئيم"[١].

وأضاف الشيخ القول: "ومن حق الزوج على زوجته أن تطيعه في غير معصية، وأن تحفظه في نفسها وماله، وأن تمتنع عن مقارفة أي شيء يضيق به الرجل؛ فلا تعبس في وجهه، ولا تبدو في صورة يكرهها، وهذا من أعظم الحقوق"[٢] وقال الشيخ أيضاً: "أساس العلاقة بين الزوج وزوجته هو: المساواة بين الرجل والمرأة في الحقوق

(١) فقه السنة ص ١٨٥ المجلد الثاني.
(٢) فقه السنة "السيد سابق" المجلد الثاني ص١٩٩.

والواجبات، وأصل ذلك قول الله تعالى ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾(البقرة: ٢٢٨)[١].

٢- ويقول الدكتور: (أمة الإسلام أحمد رجاء":واليوم نرى الابتعاد عن منهج الله عزّ وجلّ في التعامل مع كثير من القضايا، فوصل المسلمون إلى ما وصلوا إليه من الضعف والتخلف والتبعية؛ ومن ذلك قضايا المرأة الواقعة تحت تأثير نقيضين: إما موروث مبتدع أو وافد فاسد، فصارت أعرافاً أخذت تتحكم في تصورات الناس للمرأة وتعاملهم مع قضاياها بما يتعارض مع ثوابت الشريعة وأحكامها"[٢].

وقال (د. أمة الإسلام): "ولا يخفى أن في شريعتنا الإسلامية ثوابت وقيماً حاكمة لا ينبغي تخطيها عند التعامل مع المرأة، مثل الحرية والمساواة والعدالة وغيرها، حيث نجد أن الشريعة تقرر حرية الإنسان (ذكراً أو أنثى) .. وأثبتت الشريعة استقلالية شخصية المرأة في اختيارها بين الإيمان والكفر.."[٣].

وأضاف: "ومن العدالة أن الأصل في تقرير وضع المرأة مقارناً بوضع الرجل هو التسوية بينهما، إلا ما دلت النصوص على الاختلاف

(١) المصدر السابق، ص ٢٠١.

(٢) من مقال له في مجلة: "إسلامية المعرفة" السنة العاشرة العدد ٣٧-٣٨ ص١٥٦ صيف وخريف عام ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م وهي مجلة فكرية فصلية محكّمة، يصدرها المعهد العالمي للفكر الإسلامي، والمقال عنوانه: المرأة العربية بين أعراف مجتمعها وثوابت الإسلام.

(٣) المصدر السابق ص١٥٨.

فيه، ومن صور العدالة والمساواة بينهما: المساواة في أصل الخلقة والنشأة، والمساواة في التكريم، والمساواة في حق الحياة، والمساواة في التكليف الشرعي والجزاء والأخروي دونما فارق بينهما، والتساوي في الحدود والعقوبات الشرعية، والمساواة في أهلية التصرفات والتعاقدات المالية"[١].

ويقول أيضاً: "ولا يخفى أن التفاوت بين الذكر والأنثى في الميراث ليس فيه انتقاص لمكانة المرأة وكرامتها، أو نفي للمساواة بين الرجل والمرأة، إذ التمايز في الميراث لا تحكمه الذكورة والأنوثة، وإنما هو محكوم، بمعايير ثلاثة: أولها درجة القرابة بين الوارث - ذكراً أو أنثى - وبين المورّث، .. وثاني هذه المعايير موقع الجيل الوارث من التتابع الزمني للأجيال؛ فالأجيال التي تستقبل الحياة عادة يكون نصيبها في الميراث أكبر من نصيب الأجيال التي تستدبر الحياة بصرف النظر عن الذكورة والأنوثة للوارثين ... أما المعيار الثالث فهو العبء المالي الذي يوجب الشارع على الوارث القيام به حيال الآخرين، وهذا المعيار يثمر تفاوتاً بين الذكر والأنثى ... وبالاستقراء وُجد أن الحالات التي ترث فيها المرأة نصف الرجل حالات أربع فقط، وفيها تكون نفقة المرأة على الرجل المساوي لها في درجة القرابة، بينما الحالات التي تساوي فيها المرأة الرجل تماماً في الإرث فهي أضعاف ذلك، وهناك حالات عشر أو تزيد ترث فيها المرأة أكثر من الرجل وهناك حالات ترث فيها المرأة ولا يرث الرجل"[٢].

٣- ويقول د. عبد الله بن وكيل الشيخ: "فالمرأة في الإسلام هي تلك المخلوقة التي أكرمها الله بهذا الدين، وحفظها بهذه الرسالة، وشرّفها بهذه

---

(١) المصدر السابق ص١٥٨.
(٢) المصدر السابق ص١٧٢.

الشريعة الغرّاء، إنها في أعلى مقامات التكريم أمّاً كانت أو بنتاً أو زوجة أو امرأة من سائر أفراد المجتمع"[١].

ومن تطبيقات د. عبد الله بن وكيل الشيخ نَقْلُه لرسالة الأديب والسياسي الصاحب بن عباد إلى من رزق بنتاً من أصحابه؛ إذ يقول الصاحب بن عباد لصديقه مهنئاً بالمولودة: "أهلاً وسهلاً بعقيلة النساء، وأم الأبناء، وجالبة الأصهار والأولاد الأطهار، والمبشرة بإخوة يتناسقون ونجباء يتلاحقون.

فلو كان النساء كما ذُكِرْنَ لفُضّلت النساء على الرجال
وما التأنيث لاسم الشمس عيبٌ وما التذكير فخر للهلال

والله تعالى يُعَرِّفُكَ البركة في مطلعها، والسعادة بموقعها، فادَّرِعْ اعتباطاً، واستأنف نشاطاً، فالدنيا مؤنثة، والرجال يخدمونها، والأرض مؤنثة، ومنها خُلقت البرية، ومنها كثرت الذرية، والسماء مؤنثة، وقد زينت بالكواكب، وحُلّيّت بالنجم الثاقب، والنفس مؤنثة، وهي قوام الأبدان، وملاكُ الحيوان، والجنة مؤنثة، وبها وُعِدَ المتقون، وفيها يُنعَّمُ المرسلون، فهنيئاً لك بما أوتيت، وأوزعك الله شكر ما أُعطيت"[٢].

ومن تطبيقاته أيضاً:

- قوله: إن كانت المرأة زوجاً فهي من نعم الله التي استحقت الذكر: "ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية" الرعد ٢٨...
- وقوله: وهي في الإسلام عماد المجتمع وأساسه المتين.

---

(١) من كُتَيِّبِهِ: "المرأة وكيد الأعداء ط١، المحرم ١٤١٢هـ (ص٧) من منشورات دار الوطن – الرياض تحت عنوان مسلسل "رسائل إلى مربية الأجيال".

(٢) من كتيب الدكتور مصدر سابق ص١١.

- وللزوجة على الزوج حقوق يحميها الشرع، وينفذها القضاة عند التشاح وليست تلك الحقوق موكولة إلى ضمير الزوج فحسب"[1].

- ويقول الدكتور عبد الله بن وكيل الشيخ في تطبيقاته في قضية المساواة المطلقة بين المرأة والرجل وفي موضوع القوامة: "إن طلب المساواة المطلقة يتنافى مع فطرة الله التي فطر الجنين عليها، إن الجنس الواحد رجلاً أو امرأة لا يمكن أن يطلب أحد المساواة بين أفراده كافة، بل إن الحياة تفسد لو أريد لها مثل هذه المساواة، بل إن قوانين المادة كلها في الحياة قائمة على التميز والتباين فإذا كان لا يمكن المساواة بين جنس الرجال، فكيف بين جنسي الرجال والنساء؟!"[2].

- وأما بشأن القوامة التي يثير الجدل حولها العديدُ من المتغربين والمتغربات، المقلدين كالببغاوات للفكر الدخيل والممارسة الحياتية التي دمرت الكثير من القيم الإنسانية الرفيعة، المانعة للمجتمعات الإنسانية من الإنزلاق في مهاوي البوار والفوضى والجريمة.

يقول د. عبد الله: (لقد أسيء فهم القوامة، أو هكذا أريد أن تفهم، فقوامة الرجل على المرأة ليست إلا قاعدة تنظيمية إدارية تستلزمها هندسة المجتمع، واستقرار الأوضاع في الحياة الدنيا، فعن أبي هريرة رضي اله عنه مرفوعاً: "كل نفس من بني آدم سيدٌ؛ فالرجل سيد أهله، والمرأة سيدة بيتها"[3]، والنطاق الذي تشمله قوامه الرجل لا يمسُّ حرمة

([1]) المصدر السابق ص١٢.
([2]) المصدر السابق ص(٢١، ٢٢).
([3]) رواه ابن السني (رقم ٣٨٨ تحقيق بشير عيون) وصححه الألباني في الجامع الصغير ١٨٣/٤.

كيان المرأة ولا كرامتها، فهو محصور في مصلحة البيت والاستقامة على أمر الله وحقوق الزوج، وأما ما وراء ذلك فليس للرجل حق التدخل فيه؛ وذلك كمصلحة الزوجة المالية، وليس عليها أن تطيعه في المعصية، وليس له أن يؤذيها بغير حق، بل إن من كمال الزوج حسن معاملته لزوجته كما قال رسول الله ﷺ: "أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً وخياركم خياركم لنسائه"[1])[2].

٤- ويقول الأستاذ مصطفى الطحان (بشأن تطبيقات في كرامة المرأة ودورها) كلاماً جيداً ومنطقياً، حيث أعطى الإسلام للمرأة مشاركة واسعة ودوراً أهملته سابقات القوانين والممارسات، فالإسلام كرم المرأة أيما إكرام، وكل ما وضعته من تنظيمات وإداريات بشأنها إنما كان لحفظها، بعيداً عن تطفل المتطفلين، وتنطع المتنطعين، واستغلال الخبثاء المتصدين لإخراجها وذبحها قرباناً لإفساد الأمم والمجتمعات الإنسانية.

ويقول الأستاذ الطحان وننقل هنا كلامه بشكل برقيات: "للمرأة حق في اختيار زوجها، ولها حق مراجعة زوجها ولو كان رسول الله ﷺ كما قالت امرأة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما أراد أن يردعها عن مراجعته، وعندما قالت له امرأة من المسلمين: "والله ما أحسنت ولا أجملت يا عمر، أتعمد إلى امرأة ستر الله عليها فتريد أن تهتك سترها... قال: صدقتِ) [3] ويعلق الأستاذ الطحان على الحديث فيقول: "هكذا أصبحت المرأة واعية جريئة تردّ على أمير المؤمنين العادل الفقيه عمر

([1]) رواه الترمذي في سنه ورقمه (١١٦٢) وقال عنه حسن صحيح ورواه ابن حبان في الموارد رقم ١٣١١.

([2]) المصدر السابق، ص٢٦، بتصرف بسيط.

([3]) رواه البيهقي وهو صحيح.

بن الخطاب رضي الله عنه، وتنطق بالحكمة التي لا يسع عمر إلا أن ينزل عندها، فيقول: صدقتِ"[1].

٥- ويقول الدكتور الشيخ محمد علي الصابوني: "ليس من شك في أن النساء شقائق الرجال، وعلى كواهلهن تبنى الأجيال وتقوم المجتمعات، والإسلام أول من نادى بتحرير المرأة من الظلم والطغيان، وأقامها إلى جانب الرجل معززة مكرمة، موفورة الكرامة، وامتنّ على الإنسان بأن خلق له من جنسه شريكة الحياة، تواسيه في السّراء والضراء، وتبادله الحب والعطف، وتدفع عنه وعنها قسوة العيش ومرارة العذاب، فقال عزَّ مِن قائل: "ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة""[2].

ونكتفي في هذا البند بما اقتبسناه مِنْ مقالات العلماء وتطبيقاتهم بشأن العلاقة بين الرجل والمرأة، وذلك لننتقل إلى مباحث الكتاب الأخرى، معتمدين على هدي كتاب الله وهدي رسوله متوكلين على الله.. سائلين المولى التوفيق والسداد والرشاد.

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهَبْ لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

---

(١) من كتاب الأستاذ الطحان: المرأة في موكب الدعوة ص ٥٨-٥٩ من منشورات المركز العالمي للكتاب الإسلامي يناير ١٩٩٨.

(٢) من كتابه: "من كنوز السنة" ص١٥٢ ط١٩٨١، من منشورات دار الغزالي دمشق بالاشتراك مع مؤسسة مناهل العرفان– بيروت).

الفصل الثاني

تشخيص الحالة

الفصل الثاني

تشخيص الحالة

البند الأول: مقدمة

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ (الأعراف: ٨٢)

أيام الدولة العثمانية قال السفير العثماني المسلم لأحد المسؤولين البريطانيين: إن نساء المسلمين يرفضن الإنجاب من غير أزواجهن، وكان كلامه هذا جواباً للبريطاني الذي قال له: لماذا لا تطلقون الحرية للنساء ليَطّلِعْنَ على نور الحضارة؟

وقد قال رب العزة في كتابه الكريم عن أهل الضلال: ﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ﴾ (المجادلة: ٢). وقال عن نفسه: ﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴾ (الأحزاب: ٤)، ولقد خط القرآن للإنسان خطة هداية، تدله على الاستقامة، وتدخله في دائرة الأمن والأمان والحياة النظيفة المهتدية بالنور الرسالي؛ إذ قال جل من قائل: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (المائدة: ١٥-١٦).

ولقد حدث في عصور المسلمين المتأخرة أن انتابهم الضعف والوهن، فغزتهم جيوش الكفر والضلال، فاستباحت بيضتهم، ونهبت ثرواتهم، وحاولت - وما تزال - فتح الثغرات في خصوصياتهم وانتمائهم والتجائهم إلى دينهم

وكتابهم وشرائع الإسلام، وقد وجدت تلك الغزوة أن المرأة هي أهم مقصد، يمكن من خلاله اختراق حصون المسلمين وقواعد قوتهم وثباتهم وأسس بنائهم الداخلي، فعمدت إليها لتخرجها من رصانتها وحرمتها واحترامها، ولتبعدها عن معنى قول ربها فيها وفي الرجل: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (**الروم: ٢١**). وقد كان فينا سماعون لهؤلاء، وهم باحثون عن الظهور، وساعون للوصول، فرددوا ببغائية ما أطلقته الغزوة بشأن المرأة، علّهم يحققون بذلك أنانياتهم القاتلة الآثمة، فجعلوا من أنفسهم أبواقاً غبية غير مدركة لمآلات وعواقب ما هم فيه من التيه، الذي قال فيه رب العزة: ﴿ **وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ** ﴾(**البقرة: ٢١٧**). متخذين لهم شعاراً بيّنه ربنا بقوله: ﴿ **أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ** ﴾. فهو لافتة قديمة جديدة مفترية على الرجل والمرأة معاً.

إن قضية تحرير المرأة؛ ذلك الشعار البراق، الذي حملته في أحشائها الحملة الاستعمارية الغربية المدعمة بالمكر التلمودي، الذي فعل الأهوال في إفساد الغرب، وإخراج المرأة فيه عن مهمتها الحياتية الإنسانية، التي وكلها إليها رب العالمين، أقول: إن قضية تحرير المرأة هي كلمة حق يراد بها باطل، أخفت في ثناياها مكراً استعمارياً، وعداءً مستحكماً للحق الإسلامي، الجالب للمرأة الاحترام والتقدير والمنزلة العالية، والحفظ من كل ما دعا إليه شياطين الإنس والجن من خروج على فطرة الله، ومن عري بدني وعقلي ونفسي للمرأة تحت مسمى (التحرير)، وما هو بتحرير .. إنه لتبذير وإسراف قاد ويقود المرأة إلى الدمار، وكان أول الخبث منطلقاً من برامج التعليم، التي جعلت المرأة والرجل في نسق تعليمي واحد، غير مراعٍ للحاجات الفطرية

والحياتية لكل منهما، وذلك بغية إخراج المرأة من دائرة بقائها محترمة مقدرة في حصن الأسرة إلى دائرة المزاحمة في الأسواق والدوائر والمعامل والشوارع بلا رادع من خلق أو دين.. وقد بين الكاتب الغربي اليهودي "برغر" بأجلى بيان هذا الهدف الماكر من تعليم المرأة والرجل في دائرة واحدة، فقال في كتابه: (العالم العربي اليوم) الصادر عام ١٩٦٢م: (إن المرأة المسلمة المتعلمة- طبعاً التعليم الذي بينا نوعه- هي أبعد أفراد المجتمع عن تعاليم الدين، وأقدر أفراد المجتمع على جر المجتمع كله بعيداً عن الدين). نقلاً عن كتاب: (لباس المرأة المسلمة وزينتها) للأستاذة: مهدية الزميلي، صفحة ٤٢.

لقد كان الإسلام أول من دعا إلى تعليم المرأة ورَفْعِ مكانتها، وإخراجها من عبثية النقاش الغربي السابق الذي كان يشكك في إنسانية المرأة، ليجعلها الإسلام بالتعليم الذي يصلح لها امرأةً تتمسك بما فطرها الله عليه، لا بما يدعونها إليه من انحطاط يسمونه التحرر. ومن المصدر السابق نفسه ننقل قول المبشرة "آنا ميليغان" إذ تقول: (في صفوف كلية البنات في القاهرة بنات آباؤهن باشوات وبكوات، وليس ثمة مكان آخر يمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحي، وليس ثمة طريق إلى حصن الإسلام أقصر مسافة من هذه المدرسة)، أرأيت وضوح الهدف الخبيث..؟!

ولكن .. إن السحر لابد أن ينقلب على الساحر، وإن وخزات الطهر لا بد أن تظل تعمل في فطرة الله التي فطر الناس عليها، ولابد لتلك الفطرة أن تعلن في يوم ما، أنها تحمل نصال الحقيقة الدامغة: ﴿ **بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ** ﴾ (الأنبياء: ١٨)، وإنها لتخلع تواً طاقية الإخفاء التي حاولوا إلباسها للفطرة تحت عنوان (تحرير المرأة)، ذلك

الشعار الذي كان أكذب شعار طرحته حضارة الغرب المتلبسة بداء التلمود، إذ سجنتها في زنزانات ادعاء التقدم والمساواة والحرية (ثلاثية الماسون)، وقد نجحت الثلاثية إلى حين، ولكن الوقت قد حان لإعلان الحقيقة، فقد قالت نساؤهم: لقد كنا مكبلين بداء التحرر المضلل، حتى جعلتمونا سلعاً ودمىً تحمل فيروسات الخنا والعري وحرية بيع أجسادنا للمارة، بعد أن أفهمونا أن هذه هي الحرية، لكنها كما ترون: السقوط الذي قادونا إليه، مكبلة عقولنا بالادعاء والزعم المزيف، وقد جاء ذلك على لسان النساء الفرنسيات في الاستفتاء الذي أجري لـ: (٢.٥ مليون) فتاة: مللنا المساواة مع الرجل، مللنا حياة التوتر الدائم ليل نهار، مللنا الاستيقاظ عند الفجر للجري وراء المترو، مللنا الحياة الزوجية التي لا يرى فيها الزوج زوجته إلا عند النوم، مللنا الحياة العائلية التي لا ترى الأم فيها أطفالها إلا عند مائدة الطعام، وشبيه بذلك كانت شعارات مظاهرة نسائية في الدانمارك، حيث كانت النساء يصحن: نرفض أن نكون أشياء أو سلعاً للإباحية، سعادتنا لا تكون إلا في المطبخ، نريد أن تبقى المرأة في البيت، أعيدوا إلينا أنوثتنا، إننا نرفض الإباحية.

أما نساؤنا، فقد قلن الحقيقة عملياً؛ فها هي شوارعنا وجامعاتنا ومدارسنا وبيوتنا ودوائرنا تعج بالمؤمنات المحجبات، اللائي عدن للفطرة وتطهرن بالوحي. وهم (الضالون المختوم على قلوبهم)، ينقمون منّا تَطَهُّرنا؛ لأنه يفضح عريهم، عملاً منهم بقول قوم لوط: ﴿أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾[1].

(١) الأعرف (٨٢).

البند الثاني: التشخيص ويتضمن

أولاً: مراجعة في أفكار العصر:

وقد قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ (الأنعام: ١٢٢) وعلى حواشي كلام رب العالمين ندندن فنقول:

١- مقدمة:

عيون عند حدود أجفانها يتبدد الطهر، فقد طار الطهر إلى جحيم الطين المستهتر، حيث تحولت الأنثى بين يدي تنظيراته كرة لا يستقر لها قرار، فهي قيد الأقدام، تتناوبها أهواؤها، لتكون أبداً ساكنة في أعين الآخرين، تستودع فيها وَهْمَ النجاة وذل الشهوة وسوء تفسير التحرر. وعلى وقع الكلام الذي هو من منشأ الكوابيس، تحاول الأنفاس الخلاص، لكن شِباك الإرادة الواهنة غير الفاعلة تأسر بقية الفطرة التي تناءت واستوقفها بعيداً اشتداد حراك الضلال، حيث عند تلك الحدود لم تنفع المراجعة، ولم يحضر الندم، وفقدت العزمة ضرامها، فانتهت إلى الشيطان القيادة، وصُدّت النواصي عن تلمس النور الذي يمشي به الناس بين ألغام الضلال، ينثرها في الأرجاء النادبون بتفعيل مجافاة شعاع الضياء: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[١].

إن شباك الظلمات أحكمت ربط خيوطها حول أعناق فتقت حناجرها سحب الهوى، مضرجة بدم الهدى، وبقمع أنوارٍ أهداها الإسلام للعالمين،

---

(١) الأنعام (١٢٢).

فأعرض كل جَوّاظ غليظ الفكر، ناري الحروف، مزهواً بإنجاز مدني، لم يكن فيه إلا الفاعل الأخير، غير أنه مع إنجازه هذا فَقَدَ البوصلة في ميدان الإنسان وهدايته الربانية، فحاز دنيا مسكونة بالأطماع والإغارات الوحشية على البشر، وفقد الأهم والأرجى من ذلك كله، ذلك الذي به تحاز الآخرة الناجية، التي هي الحيوان لو كانوا يعلمون.

أرأيت تنظيراته في قضية المرأة..؟ إن لم تكن فَعَلْت فلسوف أشاركك بالاطلاع على نماذج ميدانية من الهبوط أُسست فوقها، ثم على نماذج من صحوة، بعد غفوة طويلة دمرت ما دمرت، وسفكت من طهر وتماسك المجتمعات ما سفكت.

٢- نماذج ميدانية:

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[(١)].

أ- بينما يقولون في الغرب بعدم زواج الرهبان والقساوسة، مخالفين بذلك فطرة الله، كانت النتيجة أن زكمت فضائح الرهبان الجنسية وممارستهم لها مع الأطفال آفاق العالم، حيث امتلأت وسائل الإعلام الغربية وغيرها بأخبار تلك الفضائح، التي وقعت في أكثر من بلد غربي. ولم يكتف الغربيون بمنع الرهبان من الزواج- خلافاً للفطرة السوية التي فطر الله الناس عليها - بل قاموا بتقنين حياة الذكر والأنثى خارج مؤسسة الزواج، فشكلت تلك التقنية الغربية المنطلقة من فكرة الحرية غير المنضبطة بما

---

(١) الروم (٢١).

برأ الله الجنس البشري عليه أشكالاً من الكوارث لمجتمعهم.

ب- ثم كان من مآلات هذه المفارقة الغربية للفطرة السوية: أن أثبتت إحصائيات أمريكية وجود أعباء ماليةٍ كبيرةٍ رتبتها تلك التقنيات على المجتمع، فاقت عشرات المليارات لتمويل نتائج الحياة خارج مؤسسة الزواج، صرفاً على الأطفال الذين يتركهم الشريك الذكر لمصيرهم مع أمهم دون عائل إلا الدولة، هذا فضلاً عن تشرد الكثير من هؤلاء الأبناء وتحولهم إلى منحرفين ومجرمين وحاقدين، كما قالت تلك الإحصائيات الرسمية.

ج- ويأتي قانون (سيداو) الذي قننته الأمم المتحدة ليرفع سن الزواج، وليسمح بممارسة الجنس خارج مؤسسة الزواج، وليقر بفكرة المثلية وكثيراً من مظاهر الفساد بين الذكر والأنثى، زاعماً حرصه على المساواة وتحرر المرأة، وهي دعاوى باطلٍ وتخريبٍ تلبس لباساً لامعاً مغرياً للغافلين.

إن الخطايا الكامنة في المفاهيم الغربية تجاه المرأة - التي خطفت الإنسان في كثير من أنحاء العالم - أودت بالحقائق الإيمانية عندهم، واستباحت أبجديات الروح المتطلعة إلى رحمة السماء، غير أننا وجدنا من جديد خيطاً أبيض يبزغ ولو ببطء من داخل الخيط الأسود الذي تزيا به العالم الغربي منذ قرنين من الزمان، وحاول نقله إلى جهات العالم الأربع، وقد نجح في كثير من الأنحاء، إلا أنه اصطدم بعناد الإسلام المستمسك بذهب التوجه الرباني المتنزل من لدن رحيم بالإنسان، غفور كريم، يقبل التوبة من عباده، فيفسح لهم المرور إلى عتبات النجاة.

ومن نماذج صحوتهم تظهر معالم مراجعة تتراكم يوماً بعد يوم:

- ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ **(فصلت: ٥٣)**. لقد كانت حضارة/تيهاء تودي بين أرجائها الصبا /كما قال الشاعر. فها هي تنثال أشلاؤها، فتتحول إلى همجية تستعيد ذكرى إنسان الكهوف، عاري الفكر، عاري الجسد، عارياً من الرؤية السديدة لمهمة الإنسان (رجلاً وامرأة)، إنها جائحة نازلة تكاد تصل بالعالم إلى قانون الغاب، إن لم يتداركه فقه الإسلام، فهذا إلكيس كاريل في كتابه (الإنسان ذلك المجهول)، يدرك ما انحدرت إليه الحضارة الغربية، ويطالب باستدراك انحدارها، فيقول: (نحن غير مسرورين، نحن في انحطاط في الأخلاق وفي العقول، إن الأمم التي ازدهرت فيها الحضارة الصناعية وبلغت أوجها هي أضعف مما كانت، وهي تسير سيراً حثيثاً إلى الهمجية، ولكنها لا تدرك ذلك). ويضيف: (إن علمنا بالحياة وكيف يجب أن يعيش الإنسان متأخر جداً عن علمنا بالماديات، وهذا التأخر هو الذي جنى علينا).

أرأيتم انبلاج صحوتهم، ينهض بها كلام دقيق من أحد أركان العلم عندهم، ليدلنا على حقيقة قول ربنا: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾، وإن مثلاً واحداً نضربه عن تجاوز حضارتهم لبعض قضايا قد يعدّها الكثيرون بسيطة، ومنها قضية خلوة الرجل بالمرأة، يمكن أن يدلكم على مدى الخلل الواقع في مفكرة الغرب الأخلاقية، وهذا المثل فيه تنوع في الصورة وسيرة لزعماء غربيين كبار، هدتهم همجية التجلي الفكري الغربي إلى أن أودت بالعلاقة النظيفة بين طرفي المعادلة الإنسانية الرجل والمرأة.

يقول الرئيس الأمريكي السابق كلينتون عن موقفه من مونيكا: (لقد ضعفت هذا كل ما في الأمر). وجد البوليس السري الرئيس الروسي (بوريس يلتسن) مخموراً في الشارع في بنلسفانيا الأمريكية، يبحث عن سيارة تكسي فأعادوه، وهذا رئيس وزراء إيطاليا (برلسكوني) المصر على العلاقة الآثمة خارج منزله، يقول: (ماذا أفعل يوجد نساء جميلات في كل مكان)، فهؤلاء هم (واجهة السحارة) في تلك الحضارة، فكيف بمن هو عادي..؟! ولقد شاءت قدرة الله أن يُريَ الضالين آفاق هديه في الناس؛ إذ جربوا في أمريكا المدارس غير المختلطة، فوجدوها تعطي نتائج هائلة في النجاح وفي الأخلاق وفي التعليم، فبدأ مفكروهم يردون بجرأة وصحوة عارمة على فكر الاختلاط المناوئ للهداية الربانية، وصدق الله العظيم القائل في كتابه العظيم: ﴿ **فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ** ﴾ **(طه: ١٢٣)**.

ثانياً: منطلقات رجال مقلدون

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ** ﴾ **(الأنعام: ١١٧)**.

تقول الشاعرة عن صاحب الهوى المريض:

مريض هواك معنىً ... فكيف أمدك بالعافية

وغالٍ دمي ويهدر هدراً ... وألمح أشجارك العارية

إن أشجار الغرب عارية، فقد تعبت حناجرهم، وكلّت أفكارهم، ووهنت أحبارهم، فلم تستطع جميعها تثبيت الضلال الذي صدحت به حناجرهم في القلوب، وذلك لأن خريف العمر أضفى باصفراره على أوراقهم المكتوبة، وأنحى باللائمة على فعلهم الظلامي بحق المرأة؛ إذ انطلق نداؤهم بعيداً عن

الهداية الربانية، فلم يلامس سوى الأشكال والرسوم: ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ** ﴾.

وهنا من المستحسن أن نقتبس ما قاله الشهيد المعلم سيد قطب- رحمه الله - في ظلاله الوارفة الأفياء حول هذه الآية من سورة الأنعام، يقول سيد: (فلا بد من قاعدة للحكم على عقائد الناس وتصوراتهم وقيمهم وموازينهم ونشاطهم وأعمالهم... كي لا يكون الأمر في هذه المقومات هو أمر هوى الناس المتقلب واصطلاحهم الذي لا يقوم على علم مستيقن ... والله سبحانه يقرر هنا أنه وحده صاحب الحق في وضع هذا الميزان، وصاحب الحق في وزن الناس به وتقرير من هو المهتدي ومن هو الضال، إنه ليس المجتمع هو الذي يصدر هذه الأحكام ... والمجتمع الذي يخرج عليها اسمه في المصطلح الإسلامي (مجتمع غير إسلامي، مجتمع جاهلي؛ لأنه يَدَعُ لغير الله من البشر أن يصطلح على غير ما قرره الله من القيم والموازين).

لقد استطاع نداء الغرب للمرأة أن يوصل صداه (شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً)؛ إذ هيمن في كثير من الأنحاء على أشكال الناس ورسومهم ووسائلهم وأدواتهم، إلا أنه لم يداعب القلوب الواعية، والأفئدة المبصرة، فظل يلعب في الساحات خارجها، محاولاً اختراق وعيها وبصيرتها دون جدوى، رغم كل البذل المسرف في سبيل ذلك، من مالٍ وكرامة للمرأة، ومن شراء للضمائر والأقلام والقامات، ومن تدمير وقتل وذبح واحتلال وهمجية للآلة الصماء، التي ادعى أنه يمارس من خلالها تبشيره بالحرية وحق الإنسان. إنها حالة (شيزوفرينيا) وحشية تائهة، لم تجد إلا زيادة الاعتداء على تلك القيم، وإيغالاً في دهاليز الكراهية وقطع الأرحام، التي ترانا اليوم ننظر بأم أعيننا انتصار الله لها – حسب موعوده الذي لا يتخلف أبداً – وذلك من خلال تجليات الضنك المعيشي، ومن خلال التيه الذي ترتكس فيه حضارة استمسكت

بالماديات، وأهملت الجزء الغالي من الإنسان ... ذلك الذي يخرجه من الظلمات إلى النور، ويستحق به أن يُدعى الإنسان إنساناً ...! واستمع إلى ما قاله ربنا جل وعلا وتدبر ونفذ: ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾ **(النجم: ٢٩/٣٠)**.

وإذن .. فهي الحياة الدنيا المطلوب الأول والأخير، يدّعون من خلاله أنهم أصحاب النعت الحضاري الأول (العالم الأول)، وذلك مبلغهم من العلم، الذي يقف على ساق واحدة؛ حيث وهنت زخرفاته، وقَصّرت في الحق سلوكياته، ودَمّرت همساته الخبيثة حياة المرأة، فحولتها إلى دمية ليس فيها ما يستحق النظر سوى ثقله الماء والطين واللحم، وكل ما عدا ذلك من زخارف تدخلها دعاياتهم المتهافتة ضمن شعارات تحرير المرأة ومساواتها المطلقة بالجنس الآخر، إن هي إلا استدراج لها إلى المستنقع الآسن، الذي فيه تنمو كل (بكتيريات) الرذيلة ولا ترى منهم – إلا نادراً – سوسنات منبتة فقيرة ذابلة، ذات صوت خفيض؛ لأن المستنقع من طول البقاء ذهب نقاؤه الأول، واستبد به المكث في الأسن، فلم يمدّ تلك السوسنات بماء نقي، ولذلك فهي تنمو ببطء.

وأما المقلدون عندنا لتلك (الظلامية)، فهم اليوم يقفون عند بوابات الهزيمة، فأنت تجدهم (يجدفون) يمنة ويسرة محاولين الضرب الشرس، الناجم من قلوب متوجسة يائسة، يقلقها أن تشهد إعراض المجتمعات المسلمة عنهم، وإقبالها على تعاليم ربها وهديه في المرأة والرجل وفي كل شيء، رغم ما يجد هؤلاء المقلدون من دعم مادي ومعنوي من جهات رسمية وغير رسمية، إنهم اليوم مهددون بقول الله عز وجل: ﴿ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾ **(الصافات: ٢٤)**، كما أنهم يوشكون على الوقوع في حمى ما أنذرهم به الله

بقولــه تعــالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ **(البقرة: ١٦٥)**. والأنداد هنا ليست الأصنام وحسب، بل إن أشكال الأنداد كثيرة وهي معلومة، ولقد خذل هؤلاء المقلدين بعضٌ ممن جعلوهم أنداداً في توجههم نحو الفكر القائم على المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة، فقد قال عالم التشريح الغربي (ألكسيس كاريل) في كتابه الإنسان ذلك المجهول، ص ١٠٨: (ولقد أدى الجهل بهذه الحقائق الجوهرية؛ حقائق الاختلاف الفسيولوجي الكبير بين الأنثى والذكر بالمدافعين عن الأنوثة إلى الاعتقاد بأنه يجب أن يتلقى الجنسان تعليماً واحداً، وأن يمنحا سلطات واحدة ومسؤوليات متشابهة، والحقيقة أن المرأة تختلف اختلافاً كبيراً عن الرجل، فكل خلية من خلايا جسمها تحمل طابع جنسها ... فعلى النساء أن ينمين أهليتهن تبعاً لطبيعتهن، دون أن يحاولن تقليد الذكور، فإن دورهن في تنمية الحضارة أسمى من دور الرجال). ولقد أدى اتباع الأفكار الشاذة بالنسبة للمرأة في المجتمعات الغربية اليوم إلى هدم النظام الأسري، وإلى تحديد النسل؛ إذ أصبحت العديد من البلدان الأوروبية مهددة بتراجع عدد السكان، كما أدى إلى تلك الصور الفاحشة من التبذل والعري والعلاقات الشاذة التي أتت على بقية الأخلاق. أفلا يرعوي المقلدون عندنا ويتعظون بما تسير إليه حضارة الغرب من تراجع وانهيارات في المجالات الاجتماعية والإنسانية والأخلاقية التي هي عماد الحياة وسبب استمرارها؟ ألا يتدبرون قول الكاتبة الإنكليزية "أنا رورد" في صحيفة الإسترن ميل الذي نقلته لنا الكاتبة المؤمنة مهدية الزميلي ليكون عنواناً ورمزاً لصحوة المرأة عندنا ويقظتها؟ قالت الكاتبة: (ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة والعفاف رداء ... وإنه لعار على بلاد الإنجليز أن تجعل بناتها مثلاً للرذائل بكثرة مخالطة الرجال، فما لنا لا نسعى وراء ما

يجعل البنت تعمل بما يوافق فطرتها). ألا يتدبرون قول ربهم: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾فيستيقظون ويعودون إلى محاضن الهدى..؟ وها هي الصحوة تدك أبواب الظلام، فلا يتجاوزها إلا كل مقلد أعمى!

ثالثاً: المرأة والمنهج السديد

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ **(النساء: ٣٢).**

١- إنك إن بحثت عن سر العلاقة بين الذكر والأنثى، لوجدتها في القرآن تحت عنوان: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ **(البقرة: ٢٢٨)**، كما أنك سوف ترتاح تماماً إلى تأصيل تلك العلاقة بالآية: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ **(آل عمران: ١٩٥)**. هل تدبرت قوله تعالى: ﴿ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾؟

٢- إن الإسلام هو النظام الكامل الذي وضع العدل في نصابه بشأن العلاقة بين المرأة والرجل؛ وذلك ليس بدعاوى المساواة، ولكن بسنن التكامل والتآلف، والتزام الاختصاص النابع من طبيعة كل من الرجل والمرأة (فسيولوجياً) وقدرات جسدية ونفسية وعاطفية، مذخورة في أصل الخلقة لكل منهما، إذ إن دعوة المساواة المطلقة دعوة مضللة للناس...! فقد خلق الله هذا الكون أزواجاً: ﴿ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ **(الذاريات: ٤٩)**.. وهو الأعلم والأدرى بما خلق. ففيما يتعلق بمهمات الرجل والمرأة، فإن تعاليم الإسلام كانت هي العدل الكامل؛ لأنها أولاً

ربانية، ولأنها ثانياً نظرت إلى طبيعة وإمكانات وقدرات كلٍ منهما، فأعطت لكل واحد ما يناسبه. يقول سيد قطب - رحمه الله - (في ظلال القرآن) في معرض تفسيره لسورة النساء: (إنه عبث تصوير الموقف كما لو كان معركة حادة بين الجنسين، تسجل فيه المواقف والانتصارات ... فالمسألة ليست معركة على الإطلاق، إنما هي تنويع وتوزيع، وتكامل وعدل بعد ذلك كامل في منهج الله ... ولا مكان كذلك للظن بأن هذا التنوع في التكوين والخصائص، لا مقابل له من التنوع في التكليف والوظائف).

كما أن الإسلام أعد الأنظمة على أساسٍ من رعاية الفضيلة والعفاف والتصون في العلاقة بين الرجل والمرأة، ومقاومة الإباحية والتحلل والانطلاق وراء الشهوات، كما قال الشيخ العلامة يوسف القرضاوي في كتابه (فتاوى معاصرة للمرأة المسلمة والأسرة المسلمة). ومن باب التحوط قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾(النور: ٣١/٣٠). ولا بد هنا من ذكر أن ما حلّ بالحضارة اليونانية والحضارة الرومانية والحضارة الفارسية من دمار، كان من أهم أسبابه الفوضى في العلاقات الجنسية والاقتصادية والاجتماعية بين الرجل والمرأة، وهو مصداق قول ربنا جل وعلا: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ (الإسراء: ١٦).

٣- لنطو المسافات، ولِنَطْوِنا الأزمان، ولنصل إلى القرن العشرين والواحد والعشرين، لنجد أن غربان العصر تزين لنا القول: بأن حرية المرأة

تكون بأن تمضي في الحياة بلا ضوابط ولا أخلاق ولا حياء ولا حساب لمآلات الانهيار في نهاية المطاف، وهو ما بدأنا نرى علاماته في حضارة الغرب، الذي صدّر هذه المقولة إلى أرجاء الأرض الأربعة، فراحت تجوب شوارع العالم بذلك الانحطاط الأعمى، تصهل فيها الشهوات، وتُسعَّرُ فيها نيران الغرائز، ويُطارِد فيها اللهاثُ الدَّنسُ الناسَ في كل مكان، وذلك لينتضد رؤاهم وأهدافهم، فيزج بها في أتون التوق لسؤال غير بريء يقول: ما معنى هذه الحياة إن لم تكن اللذات هي الساكن الوحيد فيها؟! إنه سؤال متلبس بمخترعات شياطين الإنس، فهو يقدُّ قميص الحياء، ويسوق مُصَدِّرِي هذا النداء الفاجع إلى كارثة انقراض شعوبهم، بدءاً بدول الشمال، وصولاً إلى ألمانيا، ثم فرنسا بصورة أخص! فهي تلك البؤرة الآسنة التي بدأت بهذا الاتجاه الفاحش، الذي هدم مؤسسة الزواج، فتناقص السكان، وتهاوت الهمم، فأنت تراهم اليوم يلفظون طهارة المسلمة، بادعاء أن حجابها أسرٌ لها، وفي الحقيقة إنهم لا يطيقون الطهارة من شدة ما قارفوا الانفلات، لكن الغيمة الداكنة الزاحفة على مجتمعات العالم، حاملة مطر هذه الفوضى المرّ، لم تستطع أن تغطي سماء أمة الإسلام أبداً، وإن كان بعض الغطاء الجزئي المعزول حاول أن يعمم الظلمة الزاحفة، إلا أن محاولاته باءت بالعار وبالشنار، وها هي المرأة عندنا والرجل في معظم عددهما قد عقلا معنى ما يحدث في تلك المجتمعات السائرة نحو الهاوية، وعلموا أنْ ليس كل ما يلمع ذهباً، وأن ما تصدره مجتمعات أصبحت فيها الحرية انفلاتاً، والتحرر عرياً، والخروج على كل ما يوازن الحالة الاجتماعية ويجعلها بأمن وسلام إنما هو العمى بعينه، بل إن الهلاك ثم الدمار يكمنان في هذه

الصيغة الإبليسية، وقد قال الله جل شأنه: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ (المائدة: ٧٧).

٤- والآن حان العَوْدُ إلى الآية التي صدّرنا بها هذا المقال، فهذه الآية فيصل في العلاقة بين الرجل والمرأة، إذ إن أساس الفساد في نظرية هذه العلاقة المستوحاة من الهوى الغربي غير المهتدي، هو هذا الهوس في المساواة المطلقة بين الجنسين في كل شيء، حيث متح أولئك في هذا الباب من أهواء مريضة مدمرة.

لقد ساوى الإسلام بين الرجل والمرأة في الأصل الإنساني إذ قال ربنا سبحانه: ﴿ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖ ﴾ وقال رسولنا ﷺ: (النساء شقائق الرجال)، وقال عمر بن الخطاب- رضي الله عنه - (أصابت امرأة وأخطأ عمر) (أمير المؤمنين، وقاهر الفرس والروم). وقال الرسول ﷺ: (إن أم عمارة لأفضل من فلان وفلان من الرجال).

ولكن الإسلام لم يجعل هذه المساواة حكاية الأهواء، ووسيلة للسفهاء، بل إن الإسلام جعل العدل فيما وراء الأصل الإنساني لكليهما هو الحاكم في أمريهما، فلا يعقل أن تكون الإمكانات والقدرات وما هيئ له كل منهما مختلفة، ثم نكلف الاثنين بالمهمات الحياتية نفسها، وإذن أين الاختصاص الذي أخذ مداه الأوسع في حياة العصر. لقد فضل الله الرجل لمهمات تناسب العطاء الذي أعطاه الله إياه، كما فضل المرأة لمهمات تناسب عطاء الله لها، وجعل هناك منافذ وسماحاً في حالات الضرورة، حيث يحل أحدهما مكان الآخر فلا يقع الناس في الحرج، أو يلجأون إلى التعامل مع الأهواء والأعراف، وبذلك يكون السقوط الذي يقود إليه الكسب الإنساني المتمرد على صيغة الله، وفي هذا الشأن قال ربنا: ﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي

﴿ ٱلنَّاسِ ﴾. إن المرأة إذا زاولت مهمتها الربانية لا تكون عاطلة، ولا نكون معطلين لنصف المجتمع كما يدعي الواهمون، وإن الرجل إذا زاول مهمته الربانية ولم تزاحمه فيها المرأة ألغينا البطالة، وأوقفنا تلك المعركة المفتعلة بين الجنسين، وساد السلام بينهما.

٥- وفي التسليم لله قال جلّ شأنه: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ** ﴾ **(النساء: ١٢٥)**.

ونحن أمام الآية ليس لنا إلا أن نقول:

يا من له الخلق والأمر، من أجلك وبك حياتنا قائمة مستمرة، لا من أجل هذه اللعاعات التي يتهارش الخائبون بسببها، نلوذ نحن المخلوقين بوجهك الكريم، لتنظر إلينا نظرة عطف، ترتاح بها وبمددها نفوسنا وأبداننا، فأكبادنا حرّى، مشتاقة لنور وجهك، الذي صلحت عليه أمور الدنيا والآخرة، ونحن نعلم أننا بغير هذا التسليم ضائعون، تائهون؛ فإدراكنا محدود، والحب فينا مفقود، نزحف على بطوننا، في قافلة وحشية، مسكونة بالأطماع المشبوهة، لاهثة خلف السراب في القيعان المقفرة، لكن نداء السماء .. نداء الله .. يحدونا بقوله جل من قائل: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ** ﴾، فينصت إليه العقلاء المخبتون، يَصّعدون إلى رحمةٍ أبوابها ليست مغلقة، فهي مشرعة لكل الناس؛ فانفض أيها العبد عن قلبك الران، وافتح أذنيك بإخلاص، وحدق في كل ما يذهب إليه بصرك بإمعان، وتدبر، لتجد أن كل ما في هذا العالم يسبح الله، مستسلماً للخالق، داخلاً في حديقة الإسلام الغناء، ولسوف تجد (أن العصفور في لندن يُبَكِّر في التسبيح باللغة نفسها، وبالتبكير نفسه، الذي يسبح به عصفور عَمّان) .. على حد تعبير الكاتبة المجيدة "د. ديمة طهبوب". فلماذا يشذّ الكثيرون من بني آدم عن تلك الفطرة الأصلية؟ مع أن

الله كـرمهم، وسـخر لهـم موجـودات هـذا الكـون، ورفـع قـدرهم فـوق كـل المخلوقات، إن هم استقاموا على الطريقة: ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴾ (**الجن/١٦**). فالإسلام للإنسان هو الصبح الندي البكر، الذي ينفض عنه كل الأدران، وهو نفسه الصبح الذي قال فيه من قال:

يُنضج الصبح فوق مغيراتهم   قَدحاً يَهْزم القهر والجبن

٦- منتجات التسليم:

أ- الراحة النفسية: وفيها يستقيم للإنسان ما يجول في داخله من أسئلة، فيرتاح إلى التسليم: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾(**فصلت: ٣٣**).

ب. كما يرتاح إلى أن أخاه الإنسان المسلم: ((... لا يظلمه ولا يسلمه)) متفق عليه.

جـ. ولا بد أنه بعد ذلك سوف يطمئن إلى أن حاجته مقضية من قبل أخيه الذي أسلم لله مثله: ((... من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ... ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة)) متفق عليه.

د. وكذلك فهو مطمئن إلى أن الإسلام أمّنه على حياته وماله وعرض: ((كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه)) رواه مسلم، ((المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله...)) رواه مسلم. وإذن فهو بالتسليم يعيش براحة نفسية غالية، بعيداً عن حياة الغاب، التي أَدخلنا فيها في هذا العصر ملأُ الأمم المتوحشون!

٧- رخاء العدل والإحسان:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ

ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (النحل: ٩٠). ومن العدل الذي يضفي على الحياة الإنسانية دفئاً ورعاية ربانية: أن الله لم يترك الناس وحدهم، تسوقهم أهواء الحياة بلا مرشد ولا دليل، بل بعث فيهم الرسل، وأنزل معهم الكتب، تهدي إلى الحق، وتنير عتمات السبل، فلا يتنكر الإنسان لنفسه، ولا يُظْلِم حياته، فهو إذا فتح كتاب الله، ونظر نظرة عدل وتدبر وإيمان برسله، تنكشف له أسرار وجوده، وأسباب خلقه، ويجد أنه في الحراك الحياتي محروس برعاية الخالق، ومحوط بفرح الإيمان، وعدل الإسلام، وحب الإنسان المسلم لأخيه الإنسان، مقبلاً عليه بالإصلاح كلما حانت من الفساد والشر التفاتة؛ فهو مأمور أبداً بالعدل: ((إن الله يأمر بالعدل والإحسان)) ومأمور بالنهي عن الفساد: ﴿ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ﴾.

فالعدل إذن يأرز بالإنسان إلى الراحة النفسية، فتستقيم حياته، ويأمن على يومه وغده، ويحفظ به تراثه وحاضره وممتلكاته وهويته .. حتى إذا غاب الإسلام عمن يديرون شؤون الناس، أو يهيمنون على قرار الحياة اليوم، عاثت الغيلان فساداً في علاقة الإنسان بالإنسان، وفقدت تلك العلاقة العدل والإحسان والراحة النفسية، وأصبح الغازي المحتل المجرم يَصِمُ صاحب الأرض والوطن بالإرهاب، ونسي هذا الغول المتوحش أنه هو المعتدي، وهو الذي أمعن طغياناً وكفراً بالإنسان وموازين العدل، فأغمض عيونه عن عدوانه، وأغلق بصيرته عن فعاله الغبية الظالمة، في زمن ضُيعت فيه القيم، وأُسدل فيه الستار على العدل، وانقلبت موازين القول والفعل، فلا يجد الشهيد تأبيناً إلا بالتهم، ولسوف ترى عيناك أناساً من أصحاب الأرض المحتلة، يخدمون جلاديهم باسم الاعتدال والانفتاح والواقعية والموضوعية، وكلها

مصطلحات من صنع أعداء الإنسان الظلمة، يحاولون بها خداع السُّذج. ولكن ليفهم الجميع أن قلاع الإسلام منيعة، وأن سياط الجلادين لن تهزم دعاة الحق والإصرار الإيماني، وسيبلغ أمر هذا الإسلام ((ما بلغ الليل والنهار)) كما قال الصادق المصدوق عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم، وإن غداً لناظره قريب فـ ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ... ﴾! آل عمران.

رابعاً: من الذي يكرس الثقافة الذكورية ....؟!

قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ **(النحل:٩٧).**

يخطون دوائر محاصرتهم لنا في قضائنا، حيث الفراغ الذي صنعته عقدة نقص المغلوب فينا، عبأوا حاراتنا وشوارعنا وبيوتنا ودوائرنا بضجيج صاخب، يمتلكنا منذ صباحات الأيام، وحتى نضع الرؤوس على الوسائد، ولا يستثنون نومنا، فهم يغزوننا حتى في الأحلام، ثم نراهم في آفاقنا... في كتبنا ... في ممرات خيالاتنا ... يتصورون لنا ملائكة ناصحين، دالّين على طرق التقدم، ونحن لم تتبين لنا في البدايات ألوان الأقنعة التي يلبسونها، مصنوعة من عيون الثعالب، ومخيطة بجلود النمور الخادعة، ومسلحة بمخالب الذئاب، وهم لم يكتفوا بحراكهم وبأصواتهم التي ضجت منها السماء والأرض، بل إنهم سخروا معهم في إثارة الضجيج من أسموهم النخب؛ أدبية كانت أم علمية أم ثقافية أم سياسية، صنعوا لهم قامات رمّزوها بقوة الغالب، وأمّروهم على كل تلٍّ من تلك التلال الوهمية، وذلك كي يعطوا الحملة الظالمة ظلاً من رقيق محلي، مهزوم أو مأجور أو عابر طريق، مدعٍ أنه أصيل. وأهم بندٍ حاصرونا فيه هو الأم والابنة والزوجة والأخت، أي (المرأة)، تلك الدّرة، التي حباها الله

بالحنان، والجمال، واللطف، وحسن تدبير إدارة حياة الأجيال ورعايتها، ومن أين بدأوا فينا المشوار؛ مشوار الإفساد؟ لقد بدأوه من نقطة: أنه لا بد أن تكون لكل واحد منا - نحن الرجال - أم أو زوجة أو ابنة أو أخت، وهؤلاء هن أنيس الحياة وإكسير الأرواح، فقالوا: تعالوا أيها النخب من الغرب، وأيتها القامات المصنوعة على عينهم من الشرق، لندهم ذلك الحصن الحصين، ونخترق ذلك البنيان المصنوع بإتقان على عين الله، فإذا ما قطفنا ذلك النصر، كان على أهل الديار السلام، وسيكونون خلفنا تابعين مأخوذين بكل تلك الشعارات، التي طيرناها في فضائهم الآسن، من مثل:

- لا تعطلوا نصف المجتمع.
- لا تهضموا حق المرأة.
- خذوا بالمساواة المطلقة بين الرجل والمرأة.
- غادروا مجتمع الذكورية وإلى الأبد، فهو سبب التخلف.
- أخرجوا المرأة من قوقعة المنازل (وبيولوجية الدور)، إلى آفاق الشوارع وفضاءات العمل، ومنارات الحرية، متعة وتصرفاً وقراراً هوائياً، يميل حيث يميل المزاج والهوى بلا حساب لأي شيء..!!

حتى إذا أصبحت المرأة عندهم في الغرب طوع هوى الرجال المهووسين، وذلك بسقوطهن صيداً ذليلاً في حضيض شباكهم، أوعزوا إلى القامات التي صنعوها عندنا من النساء والذكور، كي يقوموا بالدور نفسه، وليجلبوا نساء المسلمين إلى حفرة السّوْء نفسها، وفازوا بما أرادوا في البدايات، وعندها كشروا عن أنيابهم، فوضحت الخطة من وراء الشعارات، ونخص بالذكر هنا الشعار الخديعة (ذكورية المجتمع). فحتى الآن لم تتساو

المرأة بالرجل في الغرب، وهيمنت الذكورية على كل شيء خارج البيت، وخسرت المرأة فطرتها السديدة؛ ففي عام ١٩٨٦م كان في الكونغرس الأمريكي ١٧ امرأةً، وواحدة في مجلس الشيوخ. وفي فرنسا ١٨ نائبةً من مجموع ٤٩١ نائباً. وفي سويسرا حرمت ثلث النساء من التصويت في الانتخابات، وفي أمريكا كانت أجرة المرأة في العمل مع مساويها من الرجال في المؤهل ٦٤% من أجرة الرجل. وفي فرنسا ٦٦%، وفي اليابان ٦٠% وفي أمريكا لا تشغل المرأة سوى ٥% من الوظائف المنتخبة. ومن أصل ٥٥٤٧ مقعداً في برلمانات السوق الأوروبية المشتركة التسعة، يوجد ٤٥٧ امرأة، أي أقل من ٦%، بينما تشكل النساء في تلك المجتمعات ٥٢% من المواطنين، وفي اليابان تشكل النساء في مجلس النواب ٣% فقط[1]. لقد بنى صانع هذا الكون كل شيء فيه على الزوجية، وجعل ذلك البناء قائماً على العدالة والتكامل بين كل زوجين، وجعل لكل واحد منهما مهمة خاصة، يتقنها بما وضع فيه من خصائص تساعده على إتمامها والقيام بها دون أن يضطر إلى تغيير (سيكلوجيته)، فقد قال رب العزة: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾.

وإذن فنحن البشر (ذكراً وأنثى) لكل منا مهمة بها يحيا يحاةً طيبة، إذا آمن وعمل صالحاً، والصالح هنا ما وافق شرع الله وسننه في توزيع المهمات وفي تقنين التصرفات، وبذلك وحده تمضي الحياة سلسلة هانئة ومعها الأجر العظيم .. لكن الناس إذا استمعوا لقول الشياطين، فقد باءوا ببوار مجتمعاتهم،

---

(١) من كتاب الأستاذ علي القاضي (وظيفة المرأة في المجتمع الإنساني ص٩٦ وما بعدها حتى ٩٨ نقلاً عن صحيفة (العرب القطرية) ٦/١١ /١٩٨٠.

وحصدوا هشيم الخروج عن السنن الرباني، وها هم الشياطين مازالوا يصرخون فينا بقولهم: إن مجتمعكم مجتمع ذكوري، لماذا؟ لأنّ المرأة في العموم عندنا لم تتجاوب معهم تماماً، بل هي تحاول جادة أخذ دور المرأة المشروع من الله، وكذلك لأن صحوة في الرجال عندنا تحاول بجد إعادة دور الرجل إلى نصابه كما أمره الله. وقد قرأنا آنفاً نتيجة النفخ بذلك الشعار الخداع في الغرب. وانظر إذا شئت دليلاً مؤكداً إلى الدعايات في قنوات التلفاز، كيف أنها حولت المرأة إلى سلعة تبيع وتشتري بجسدها ومفاتنها، تحت شعار نبذ ذكورية المجتمع وإعطاء المرأة حقها! فمن يا ترى الذي يكرس الذكورية ويؤكد تسليع المرأة؟ الإسلام والمسلمون، أم الدعاة على أبواب جهنم؟! وصدق الله العظيم القائل: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ... ﴾(النساء: ٣٢).

البند الثالث: كيف نبتت القضية

ويتضمن:

أولاً: المرأة وفهم قويم:

١- تمهيد:

أيها الإخوة، أيتها الأخوات: تعالوا نسعى في مناكب الفهم القويم والنسق الرحيم بشأن موضوع المرأة؛ لنلتقي جميعاً على خير، فلا تنساق أقدامنا وعقولنا خلف فلذات أكباد البوار الموسومة بالحداثة والتحرر، ولا نتقوقع داخل حواجز الفهم المتربع على عرش الفقه الضيق الأفق والصدر، ونحن بذلك لا نريد لعقولنا وفهومنا أن تظلّ ملتصقة بالأرض اليباب، التي لا تمسك ماءً ولا تنبت زرعاً، فمثل هذا الالتصاق يميت الإبداع، ويقتل المبادرات،

ويوهن العزائم، ولا يرضي الرب جل وعلا، وإذن فالمطلب يتمثل بهجرة إلى مرابع الإبداع، تنتجه عقول متفتحة ومنفتحة للنص، ومداومة على تفهم الواقع والمستجد، من دون ليّ للحروف عن دروبها التي خصها الله بالقصد والمآلات والأولويات. ونحن في هذه العجالة لا نريد أن ندخل في المماحكات العقيمة والتفصيلات الشيطانية، التي يثيرها أناس لا يبتغون الوصول إلى الفهم المتدبر، بل هم إما أنهم مقلدون للآخر صاحب الغرض والفتنة بلا تدبر، أو أنهم معاندون هجروا الحق وانبتّوا عن الركب المتطلع إلى الخلاص من اتجاهين؛ اتجاه منبهر بما عند الآخر فلا حيلة له إلا تقليده على عمى، واتجاه آخر آثر البقاء في المكان، فلم يتقدم مع النص ليستوعب الواقع والمستجد ولم يُلْقِ بالاً للمقاصد والمآلات والأولويات فهو بذلك زاحم الاتجاه الأول في الإساءة إلى الفهم القويم، فحق لنا أن نواجه ذلك كله بهجر جميل عملاً بقوله تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴾[1].

٢- أحوال المرأة:

لا يعدو حال المرأة عن أن تكون في أحد الأوضاع الآتية: فهي إما أن تكون أماً، وإما أن تكون زوجة، أو تكون بنتاً أو أختاً .. وهي في كل تلك الأحوال مشمولة بتشريع الإسلام القويم العظيم، الذي يعمّ كل حالات وأوضاع المرأة كإنسان مكرم ابتداءً، وذلك ضمن قوله تعالى: ﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖ ﴾[2] (آل عمران: ١٩٥).

إنه العدل الإلهي الذي لا يدانيه عدل آخر، بقوله تعالى: ﴿ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖ ﴾ المرأة والرجل في حزمة واحدة، يقفون بين يدي الله، لا يفرقهم جنس، ولا يقف إلى جانبهم عند حسابهم أحدٌ ممن يقلقون سمع الناس ليلاً ونهاراً

---

(١) المزمل (١).
(٢) آل عمران (١٩٥).

بترهات المساواة، التي يبتغون من ورائها إفساد الزوجين (الذكر والأنثى)؛ إذ لما صدع المشرع ﷺ في الحديث الشريف: (النساء شقائق الرجال) قطع به قول كل مفترٍ، وقول كل ماكر فاسد يريد للمرأة أن تتبرج للمفاسد والآثام، ومخالفة طبيعتها ووظيفتها التي وكلها رب العزة لها، مبتغياً من وراء ذلك هدم أساسات المجتمع، لتنزل إلى الطين والتراب فلا ترتفع عنهما، فهي بذلك تتقلب في دياجير الإثم والرذيلة والعنت. فهل بعد النصين اللذين أوردناهما من قول لقائل أو زيادة لمستزيد..؟!

ولما انتهينا إلى القول الفصل بحق المرأة، وأنها متساوية بالعدل مع شقيقها الرجل بالتكاليف والجزاء والقيمة الإنسانية، نعرّج الآن إلى مكانتها حسب أوضاعها التي ذكرناها آنفاً، فنقول: إن الشك الذي يذروه المعاندون المقلدون، لا يغبش رؤية الموقنين، لكنه يراهن على إغواء الغافلين، الذين اختلطت الرؤى لديهم، بين اتباعٍ تساومه عتمة المراوحة في المكان، وبين (حداثة) فغرت أفواهها لابتلاع القلقين الحائرين، ولو أنهم نظروا إلى مواقع عزهم لوجدوا لدى كتابهم العظيم وسنة نبيهم الكريم إجابات محكمة لكل سؤال يسألونه، وكأنها تنزل عليهم الآن، متدبرة واقعهم ومستجداتهم وأولوياتهم، دون عنت ولا ليّ، ولا افتئات على النص، ولا قضم لمراميه وغاياته ومقاصده العالية الغالية.

فمن أين أبدأ؟ عفواً، لا تأخذ عليّ حيرتي! فالنصوص تتزاحم على بوابات ذاكرة النقل، وتتراكض نحو الشفاه، وهي جميعاً تعلمك كيف يكون الاحترام والتقدير العاليين للمرأة الأم .. ألم يأتك خبر قوله تعالى: ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ**

﴿ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء: ٢٣-٢٤)؟

وبعد أن أخبرت، فاعلم أنه لم ينص دين ولا قانون ولا عرف على مثل هذا الاحترام والتقدير للأم مساوية للأب في ذلك، مقترناً ذلك الاحترام والتقدير بعبادة الله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾؛ فهذه الحروف العظيمة تقودك إلى عبادة الله مقترنة بالإحسان إلى الوالدين، ومصاحبة لمساواة الرجل بالمرأة الأم في تقديم آيات التقدير والاحترام والطاعة، وإذا أردت أن تمنح نفسك المزيد من الاقتناع ومن صهيل الرضا، فاستمع إلى نداء ربك يقول لك: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ (لقمان: ١٤) ... فهنا المساواة في شكر الوالدين مع شكر الخالق سواء بسواء؛ إذ لم يقل رب العزة: أن اشكر لي ثم لوالديك، بل جاء العطف مباشرة لتكون المساواة بين الشكرين ملازمة لهما، وأحسب أنك ستقول: أين الخصوصية للأم؟ فأقول لك: استيقظ يا رجل وتدبر قوله تعالى في الآية السابقة: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ ، ألا يستحق هذا العناء المرهق شكراً زائداً على شكر الوالد...؟ لا أظن أن عاقلاً لم يفهم هذه الإشارة الربانية البليغة إلى تفوق الأم في الاحترام والشكر المقدمين من الابن رجلاً كان أم امرأة .. فإن أردت الخصوصية الصريحة للمرأة الأم، فارجع إلى توجيه رسول الله ﷺ، الذي يجيب فيه على سؤال السائل: (يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: (أمك). قال: ثم من؟ قال: (أمك). قال: ثم من؟ قال: (أمك). قال: ثم من؟ قال: (أبوك)). متفق عليه. فما الذي تريده المرأة الأم بعد هذا التكريم والاحترام الذي فرضه الله فرضاً على جميع بني آدم؟ هل تريد خروجاً على شرع الله؛ انصياعاً للمضلين من دعاة الآثام المختبئة خلف شعار المساواة؟ أم تريد

هجرة إلى العلو والنظافة والاحترام وفهم قويم؟

٣- الإحسان:

قال الله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ (الرحمن: ٦٠).

تلك القدوة التي تركها فينا رسول الله ﷺ، أين اختفت؟ أين أودعناها وارتبكنا؟ لماذا أهملناها واختطفتنا العادات والتقاليد، لنكون أمام ذلك المجهول الذي يختبئ لنا في زاوية من حياتنا الأسرية (الزوجية)؛ خلافات لا حدود لها، وتعاسة لا تبقي من الحياة إلا النكد، وطلاق ينحاز إلى نسب لا تصدق، وأيام أسرية مطلية في كثير منها بالنفاق والغموض وتراكم الحيرة والضياع، ولو أننا فهمنا معنى الآية الستين من سورة الرحمن: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ لقدمنا بين يدي نجوانا الأسرية صدقات من الإحسان إلى الابنة والأخت والزوجة، لنحصد في مآل الأمور إحساناً أكبر وأضوأ وأنقى، وحياة أسعد، ومجتمعاً يربأ بأهله أن تتحكم فيهم عادات وأوهام وأعراف ما أنزل الله بها من سلطان، وهي التي كانت مسؤولة منذ زمن بعيد عن هذا العثار الذي يلف أسرنا ونظام مجتمعاتنا بغلاف جاهلي، يدعي العلم والتعليم والتقدم. وكانت البداية حين غادر الناس بخطواتهم بوابة الهدي الرباني والرسالي، ثم انزلقت الخطى مع الوقت إلى تغليب قوانين الجهل والعادات على النص القرآني والنص الرسالي، وأصبح التعامل داخل الأسرة هوىً متبعاً، وهولاً يقضم أطراف العقل، يحاول طمس معالم فجر القرآن وإشراقاته الفذة في النفوس.

فها هي أقدامنا تتعثر، وتتأخر عن الأخذ بما شرعه رب العزة في التعامل مع المرأة الزوجة بقوله جل من قائل: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ (**البقرة: ٢٢٨**)، أو قوله جل وعلا في التعامل معها زوجة وأختاً وابنة بقوله

السامق المغدق: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖ﴾(آل عمران: ١٩٥)، أو قوله سبحانه وتعالى﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ (النساء:١٩)، وقوله جل من قائل: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ﴾ (النساء:٧)، أو قوله وأمره وهو الذي له الخلق والأمر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ﴾ (النساء:١٩). ثم يشرح رسول الله ﷺ، ويبين بشرحه وبيانه ما يوافق أوامر ربه القرآنية، فيقول فيما يتعلق بشأن المرأة زوجة وأختاً وابنة: ((استوصوا بالنساء خيراً)) رواه البخاري ومسلم. وقوله ﷺ: ((أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم)) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

وقد دل فعله عليه الصلاة والسلام على خيريته لأهله، فكان القدوة الحسنة حين سابق زوجه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، إذ قالت: ((سابقني رسول الله ﷺ فسبقته، وذلك قبل أن أحمل اللحم، ثم سابقته بعدما حملت اللحم، فسبقني، فقال: هذه بتلك)) رواه أحمد. ومن هذه الأدلة التي صنعت من التعامل مع المرأة بجميع أشكال تموضعها في المجتمع، وكانت قدوة أهداها رسول الله ﷺ للناس وتشريعاً ماضياً في هذا الشأن إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وما عليها، أقول: إن من هذه الأدلة قوله ﷺ: ((النساء شقائق الرجال))[١] ثم فعله يوم أن بايع النساء الأنصاريات في بيعة العقبة الثانية مثلما بايع الرجال، فهذه إشارة أكثر من صريحة على مساواتهن بالرجال في الاختيار العقدي والسياسي والمجتمعي. ثم كان ﷺ القدوة

(١) من صحيح أبي داوود (وانظر صحيح الجامع الصغير ((الحديث رقم ٣٣٩٢)).

المثلى برضاه عن جهاد النساء ومشاركتهن في الدعوة والقتال والدفاع عن حياض الإسلام ورسالته، وخروجهن معه في المعارك، حيث حضرت أم عمارة (نسيبة) وغيرها من المجاهدات المسلمات المربيات لأبنائهن على حب الله ورسوله أكثر المشاهد مع رسول الله وأصحابه من بعده، كما شاركن في الاختيار والبيعة، كبيعة العقبة الثانية وبيعة الرضوان، وصلح الحديبية، وها هن يصاحبن الرجال في خيبر، حيث كان منهن عشرون من الصابرات المجاهدات وعلى رأسهن أم عمارة، وفي غزوة حنين شاركت أم عمارة وعدد من النساء الصحابيات المربيات، منهن أم سليم، وأم سليط، وأم الحارث، وقد عملن مع رسول الله ﷺ لإعادة الفارين في بداية المعركة، حين فاجأ المشركون ركب الجيش المسلم بكمائن أعدت بليل، وهن يصرخن بهم: أيها الأنصار، ما لكم وللفرار؟! ما هذه العادة، إنها غريبة! ولا تكتفي أم عمارة وشقيقاتها بذلك، بل حملت أم عمارة سيفها على رجل من المشركين، كان يهم باللحاق بالفارين فوق ناقته حتى ثبتته -رضي الله عنها-، وبذلك نالت نسيبة بنت كعب رضا رسول الله ﷺ عنها، إذ قال لها: ((ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة!)) وأضاف عليه الصلاة والسلام: ((لمقام نسيبة بنت كعب خير من مقام فلان وفلان)).

هذه هي المرأة ومكانها ومكانتها في دين الله الإسلام، وهذه هي نصوصه التي شرعت لها أن تكون شقيقة للرجل؛ أماً وزوجةً وابنةً وأختاً، وكان لها من الحقوق ما للرجل، وعليها من الواجبات ما عليه، مع الأخذ بعين الاعتبار ما فضل الله به بعضهم على بعض، بحيث لا يطغى أحد منهما على الآخر، ولا ينقص من حقه نقص.

وأخيراً وليس آخراً، لنبتدر الهجرة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ

﴿ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ ﴾(النساء:٣٢)؛ لتقرر لنا الآية ما يجب علينا اتباعه، فنصنع سلام الأسرة والمجتمع والأمة، وذلك من خلال تقرير: أن المرأة شقيقة الرجل، فهي الأم الرؤوم، وهي الشريكة الودود، وهي الأخت والابنة في أسرة يسودها الحب والسكينة، إن لزم الجميع شرع الله من مساواة ومن تفاضل، دون اعتداء من أحد على فضل الآخر، فقد فضل الله الرجال بأشياء أهمها الرجولة والقوة، اللتان تعينان على أن يكونوا الكادحين القائمين على حماية الأسر وتلبية حاجاتها وإقامة العدل فيها، وفضل الله النساء بأشياء أهمها العاطفة الجياشة والصبر والحنان، وهي التي تعينهن على أن يكن راعيات مديرات لبيوتهن، يدرن فيها الحب والحنان والسكينة والمودة، ويؤدين دور الملطف لخشونة الحياة وتفاعلاتها في مجتمعاتهن، بحيث يضفين على التنافس فيها روح المودة والصدق والحرص والدماثة والوفاء، لتكون الإدارات السياسية والاجتماعية والاقتصادية مستوفية حدود التفاهم السلس، وتبادل المواقع الليّن. وبذلك تتحرر مجتمعاتنا من روح التقليد للمناهج الفاشلة الفاسدة الخائبة، وتنبذ روح المزاحمة والمناكدة والخصومة بين مكوني مجتمعاتنا الرجل والمرأة، وتقع على الإحسان الذي جزاؤه الإحسان.

ثانياً: ما هي القضية؟

قال تعالى: ﴿**فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖ**﴾(آل عمران: ١٩٥).

١- حقيقة المشكلة:

إن مفهوم الفردية الغربي المطلق، قاد إلى إنتاج قواعد مجتمعية وسياسية واقتصادية شاذة، كما أنه دفع بالإنسان إلى حيزِ تفكيك بناه الفكرية والأخلاقية، ليجعلها خاضعة للأمزجة والأهواء المتقلبة المختزنة في دواخل

مريضة، وجدت نفسها فجأة أمام منجزات تقنية وإنشائية هائلة، فراعها ما أنتجته العقول، وهزها ما أحاط بها وغمرها من نتاج مادي محموم، وجعلها تغض النظر عن كل ثوابت الإنسان ومعتقداته وطريقة حياته، مما أدى إلى ارتباك الإنسان؛ إذ راح يفقد مكونات التكيف الإيجابي الذي حباه الله إياه، تجاه ما تقابله به الحياة من مستجدات، ثم أخذت العقول الفردية - التي غرتها فكرة (الصراع) الأبدي بين مكونات هذا الكون -، ترسم كل الأفكار وكل الممارسات والسلوكيات ومنافذ الحياة، على أساس من هذا الصراع الذي أبدعته الفردية المطلقة الهائمة في الدواخل المريضة بعدم التوازن، المفتخرة (بالعقل المطلق)..!! الشارد من قواعد الانسجام الكوني، القائم على قواعد ربانية أرساها خالق كل شيء عز وجل، جاعلاً من تلك القواعد شروطاً لمرور الحياة الإنسانية إلى الملاذات الآمنة، والتجائها إلى التوازن الرائع، الذي يقود الإنسان في مسارات محسوبة الخطى، مدروسة المآلات، منسجمة مع كل المحيط (أحد جبل يحبنا ونحبه).

وكان من بين تلك المفاهيم المريضة التي أنتجها الفكر الفردي المطلق الآخذ بالبناء فوق (الصراع) مفهوم الصراع بين المرأة والرجل، الذي أقاموه فوق أساس مِلْحي هو المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة، وليس على أساس الانسجام الكامل بين مكوني الوجود الإنساني القائم على العدل.

وهنا يحق لنا القول: ليست مشكلة المرأة عندنا في حجابها ولا في حيائها وخفرها، ولا بموضوع عملها وخروجها من بيتها أو التزامها به، بل إن المشكلة عندنا تتناول كلاً من الرجل والمرأة على حدٍّ سواء، وذلك في طريقة تربيتهما الخاطئة، وفي عدم التزام الجميع بالقواعد الربانية التي جعلها

رب العزة أساساً لسعادة هذا الإنسان في أيام المرور الدنيوي المؤقت، كما أن المشكلة تتمثل أكثر ما تتمثل بالخلل القائم في طريقة إدارة المجتمعات، غربية كانت أم عربية وإسلامية، ذلك الخلل الذي دخل في كل مناحي حياتنا؛ من البيت إلى المدرسة إلى السوق والدائرة والحكم وإلى الشارع وكل المؤسسات المقامة في أنحاء المعمورة؛ الاقتصادية منها والاجتماعية والسياحية والسياسية، وارجع إذا شئت إلى هذا الانهيار الاقتصادي الذي أتى على كل شيء في هذه الأيام، واعتراف الجميع أن التعاطي الإسلامي الاقتصادي والمالي كان حافظاً لعالم المال الإسلامي بنسبة كبيرة من دواعي ما يجري لمؤسسات المال والائتمان الغربية، التي بُنيت على أسس غير مهتدية، بل هي منفلتة من قواعد التوازن والأخلاق والإدارة الحكيمة للمال.

٢- العلاج:

وإذن، فإن مشكلة المرأة في العالم لا تخصها وحدها، بل هي مشكلة عامة معممة على المرأة والرجل والطفل والطفلة، وعلى كل العلاقات الإنسانية، وهي تتلخص بأن الخلل القائم الآن إنما هو خلل ناتج عن اتباع القواعد التي وضعها الإنسان الغربي، منطلقاً من الفكر الفردي المطلق، ومن مفهوم (الصراع) المنفلت من كل قيد قيمي أو أخلاقي .. وإلا لو كانت المشكلة في المجتمع الذكوري كما يقولون، أو الأبوي البطركي كما يدعون .. فلماذا لم تتحرر المرأة الغربية- التي يدّعون أنها أخذت حريتها كاملة من ربقة اضطهاد الرجل؟ إن كل إحصائيات العالم الغربية تتحدث عن النسب الهائلة في وقائع اضطهاد المرأة في أمريكا وكندا وأوروبا، وكل من سار على درب هؤلاء، وذلك بما يزيد ويتفوق على ما هو قائم في مجتمعاتنا الإسلامية من خلل في التعامل مع المرأة، سببه الخروج على قواعد الإسلام في كل مناحي

الحياة؛ فالإسلام الذي قالت آياته القرآنية: ((فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض)) [١]، والذي قال حديث رسوله صلى الله عليه وسلم: ((النساء شقائق الرجال)) [٢] وقال أيضاً: ((استوصوا بالنساء خيراً)) [٣] .. أقول: إن الإسلام وضع المرأة والرجل على سكة القواعد القائمة على العدل بينهما، التي تجعل الحياة تجري بانسجام وتواؤم وتوازن لا إفراط فيه ولا تفريط، ويوم كانت مجتمعاتنا تقيم أساساتها فوق تلك القواعد، كانت الأمثلة على تكريم المرأة من الرجال كثيرة؛ لأن الجميع فهموا أن طرفي المعادلة الإنسانية (الرجل والمرأة) مكلفان بتصحيح مسار الحياة على هدي من مبادئ الخالق، الأعلم بما يصلح حالهما. ومن هذه الأمثلة التي عالجت ويمكن أن تعالج الوضع القائم:

أ- إن عائشة - رضي الله عنها - التي اشتركت في الحياة العامة والسياسية، وروت الحديث والعلم، كانت تفعل كل ذلك وهي تكلم الرجال من وراء حجاب، ولم تزاحمهم في الشوارع والأسواق بلا حاجة، لكن ذلك لم يعقها عن إتمام مهماتها بجدارة فذة.

ب- وإن المرأة التي قالت لعمر رضي الله عنه عندما أراد أن يجعل لمهر المرأة حداً: كيف تفعل ذلك والله تعالى يقول ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ لم تكن إلا امرأة مسلمة محجبة وحيية، ولم تكن رئيسة جمعية نسائية، ولا مطالبة بالحقوق، ولا داعية اختلاط أو تبرج وانفلات، بل كانت تمارس حقها السياسي والاجتماعي، كما أراده الإسلام؛ لذا كان رد عمر عليها:

(١) انظر توثيقه فيما سبق (الفصل الأول).
(٢) انظر توثيقه فيما سبق (الفصل الأول).
(٣) انظر توثيقه فيما سبق (الفصل الأول).

أصابت امرأة وأخطأ عمر.

وهذا الموقف السليم من المرأة ومن الرجل عمر (أمير المؤمنين) – رضي الله عنه – كان لأنهما (الرجل والمرأة) فهما دينهما، وتنورا به، وتدبرا مقاصده وغاياته، وقاما على تنفيذه تنفيذاً صائباً.

ج- ويذكر ابن سعد في الطبقات الكبرى أن نيفاً وسبعمئة امرأة ممن روين عن رسول الله ﷺ، وروى عنهن رجال كثيرون، وكن عجباً من ناحية الصدق والأمانة، حتى قال الذهبي: (وما علمت من النساء من اتهمت ولا من تركوها).

إن العدل الذي تبتغيه المرأة الغربية أو المرأة العربية والإسلامية لن تجده إلا في الإسلام، شرط الالتزام به كاملاً وهذا هو العلاج.

ثالثاً: صورٌ وافدة..!

قال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ **(الكهف:٢٨)**.

أ- من تلك الصور:

يجب أن نلحق بمدن الضياء بمدن الأنوار، وأن تكون حرية المرأة الغربية وتقدمها قدوة ورمزاً لنا!! هكذا يردد بعض من النخب الرجالية والنسائية في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، وأقول: لقد وضع هؤلاء غطاءً قاتماً على أعينهم، وساروا في طريق الببغاوية التي لا تفقه شيئاً؛ فهي تقلد من يقول أمامها الكلام دون تفكر بما يحدث عند قدواتهم وفي مجتمعاتهم من أخطاء وخطايا، سبّبها لهم اتباع الهوى، والغفلة، والانشغال بزينة الحياة الدنيا، وبالاقتتال على مقتنياتها التي منها المرأة - كما يزعمون - وذلك خلافاً

لتوجيه ربنا عز وجل للإنسان؛ إذ قال في كتابه العزيز: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾. وهؤلاء وأولئك لا ينفكون عن توجيه الاتهام للإسلام بأنه معادٍ لحقوق المرأة، وذلك إما بصورة مباشرة، أو بصورة غير مباشرة، أو ملتوية تتستر خلف لافتات في عناوينها الإغراء، وفي باطنها العذاب الدنيوي قبل الآخرة. وهم في سبيل تأييد رأيهم المتهافت هذا، يحتمون بوقائع بائسة تحدث في مجتمعاتنا، وهي مخالفة للإسلام والقرآن وتوجيهات رسول الإسلام، فيما يتعلق بالمرأة التي وجدت في دين الله كل إسناد ودعم وعدل وإنصاف وتحرير من ربقة الجاهلية والهوى الإنساني الجاهل الأعمى.

وحتى ندحض مفتريات الصورة الأصلية لهذا الرأي الأغبر، ونلفت نظر المروجين له من أمتنا نساءً كانوا أو رجالاً، نورد فيما يأتي وقائع وإحصائيات غربية، تبين فساد ذلك الرأي السائر خلف مقولة: إن حال المرأة الغربية يشكل قدوة ومثالاً صالحاً، وتُثْبِت أن السير خلف هذه المقولة إنما هو سير يفضي إلى الهاوية بمجتمعاتنا، التي ما زالت متماسكة في كثير من وقائعها، رغم وجود الكثير من حالات الظلم والظلام، اللذين يسببهما مغادرة تعاليم الله الخاصة بالمرأة أولاً، ثم التقليد الأعمى للمستورد من الأفكار ثانياً، ثم استهانة بعض الإسلاميين بالذات بحقوق المرأة والمصاهرة، والسير مع التيار المحيط بهم، الذي تغيب عنه مبادئ الأحكام الإسلامية ثالثاً وإليكم هي:

١- (الحيوانات عندنا تعامل في كثير من الأحيان بأحسن من معاملة النساء .. إنه إذا ضرب زوج زوجته في الشارع لا يتحرك أحد، بينما إذا ضرب كلب، فسوف يتقدم أحد الرجال أو النساء بشكوى...) من تصريح "الميشال أندريه" أمينة سر الدولة الفرنسية.

٢- وقد جاء في دراسة أمريكية أن ٨٧% من عينة تلك الدراسة قالوا: (لو

عاد بنا التاريخ إلى الوراء – أي لو استقبلنا ما استدبرناه – لقلنا: إن دعوة المساواة بين المرأة والرجل لم تكن إلا مؤامرة اجتماعية ضد أمريكا).

٣- جاء في استطلاع للرأي نظمته جامعة (كورتيل الأمريكية) للعاملات في الوظائف المدنية: إن (٧٠% من أولئك النسوة تعرضن لمضايقات واعتداءات جنسية).

٤- تقول الصحفية الأمريكية "هيليان ستانبري": (امنعوا الاختلاط ... فقد عانينا منه في أمريكا كثيراً).

٥- قالت الوكالة التربوية الأمريكية: أظهرت دراسة أجريناها أن الأمريكيات في الصفوف المختلطة أكثر عرضة للإصابة بالقلق والاكتئاب والتفكير بالانتحار بل الإقدام عليه.

٦- وفي دراسة قام بها "ميشيل فيز" الباحث في المركز الوطني للأبحاث العلمية والمستشار السابق لوزير الشباب والرياضة في فرنسا، أكدت هذه الدراسة أن المراهقين في الفصول المختلطة يقرأون النصوص بصعوبة، وأن الفصل بين الذكور والإناث في التعليم يسمح بفرص أكبر للطلبة للتعبير عن إمكاناتهم الذاتية، وتطالب الدراسة بتطبيق النظام غير المختلط، من أجل الحصول على نتائج دراسية أفضل.

٧- أما خبيرة التربية الألمانية (كارلوس شوستر) فإنها ترى أن الاختلاط في المدارس يلغي دافع التنافس بين الطلاب.

تعليق: لكن المقلدين عندنا – ما زالوا – يدعون إلى الاختلاط بدعوى المساواة..!!

٨- يقول "د. كينت غرينسان" من جامعة "كولومبيا": إن حركة تحرير المرأة قد فتحت خيارات خطرة، وما تطرحه من تحديات قد يكون مدمراً للمجتمعات.

٩- ومن آثار (تحرير المرأة الغربية): أصدر المعهد الوطني لمكافحة الإدمان دراسة إحصائية قالت: إن هناك ٤٧ مليون امرأة في أمريكا تتعاطى المهدئات والمسكنات مقابل ٢٩ مليون رجل فقط، وأن ١٥ مليون امرأة تتناول المنشطات والمقويات يومياً مقابل ٥ ملايين رجل، وأضافت الدراسة قولها: إن هذه النسب تكاد تكون ضعف ما كانت عليه في الخمسينات والستينات من القرن الماضي (يوم كانت المرأة لم تستغرقها مطالب التحرير، وبعيدةً عن اتفاقية سيداو، وجنس الجندر، وبث روح التحرر (عفواً الفلتان) عند المرأة.

١٠- وهذه الفرنسية "رولت غيو" التي أسلمت وسمّت نفسها هدى قالت: (المرأة لم تسترد اعتبارها الإنساني إلا في ظلال الإسلام).

١١- وهذا تقرير مجلة "جود هاوس كينج" أكدت في دراسة واستطلاع أن الأعمال المنزلية للمرأة عموماً تخفف من التوتر وتصرف انتباه الشخص عما يشغله، بالإضافة إلى أنها تُعد تدريباً ممتازاً للعضلات وتخسيس الوزن، وإزالة الدهون وفتح الشهية، والإحساس بالراحة والاسترخاء بعد أدائها، ويضيف التقرير: إن الأعمال المنزلية لها علاقة مباشرة بشعور الإنسان بذاته؛ فعندما تشعر المرأة أنها تسيطر على البيئة التي حولها، وأنها تخلصت من الفوضى والقذارة، وتجد كل ما حولها نظيفاً ومرتباً وهادئاً، تشعر بالرضا عن نفسها، وعن إنجازاتها، بل إنها تشعر أنها عوضت مواطن النقص التي بداخلها، وللأسف فإن بعض الحركات النسائية أثارت اعتراضها على عودة المرأة إلى أعمال البيت،

وقالت: إنها ليست مهمة المرأة. وقال التقرير رداً على ذلك بأن عودة المرأة إلى أعمال المكنسة والممسحة هو علاج أكثر منه واجباً، وعمل أكثر منه سخرة، ونشاط أفضل من الكسل، واقتناع بأن ما تفعله المرأة لا يستطيع الرجل أن يفعله لأن البيت هو مملكتها.

١٢- وأخيراً هذا البروفسور الإسباني "سيمونس مور" يقول: (أكدت آخر الإحصائيات عن أحوال المرأة الغربية بأنها في أتعس فترات حياتها المعنوية رغم البهرجة، ورغم ما أحاطوها به من دعايات وإعلانات؛ حيث يعتقد البعض بأنها نالت حريتها، بينما هذه الحرية لا تتعدى ذلك النجاح الذي حققه الرجل في دفعها إلى مهاوي ممارسة الجنس معه دون عقد زواج، وهناك اعتراف اجتماعي عام بأن المرأة الغربية ليست هي المرأة النموذجية، ولا تصلح أن تكون كذلك) إننا لا ندعو المرأة للعودة إلى الوراء، بل نقول: على رسلكم أيها الماضون بلا تدبر خلف الآخر، وليتوقف الجميع عند ما حققه الإسلام للمرأة قبل أن تتزلق إلى مهاوي الدمار، فتندثر إنسانيتها وأنوثتها، وتفقد الحقوق التي منحها إياها الإسلام الذي أراد لها كل خير وحفظ وتقدم وحرية مسؤولة، وعدل وتكامل مع الرجل لا تنافس فيه ولا ندية.

ب- مراجعات للفكر الوارد:

قال تعالى: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ **(ص: ٨٢-٨٣)**.

كل يوم يأتي العلم بجديد، يوضح للناس مدى إغواء الشيطان لهم في اتباع أفكار زينها في قلوبهم، وحببها إلى نفوسهم: أنها سادت التيار الغالب في

العالم الإنساني، وذهبت به المذاهب الضالة، وقادته إلى معاكسة النواميس الربانية الثابتة، مُبهْرِجة لهم ذلك بلا فتنات خداعة .. كُتب في سطرها الأول: إن التطور والتقدم هما السُّنة العاملة في الحياة .. حتى لو أتت تلك السنة على إهانة كل الرموز، وطالت كل القيم بالتهم والسخرية والتشنيع، ابتداءً من كلمة التقليدية، وانتهاءً بالجمود والتحجر، ومروراً بالرجعية والتخلف والانحطاط.

ولقد مضى زمان على الناس كانوا يواجهون فيه الحق بكلمات جاهلة، إذ يقولون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ **(الزخرف: ٢٢)**. وكان الناس المهتدون المفلحون المقبلون على تطوير الحياة بما يصلحها يَعدّون هذا القول من هؤلاء قمة في التحجر وعدم الانفتاح، والتوقف عن إعمال العقل في المعروضات عليهم .. وكان أصحاب شعارات التطوير والتقدم، يعيبون على البعض وقوفهم عند التاريخ ومنتجات الماضي، حتى إذا جاء العلم بكثير من الحقائق التي تفند أفكار هؤلاء التي يصفونها بالتقدم والتطور، وقفوا مبلسين لا يحيرون جواباً إلا جواب من سبقوهم من المتحجرين مصرين على ضلالهم وإفكهم وما افتروا به على خطة الحياة المهتدية بهدي الله وسننه التي قننها للحياة البشرية، كي تكون مسيرتها مستقيمة آمنة، سائرة إلى المآلات السعيدة الممتدة من الدنيا إلى الآخرة.

وكما اكتشف العلم حديثاً أن (القلب) في جسم الإنسان، عضو له إدارته الخاصة، وله حاسوبه الخاص به، تصنع فيه المشاعر والعواطف والهداية، غير متأثر بذلك بالمخ وإدارته وأوامره، فكان ذلك تفسيراً وشرحاً علمياً لما جاء في القرآن من وصف للقلب المدرك المهتدي، المتحرك بالعواطف والمشاعر البشرية: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ﴾ **(النازعات: ٨-٩)** ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ **(الأعراف: ١٧٩)** ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى

ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ (الحج:٤٦).

أقول: لقد جاء الاكتشاف التشريحي الحديث بعد إجراء الفحوصات على فتيات مراهقات رياضيات، فأثبت أن الفتيات الرياضيات يواجهن انقطاعاً للطمث لديهن أي (الدورة الشهرية) كما يواجهن كثافة أقل في العظام، وذلك مقارنة مع نظيراتهن من غير الرياضيات؛ إذ قالت الدكتورة (مادهو سميتاميسرا) الباحثة والمشرفة على هذه الدراسة لنشرة (رويترز هيلث): "هناك نافذة حرجة خلال فترة البلوغ عند استخدام كتلة العظام إلى أقصى حد، ويشير انقطاع الدورة الشهرية إلى أن الجسم لا يصنع القدر الكافي من الهرمونات اللازمة لتعزيز كتلة العظام، وهذا يؤدي إلى تراجع في معدل تراكم كتلة العظام، في عمر يتعين فيه وصول الكتلة إلى أعلى المستويات". وتضيف الباحثة من المستشفى العام في (ماساتشوستس) وكلية طب هاردفارد في بوسطن:

"إن الرياضيات اللائي انقطعت لديهن الدورة بسبب ظروفهن الرياضية قد تكون لديهن كتلة العظام أقل من المستوى المطلوب.. وهو ما يؤثر على صحة العظام بوجه عام في وقت لاحق من الحياة".

أوردتُ هذا الخبر لأقول: إن العلم يثبت للناس كل يوم أن مخالفة السنن الربانية في الوظائف الإنسانية، والمهمات الموزعة بين الناس ذكرهم وأنثاهم، تؤدي إلى إحداث خلل كبير أو صغير في التركيبة الجسمانية، أو الفكرية أو الحياتية اليومية للإنسان، مما يضر ويسيء إلى السلامة والسلم الإنسانيين فوق الأرض. وهذا الخبر الذي أوردته آنفاً إن هو إلا واحد من أمثال علمية كثيرة تبرهن كل يوم على مدى اعتداء الإنسان في عصرنا على السنن

الرباني، وكيف أن العقاب من الله يأتي مباشرة جزاء المخالفات الحادثة.

ولقد حفي لسان الواعظين والمفكرين الهادين المهديين، وهم ينادون ويقولون: يا قوم .. يا ناس.. نعم، إن المرأة والرجل هما جناحا الطائر الإنساني، وقد ألهم الله في سننه كل جناح مهماته ووظائفه التي تناسب جسمانيته ونفسيته، وما وضعه الله فيه من قدرات وإمكانيات، وأن مخالفة ذلك لابد أن يُحدث خللاً في مسيرة الحياة، يؤدي إلى الإضرار ووقوع العقاب العاجل قبل الآجل.. غير أن الناس في عصرنا بدءاً بالغربيين وانتهاءً بالببغاوات في أرضنا يصرون على اتباع الشيطان، الذي يريد أن يخلّ بمسيرة حياة الإنسان ليجرّه بغواياته إلى ما ساقته إليه نفسه الخبيثة وكِبْره من عقاب الطرد من رحمة الله، والعذاب الدائم المستمر: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ (ص/٨٢-٨٣).

إن المرأة - عند العباد المخلصين - إنسان كامل الإنسانية، وهم ينطلقون في هذا الاعتقاد من إيمانهم بسنن رب العالمين، وكذلك الرجل فهو إنسان كامل الإنسانية، فهما (الرجل والمرأة) متساويان في إنسانيتهما، وفي التكليف والجزاء. لكن الله خلقهما وخلق في كيان كل منهما ما يجعل كل واحد منهما صالحاً لمهمة، يجب ألا تخترق حدودها إلا في حالة الضرورة والحاجة المُقدّرة المُقنّنة، اللتين تقدران بقدرهما، لا بالفوضى التي يسمونها (المساواة المطلقة)، بحيث تجدُّ الدعوة إلى إحلال كل من طرفي المعادلة الواحد منهما مكان الآخر، وهو ما يؤدي إلى جهد أكبر وناتج أقل، وخطط غير مهتدية للحياة، تسير بالناس إلى شعاب حياتية تائهة ضالة، ولذلك فقد شاهدنا اليوم بأم أعيننا عقوباتها العاجلة، من فقدان للأمن والأمان والسلام الأسري والمجتمعي، فلا الرجل آمن ولا المرأة آمنة، هذا فضلاً عن مجموعة

الأمراض التي بدأت تصيب كلاً منهما .. ومنها هشاشة العظام، التي أشارت إليها الدراسة الطبية الآنفة الذكر، بسبب وضع المرأة في المكان غير المناسب، كما شاهدنا انحدار مقام الأب في الأسرة، والضنك الذي تعيش فيه المرأة الزوجة العاملة في غير مكانها، وضياع الأجيال الصغيرة الصاعدة، وفقد الاحترام منهم لآبائهم، الذين يتركونهم بين أيدي الغرباء، وصدق الله العظيم القائل: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾**فصلت -٥٣-** وصدق رسول الله ﷺ الذي يوجهنا إلى التمسك بقوله الحق بحديثه الشريف: ((لا يكن أحدكم إمعة، يقول: أنا مع الناس إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساؤوا أسأت، ولكن وطّنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساؤوا أن تجتنبوا إساءتهم)) رواه الترمذي وهو حديث صحيح.

رابعاً: علاج القضية

١- إنها أمانة:

قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ **(الذاريات: ٥٦)**

الإنسان (ذكراً كان أم أنثى) لم يخلقه الله عبثاً.. "حاش لله أن يكون شيء فيما أبدعه عبثاً .. ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ **(القمر: ٤٩)** .. إنها الحياة .. أمانة حملها الإنسان (الذكر والأنثى) باختياره: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ **(الأحزاب: ٧٢)**.

وإذن فإن الحياة رسالة وهي أمانة، يقوم كل مخلوق في هذا الكون بتأدية واجب محدد منها، بصورة متكاملة متعاضدة عادلة، بحيث تؤدى الأمانة في

نهاية الأمر كما أرادها الله تيسيراً منه للعيش الآمن، وتسخيراً منه جل شأنه لعناصر هذا الكون ليخدم الإنسان المخلوق المكرم المقدم عند الله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (الإسراء: ٧٠). وهكذا فإن العدل في توزيع المهمات على المخلوقات من كل نوع هو الذي يجعل الوصول إلى الهدف متيسراً بلا خلل ولا معوقات. إن المساواة بين مكونات هذا الكون ومخلوقاته لا تعني أكثر من العدل الرباني الذي ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ (طه: ٥٠)؛ أي أعطاه مهمته وسبيل خدمته للهدف الذي هو الاستقامة على مراد الله للمخلوقات جميعاً، المعين في قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات: ٥٦)، فإذا حاول البعض من مخلوقات الله الخروج على هذا العدل والتكامل في توزيع المهمات كان الاعوجاج في السير، وعدم الوصول الآمن، والارتكاس في حمأة غش النفس، والخضوع للهوى والشهوات، والانجراف في منهج الصراع بين الرجل والمرأة، الذي ابتدعه الغربيون، وسارت الحركة النسائية عندنا اليوم في ركبه باتجاه الدمار.

هذه هي رؤية المسلم العملية في هذه الحياة؛ فهو يؤمن بأن كل حركة وسكنة في حياته هي عبادة لله بمعناها الواسع، إذا قدمها بالصورة التي ارتضاها الله له، وبذلك يكون رضا الله عنده هو الغاية، وهو الطريق لمسيرة حياتية قويمة، ومصير أخروي ناجٍ، من خلال الالتزام بالأمانة.

والمرأة ليست بدعاً في هذا التشكيل الفكري السامق المحكم في الأمة المسلمة، فالمهمة التي أوكلت لها في هذه التشكيلة هي أمانة بناء للأجيال، وخطة سكن ومودة للرجل والمرأة، تتقاسم فيها المرأة والرجل المهمات، فالمرأة تهون مصاعب الطريق، وترطب قيظ المعاناة، وتكون عنصر إيواء

آمن هادئ مجدد لطاقات الزوج والأولاد وجميع عناصر الأسرة، والرجل يكدّ ويكدح لتأمين حاجات الأسرة ومتطلباتها، وإن الخروج الفادح على هذه الأمانة، سوف يكون معول هدم في جدار التشكيلة الحياتية، بحيث لا يستقيم بعد ذلك المسير، ولا تطمئن المجتمعات، ولا يكون الوصول إلى الغايات الآمنة للمجتمعات مضموناً.

وبعد الدرس والمدارسة توصل أعداء مجتمعاتنا إلى نقطة الفهم هذه، فكرسوا معظم جهودهم لإغواء المرأة عندنا بمناهج الصراع وبشعارات المساواة والتحرر وتحصيل الحقوق، التي تكمن فيها كل عناصر إخراج المرأة عن سكة الأمان التي ارتضاها رب العالمين لها، لكي تكمل الرجل في عملية البناء، مثلما يكمل الرجل المرأة في هذه العملية سواء بسواء، في مسيرة إنسانية متحدة ﴿ **بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ** ﴾ **(آل عمران: ١٩٥)**، مبتغية سعادة الإنسان في دنياه ونجاته في آخرته، وهنا لابد من إيراد صور من التقنين الرباني المحكم لأداء الرسالة الإنسانية المتسمة بالعدل والتكامل، وليس بالمساواة المطلقة، التي هي شعار هدم، لا شعار بناء كما يحب البعض أن يدعي ويزعم، متستراً خلف نبذ القواعد (الأيديولوجيا)، التي تعني الحفاظ على قلاع أمن المجتمعات، وذاهباً بذلك دون ضوابط خلف الأهواء والأمزجة التي عكرتها العولمة المتوحشة الهابطة وقراءاتها المتهافتة.

إنه بعد أن كانت المرأة ممتهنة في الجاهلية، ويتخلص منها العربي بدفنها طفلة حية؛ خوفاً من عارها، أو تخلصاً من نفقتها، وبعد أن كان كثير من الفكر في الأمم الأخرى يشكك بماهية المرأة: هل هي إنسان أم شيطان؟ جاء القرآن بما يصون لها كرامتها، ويحقق لها العدل في الحقوق والواجبات والتكامل مع الرجل في بناء الملاذ الحياتي الآمن موكلاً إليها مهمات تناسب

خلقتها وتكوينها وقدراتها، ومبيناً أن المرأة مكلفة كالرجل: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾(النحل: ٩٧)، وموضحاً التكاليف التي تتعاضد فيها المرأة والرجل بالعدل والتكامل من أجل صنع حياة طاهرة آمنة وآخرة ناجية مطمئنة فقال ربنا جل شأنه: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٣٥). وفي هذا السياق عين ربنا جل وعلا للمرأة مهمات عالية غالية في صنع حياة أسرية ومجتمعية وطنية ناجحة فقال: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم: ٢١). ومن أجل الحفاظ على المرأة وصونها اشترط المشرع على من يتقدم لها من أجل البناء بها أن يكون صاحب خلق ودين؛ إذ بهذين الشرطين تصلح الحياة، وتنمو المجتمعات، وتتقدم الأمم، لا بالمادة والهوى واتباع ترهات الحداثة المخزية، وذلك حين قال رسول الله ﷺ في الحديث الحسن الذي رواه الترمذي: ((إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)). وإذن فإن مخالفة الفطرة واتباع المفسدين المقلدين الببغاويين المبهورين، سوف يقود إلى الفتنة والفساد الكبير، وانظر - إذا شئت - إلى قانون (سيداو)، الذي يقنن فوضى اختيار المرأة مسكنها والتخريب الحاصل من سفرها بلا إذن من أحد؛ ادعاءً منه أن في هذا رفضاً للتمييز ضد المرأة.

أقول: انظر إلى هذا التقنين ذي الفتنة، وتخيل كم من بيوت سوف تخرب وتهدم؟! وكم من الأطفال سوف يشردون في حال تطبيقه؟ لأن الرجل

لا يقبل أن تسكن المرأة حيث تريد هي، ولا يقبل أن تسافر المرأة كيف تشاء، سواء كان ذلك الرجل أباً أو زوجاً. وباعتقادنا أن المرأة المسلمة نفسها لن تقدم على الأخذ بهذا القانون؛ لأنه ليس من مصلحتها ولا من قواعد حياتها الرضا به؛ لأنها تعلم أنه مخالف لأوامر ربنا عز وجل، الذي يعلم ما يصلح للمرأة وما يضرها إذ قال ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ﴾[(١)]. ومخالف أيضاً لتوجيه رسول الله ﷺ القائل: ((لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذي محرم عليها)) متفق عليه. وأيضاً انظر إلى مصطلحات خبيثة تحاول أن تهون من الخراب الذي تسير فيه الأمم المتحدة، من مثل الجندر والأمهات العازبات والمثلية ونظام المساكنة بلا زواج،وقل: لقد انحدرت المؤسسات العالمية إلى الهاوية فعليها الخراب لا السلام والمساواة اللذان تدعيهما..!

٢- نبذ العادات المخالفة لشرع الله:

قال تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾(آل عمران: ١٩٥).

أخاطب بعض المسلمين المعاصرين فأقول:

ما غركم بالسقوط في بعض العادات والتقاليد، التي أنشأها التوهم بأن المرأة جنس دون، وأنها مخلوقة فقط لرفاه الرجل ومتعته وحسب؟! مع أن هذا الوهم يشكل فتنة للمسلمين، تدعم الحجة المثارة ضد الإسلام والمسلمين بأنهم يضطهدون المرأة .. في حين أن قرآن المسلمين يدعوهم إلى تكريمها وإنزالها منزلة الرجل: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ

---

(١) الطلاق (٦).

بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾. وكذلك فإن توجيه رسولنا الكريم ﷺ يقول: ((النساء شقائق الرجال))؛ فهن بناء على ذلك مساويات للرجال في الإنسانية والتكليف والجزاء، وإن اختلفت المهمات بحسب التكوين الفيزيولوجي والهدف من الخلق .. وهو ما يؤكد – في الحكم الأكيد للإسلام - أن التفاضل بين الرجل والمرأة لا يكون بسبب الجنس، وإنما بسبب إتقان المهمة والتقوى فيها، وهذا ما بينه وقرره قرآننا العظيم؛ إذ قال ربنا جل وعلا: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَۚ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ **(النساء: ٣٢)**. وهنا نرى أنه من المفيد اقتباس بعض من تعليق الأستاذ الدكتور عودة أبو عودة، أستاذ الدراسات العليا في جامعة العلوم الإسلامية العالمية في الأردن، وذلك من كتابه الجديد القيم: (هو وهي .. قصة الرجل والمرأة في القرآن الكريم)، يقول الدكتور في كتابه المذكور صفحة ٢٤١ بعد أن أورد الآية ٣٢ من سورة النساء: (إن هذه الآية الكريمة تشكل القاعدة التي تقوم عليها هذه النظرية الأساسية في المفهوم الإسلامي، نظرية العلاقة بين الرجل والمرأة يقول الله تعالى: ((ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض))، وهذا نهي ملزم من الله عز وجل لكل امرئ ألا يتمنى ما كان في يد غيره، أو ما كان عند غيره مما اختصه الله عز وجل به أو فضله به على غيره ... وهذا نص قرآني ينبغي أن يتخذ قاعدة أساسية عند التفكير في مثل هذه الأمور الأساسية في الفكر الإنساني، وهذه أمور لا تقبل الاختلاف وليس فيها مجال للتأويل والتفسير. والرجل والمرأة عنصران أساسيان في كلمة بعضكم التي وردت في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ ﴾؛ فالرجل إذن بنص هذه الآية الكريمة يفضل المرأة في أشياء، والمرأة إذن بنص هذه الآية تفضل الرجل في أشياء. والله عز وجل يأمرنا بأن نقتنع بما فضل الله به بعضنا على

بعض، فلا نقضي العمر في تأسف وتحسر على ما أعطاه الله لكل امرئ من أسباب الفضل والتميز والاختصاص).

وإذن فإن هؤلاء المتوهمين من المسلمين بقاعدة أن المرأة جنس دون الرجل، فعاملوها بناءً على هذه القاعدة معاملة من الدرجة الثانية أو الثالثة، أقول: إن هؤلاء وقعوا بفكرهم هذا وسلوكهم الشاذ في قاع مخالفة ربهم، والخروج عن أوامره، ووضعوا أنفسهم في حومة العصيان والإثم العظيم، من حيث إنهم يتوهمون أن طريقهم هو الطريق الصواب. إنهم بذلك يصبحون فتنة للظالمين، وربنا يبين صفة المؤمنين في كتابه العزيز، حيث يدعون ربهم بقولهم: ﴿ ...رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [(١)].

وهكذا فإن سلوكيات هؤلاء مع المرأة بناءً على وهمهم وسقوطهم تشكل فتنة للظلمة من أعداء الإسلام، فهؤلاء يحتجون بهذه السلوكيات، ليدينوا بها الإسلام والمسلمين ويتهمونه بظلم المرأة واضطهادها، وهو ما يفتح الباب لهم، ليلجوا منه إلى مداخلات كيدية فيها خسران وضلال وإضلال.

إن سلوك بعض الإسلاميين تجاه المرأة يشبه مفاعيل ومآلات الطلقات الطائشة، حيث لا يدري مطلقها كيف انطلقت، ولا يعرف كيف ضغط على الزناد، ولا يعلم أين يقع مآل طلقاته، ولا صدى وقعها. إنه دائن لنفسه، عاقر لفكره، مضيع لخط سيره. أرأيت إلى ذلك الرجل الذي ضيع فكر السكينة الربانية التي خلقها رب العزة، ليجعل منها للرجل والمرأة مسكناً آمناً، ترفرف على جنباته آيات الرحمة والشراكة الراشدة الشفافة، وذلك بانطلاقه من فوقية

---

(١) يونس ٨٥.

جنسية، هي بنت العنصرية المقيتة اللئيمة، تلهب قلبه بنار الجنس المميز الأعلى برأيه، فيتخذ من زوجه (المرأة) سجينة لرأيه، وحبيسة لجنونه الفوقي، واحتواءً ملأه بعقده وشعور النقص والغيرة الكاذبة ومحاولة إثبات الشخصية المنتفخة الراعبة، متكئاً في كل ذلك على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، لو أنه جمعها إلى بعضها، وتأملها تأمل الدراية والعقل المؤمن المتفتح والإنسان المتواضع المحتفل بالفطرة الأصيلة، لوجد أن مسيره بائر، وفكره جائر، وسلوكه مقهور قاهر. إنه يريد من المرأة أن تكون بين يديه كالميْت بين يدي المغسل، دون أن يتعب نفسه قليلاً بإقناعها بشيء مما هو عليه، ثم إذا هي تألمت أو تأففت من اقتسام القهر معه، ذهب إلى رجولته المفقودة، ليملي عليها قرارات المنع والقهر والإهانة، من شتم وذم لأهلها، ومنعها من زيارتهم أو حتى تقنين تلك الزيارة، لتصبح غريبة عن البيت الذي أنشأها وأهداها له إنسانة كاملة الإنسانية، وأنا في هذا المجال أعرف حالات من رجال يعدون أنفسهم من الملتزمين في الحراك الإسلامي يمنع زوجه من الرد على الهاتف ولو كانت وحدها في البيت، ويمنعها من زيارة ذويها إلا إذا زاروها، فهو أصلاً لا يزورهم، وتمضي الأشهر ولا يكلمهم حتى بالهاتف، ولا يسأل عن أحوالهم مع أنهم من المسنين، وقد يصل الأمر بالبعض من هؤلاء حدّ الضرب للزوجة دون ذنب يذكر، فهم يفعلون ذلك من أجل تعويض النقص الذي يسكن دواخلهم، ولا يدرون أنهم بكل ذلك يخالفون ربهم الذي جعل الزواج نسباً وصهراً، يصهر العائلتين ويجعلهما شيئاً واحداً، وهم بذلك كله يكسبون غضب الله، ويكونون فتنة للظالمين...!

وتحضرني في نهاية هذه السطور كلمات لشاعر مبدع تقول على قولنا

هذا الذي أوردناه:

ما قيمة الكلمات إن هي حوصرت	خلل السطور ولم تصافح مأربا
عجباً لمن حمل اليراعة وادّعى	أدباً ولم يرد النضال مخضبا
حق على القلم النقي إذا اشتكت	دنياه جوداً أن يثور ويغضبا

وهكذا فإنه حق للكلمة المحاصرة تجاه الخلل الناتج من الناس المنتسبين للإسلام، الذين يشكلون الفتنة المومأ إليها بسلوكياتهم تجاه المرأة، أن تفك حصارها وتثور وتغضب على من ينتسبون إليها، وفي الوقت نفسه يشنأونها ويكيلون لها الاتهام.

٣- بين طغيان العادات وغزو المصطلحات الوافدة:

قال تعالى: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ﴾ **(آل عمران: ١٩٥).**

جاء الإسلام بمبادئ سامية تنقذ المرأة من كل المفاهيم الجاهلية الضالة، ومن ثم لتساويها بالرجل في كل التكاليف وفي الجزاء والعقاب، وذلك مع مراعاة الفروق في الاختصاص والقدرات الموهوبة لكل من الرجل والمرأة بما يُرَشِّد مسيرة الإنسان في الدنيا والآخرة. وإن الخروج على تلك المبادئ الحكيمة في هذه المسيرة الموسومة ربانياً هو الذي يجلب الانحراف والخلل لهذه المسيرة، وهو الذي يخرب الفكر الذي يصنع الانسجام والوئام والسير السلس داخل المجتمعات.

فقول ربنا جل وعلا: ﴿لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ﴾ يجعل الحق في نصابه، إذ أعدّ الله كلاً من شِقّيْ الإنسانية (الرجل والمرأة) لاختصاص معين، وعدّ فعل كل شق منهما في حدود اختصاصه عملاً كاملاً

لا يمكن أن يُنتقص منه، وهو محسوب مأجور عند رب العالمين، لا يعيّر به الرجل أو المرأة، فكما أن الرجل لا يعيّر بأنه يعمل خارج المنزل بأعمال دونية؛ لأن العمل عمل مهما كان إلا إذا دخل في محيط المحظورات. كذلك لا تعيّر المرأة بعملها في منزلها حيث تهيئ منزلاً نظيفاً هانئاً هادئاً مهيأً لاحتضان مجموعة إنسانية، ترى في هذا المنزل المكان الذي ترتاح فيه، فتأرز إليه بكل فخر واعتزاز ولهفة، أقول: لا تعيّر المرأة بهذا العمل لأنه من أرقى الأعمال وأعلاها إنتاجاً ونفعاً للمجتمعات. وننبه هنا إلى أن هذا الاختيار السديد للمرأة لا يعارض عملها خارج المنزل، إذا وجدت متسعاً من الوقت والكفاءة؛ لأن هذا العمل مباح في حدود المصلحة وشغور المكان، وفيما لا يخالف روح الإسلام، وليس لمجرد الرياء وإظهار أننا عصريون مهتمون بحقوق المرأة!!

وإذا كان بعض الرجال في مجتمعاتنا الإسلامية افتأتوا على نصوص الإسلام، وعادوا إلى مفاهيم الجاهلية في التعامل مع المرأة، تاركين قول ربهم ﴿ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ ومهملين تعاليم رسولهم: ((النساء شقائق الرجال)) ومتناسين: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ ومتغاضين عن: ((خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)) أخرجه ابن ماجة في باب النكاح ومولين ظهورهم لحقيقة أن عائشة – رضي الله عنها – كانت مستودعاً لجزء كبير من الدين، وأن نسيبة بنت كعب حملت السلاح ودافعت عن رسول الله في أحد، وأن بنت الحسن – رضي الله عنه – كانت منتدية الأدب والدين، وأن سمراء الأسدية وُلِّيَت الحسبة في مكة من قبل رسول الله- ﷺ-، وأن الشفاء بنت سليمان كانت محتسبة على المدينة عاصمة الخلافة زمن عمر – رضي الله عنه -، وأن زينب ابنة أم سلمة كانت فقيهة كبار الفقهاء، وأن أم سلمة

كانت صاحبة الرأي الذي أنقذ الموقف في الحديبية. أقول: إذا كان كثير من الرجال انحازوا إلى ذلك الانحراف عن هدي الله ورسوله، فقد وجدنا أثر ذلك الانحراف في مجتمعاتنا: ظلماً للمرأة، وتحييداً لها، وعزلاً لمجهوداتها في المنهج الإسلامي السديد، وليس العابث الذي يريد أن يقسم للمرأة قَسْمَاً لا يعطيها أكثر مما وهبها الله إياه عندما جعل نطفها أنثوية وحسب، وجعل نطف الرجل أنثوية وذكورية، فهو متفوق حتى في خصوصيات المرأة .. الطبخ والأزياء، فهذا خلق الله، وليس من صنع المجتمع الذكوري كما يَدّعون!!

وفي المقابل وجدنا في الشاطئ الغربي انحرافاً أكبر، وافتئاتاً من نوع آخر على ما ارتضاه رب العباد للعلاقة بين الرجل والمرأة، المتمثلة بالمساواة والعدل، ومراعاة الفروق، ولقد سرى ذلك الانحراف إلى مجتمعاتنا، حيث راح بعض المدعين للحريات والمساواة من الرجال والنساء يبثون في صفوفنا مصطلحات أنتجها الشاطئ الآخر، من مثل: (المجتمع الذكوري)، (المجتمع الأبوي البطريركي)، (لماذا يسيطر الكبير على الصغير، ورب العمل على العامل، والذكر على الأنثى، والرجل على الأسرة)، (يجب مصالحة قيمنا مع القيم العصرية الكونية)، إلخ. وأنت تلاحظ أن كل هذه المفهومات تريد أن تدع الحبل على الغارب، فلا سائل ولا مسؤول، لقد فهموا مساواة المرأة بطريقة تجعلها بلا مسؤولية، ولا مرجعية، وأن الأسرة يجب أن تفكك مهمة الأب وقيادته، من خلال مساواة عرجاء جوفاء غير طبيعية ولا منطقية؛ إذ متى كانت أية مؤسسة في الدنيا تسير بلا رئيس يكون هو المدير الأول فيها، فيحمل مسؤولية صلاحها، بإدارة شورية وحوار بناء، وهو الذي يتحمل في النهاية الجزاء أو العقاب عما قدّم.

إن مصطلح (المجتمع الذكوري)مصطلح خادع زائف، يحاول إلغاء منطوق وفعل نصوص رب العالمين وسنة رسوله الكريم ﷺ بشكل مموه؛ فقد تبنى الإسلام المساواة بين الرجل والمرأة، ولكن من خلال مسؤولية الرجل إدارياً واتجاهاً، وذلك بحكم الاختصاص والقدرات و ما يُقدِّم. ولقد تواضع العالم منذ الخليقة الأولى وحتى اليوم على أن الرجل له مجاله وقدراته ومهمته، وللمرأة مجالها وقدراتها وعملها. فالمرأة بطبيعتها لا تحب العمل العام والابتعاد عن المنزل والعائلة، وقد أثبتت الإحصائيات بين النساء في الغرب هذه الموضوعية فليَكُفَّ التافهون عن ترداد مثل هذه المصطلحات الخاوية الضالة، ولينظروا إلى المرأة في الغرب (الذي لا يتهم بأنه مجتمع ذكوري) ليجدوها ما تزال تتقاضى ثلثي أجرة الرجل في عمل واحد يشتركان فيه، وما زالت نسبة مشاركتها في الحياة العامة الغربية نسبة ضئيلة.

إن مصطلح (المجتمع الذكوري البطريكي) مصطلح فاسد مفسد، يبتغي ترك الحبل على الغارب، لتكون الفوضى المتسائلة بهزء وسخرية: لماذا يسيطر الرجل على الأسرة؟ لماذا يسيطر رب العمل على العامل؟ لماذا يسيطر الرئيس على القرار؟ لماذا يسيطر الكبير على الصغير؟ إلى آخر الأسئلة التي لا يستنتج منها إلا أن أصحابها من المفسدين لا يريدون إلا الفوضى وبعث الفساد والدمار في المجتمعات الإنسانية، وقد وصل ذلك الفساد والدمار إلى الأمم المتحدة التي راحت تعقد المؤتمر تلو المؤتمر لتفرض نظرة واحدة غربية ومنهجاً أمريكياً متفرداً على العالم، بشأن العلاقات ومفردات الحياة اليومية، خصوصاً ما يتعلق منها بالعلاقة بين المرأة والرجل .. وهي نظرة ومنهج أديا إلى التغافل عن ثقافات الأمم وعقائدها وتراثها، وذلك باتجاهها إلى فرض احترام مفاهيم ضالة مضلة، مثل: (المثلية) و (الجندر) و

(الشذوذ) و(اعتبار مواقعة الزوجة دون رضاها اغتصاباً) "٥١ دولة أقرت ذلك حتى الآن"، ومثل: (اعتبار عمل المرأة في بيتها اعتداء على حقوقها وهو تمييز ضد المرأة)، وأيضاً مثل: (اعتبار الفوارق في الميراث تمييزاً ضد المرأة وهو عنف أسري)، إلى آخر القائمة من مفاهيم لا تنتهي أفسدت مجتمعات الغرب،وتريد نقل الفساد وفرضه على الجميع، ومن يعاند ذلك فهو متخلف عن ركب الحضارة والعصر، ويستحق المحاربة والعزل والحرمان من المساعدة، أرأيتم كيف يعمل إبليس؟!: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾. إننا نضرع إلى الله أن يذهب عنا كيد المفسدين، وضلال المضلين العادين، آمين.

الفصل الثالث

الحملة الظالمة

الفصل الثالث

الحملة الظالمة

أولاً: استنساخ مسجد الضرار:

قال تعالى: ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾ (التوبة:٥٦).

أ- حالةٌ حيرى

يأتونك بثياب منمقة، وفي دثرهم يختبئ مخادعون، يبدون لك بصورة ناصح عنيد حريص على العروبة وعلى إيمانك والإسلام، وخلف الكلمات يتوارى المكر القرظي، يتبختر بين أضلاعهم والرؤوس، ولكنهم يَزَّينون بمئة لافتة ولافتة، منها ما هو مستنسخ من كيد مسجد الضرار، غير أنه يرفل بحلة عصرية، يحاول من خلال الخداع إدخال جيوش الغزو إلى رؤوس الجمهور، لتغدو الأرض مرصوفة بالجثث الهائمة، حيث لا تدري أن الخراب قد لحق حتى بالقبور، بعد أن هبت علينا ريح صفراء، تدعي التقدم والتحديث، وتزعم أنها قائدة الركب باتجاه الخلاص، في حين أنها تقبع متدثرة بأردية ابن سبأ وحراكه الطائر بأجنحة الغربان، وقد سكنت عقولها وحناجرها تأتآت الببغاوات، التي تدعي أنها أمهات الفكر، وعمالقة الزمان، ومخلصو العصر والأوان.

ها هم في عروقنا يجرون، وعلى المنابر يستولون، يمهدون السبل أمام جيوش الغزو، براية مرفوعة يأتي من قبلها عبق مثقل بالأماني الخضراء، ومن باطنها سراب المشبوهين، فهي بلا خصب ولا وعد حنون، تغدو وكأنها

منكم، وتروح بعيون غدر ذليلة، طأطأت الأبصار، وخذلت البصيرة، لتقول لكم - وأنتم الأعقل والأفهم من تلك القامات والأدرى منهم بشعاب ثقافتكم وبما يفيدكم في المسيرة-: أيها الناس: ((الحجاب من العادات وليس من العبادات)) وهو قول واحد منهم يتربع فوق ركام فكرهم...! من المغرب وحتى أقصى المشرق. أما إحدى نظرات هاتيك الثقافة الببغاوية، المتعالية بجهلها وضحضاحها النظري والعملي، فقد جاء من إندونيسيا على لسان رئيسة جمعية (أخوات في الإسلام) إذ تقول: ((لقد تم إدخال جرائم جديدة في الإسلام، وذلك من خلال مراقبة الأخلاق العامة للتشديد عليها، من مثل تناول الطعام أمام العامة في رمضان، واحتساء الخمور في الأماكن العامة، وارتداء النساء ملابس الرجال، أو ارتداء الرجال ملابس النساء، والمثلية والسحاق، والتصرفات البذيئة كلها أصبحت جرائم تعاقب عليها الشريعة الإسلامية)) وهي تقول ذلك على ضوء دعوتها لإصلاح الدين وإعادة إنتاجه من جديد، ليكون متصلاً بالعصر الغربي، الداعي إلى ثقافة المثلية، والمساكنة والزنا الحر والشذوذ والفجور بشتى أنواعه .. إنها الببغاوية الغبية .. لا، أبداً: إنها قامات إما أن يكون قد انفلت عقالها، فارتبكت عقولها وسلوكياتها، وغاب عن نتاج مكرها التأمل والتدبر، فراحت عقولها تغوص بما ليست هي أهل له، ولا هي أتت على قدره. وإما أنها قامات قبضت ثمن القول والفعل المتهافتين المخربين إتاحات منبرية، أو مناصب فكرية هزلية، أو مالاً حراماً تكمن في طياته الهزيمة والعار، وهنا لابد أن نوضح لهؤلاء موقفهم الحقيقي، وذلك بما رسمه ربنا جل في علاه إذ وصفهم في كتابه العزيز بقوله: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾.. ..فانتماؤهم إلى حال أهل المسجد الضرار ظاهر، وانحيازهم إلى التقدم زائف، إنهم خائفون على

وضعهم ومكانهم، فتراهم حائرين بين وجودهم، وبين تأدية الدور الذي يحافظ على المكان الذي يريدونه خدماً لغيرنا.

ب- حالة مسجد الضرار:

يقول تعالى جل في علاه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ **(التوبة: ١٠٧).**

كم من سليل هو أدهى وأمر من سلفه، فهو يأتي دَخَلاً بعد العصور، يطأ القيم، ويدوس الشهامات، ويرفض المروءات، ويقذف بالأصول، ويهدم الدعامات، التي متى ما هدمت انفتح البيت على مصاريعه لكل الطامعين، بنى أحلامه فوق ركام من الذل، سالكاً سراب المارقين المدعين للحسنى، يغلظون الإيمان لإثبات أقوالهم، وأيديهم تقبض على أدنان الكذب، وتطلق أطناناً من الاستخذاء، وفي أعينهم التماعات من الأنانية الشاذة، التي عكرتها مياه عادمة من فكر الخنا والخنوع، وكلما لاح لهم سراب من أعطيات بأشكال متنوعة أعتموا طرقهم، وسدوا السبل على السالكين إلى الله، بادعاء أن هؤلاء السالكين إن هم إلا ظلاميون، لا يريدون دخول تنويرات العصر، الحاملة جينات الشواذ المرهقين بثقلة الطين، وحاجات الجسد، وغرائز الحيوان، المتباهين بشيء من إنتاج مدني لم يخرجه إلا رجال علم محضوا وقتهم كله للمعامل والتجارب ومراكز الاختراع، فلم يدخلوا بما دخل به التافهون المتباهون بإنتاج رجال العلم. وعلى مرّ العصور تلون إنتاج مسجد الضرار، ولم يبق شكلاً وموضوعاً على شاكلة ذلك المسجد الأول، بل إنه استبدل جبهة الذل التي تصدرت سذاجة ذلك المسجد الإرث بجبهة تنطق بلسان الفلسفة

والفكر في عصرنا، مدعية أنها بناء فكري حضاري تنويري حداثي متماسك، يخوض في أرجاء حرية هي الفوضى والخداع واللؤم، مرسومة كلها فوق الجباه الغربية اللامعة الخادعة، تنتعل الأحذية المجلوة، وترتدي أفخر الثياب، لكنها تحمل قلوب الذئاب واللصوص والقتلة، ولمن لا يصدق، فليعد إلى كلمات أحد متنفذيهم، التي ألقاها من فوق منبر مجلسهم النيابي في فرنسا المعنون شكلاً بالعلمانية وبالحرية، يريد منها (الكلمات) أن تعتدي على دين وقرآن وأمة سبقته وبزته في الحضارة والحرية والقيم .. فأين الحرية والتنوير اللذان يكمنان في قول يريد أن يحظر على الناس المؤمنين أن يلبسوا لبستهم، التي أمرهم الله بها؛ تعبداً لا عادة، فهو (الحجاب) فريضة ربانية جاءت بأمر رباني وأمر رسالي لا شك فيهما، ولا تردد تجاههما: لا في الثبوت ولا في الدلالة، فالحجاب عبادة فرضها الله على المرأة المسلمة؛ حفظاً لها واحتراماً لكيانها وإبعاداً لأعين الذباب والبعوض أن تحط على الأجساد، فتصيبها بالأمراض والفساد والقاذورات، وجاء فينا (تقليداً وببغاوية بعد ادعاء الفلسفة والفكر والعصرية) من ينادي بمثل ما نادى به أولئك الغافلون في الغرب، الذين يرون كيف تتقلب مجتمعاتهم بجحيم الغرائز والأمراض، التي تتدحرج بهم نحو النهاية بخطوات ثابتة، وإن كانت بطيئة، وهم لا يهتمون .. لقد قال ربنا جل وعلا: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا** ﴾ (الأحزاب: ٥٩).
وإذن فالحجاب عبادة وفريضة وليس عادةً فليرعو المتاجرون بالفكر والفلسفة لتوهين عرى قوة هذه الأمة..!! وليتوقفوا عن استنساخ مساجد الضرار الهادفة للفرقة وتأمين السبل لهجمات الطامعين.

ثانياً: هدي الرحمن .. في مواجهة الشيطان

١- يرفضون التطهر:

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ (الأعراف: ٨٢).

وتضج النهارات، ويزرع الويلُ اليباب، ويبكي الجرح على بوابات الأحزان، وتكمن سكاكين القذارات في الشوارع الخلفية، ثم ها هي لا ترعوي .. فتخرج إلى الساحات الأمامية مشرعة حجب الليل، لتغتال بها شمس الطهر .. مدعية أنها التقدم .. أنها الحداثة .. أنها العصر المجلوب بلون العواصم القادرة على التدخل السريع، كلما حاول النَّوْر العذري أن يتفتح فوق أهداب الفجر، الذي يحاول الخروج على قيد الطين، متفرداً بندى الطهر .. متأسياً بعظمة الحبيب المصطفى ﷺ، الذي استعظم خُلقَه القرآن .. إذ قال رب العزة: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [(١)]، مبتعداً عما يغضب الله ويغضب الناس الأسوياء، واعياً توجيه الرسول الكريم ﷺ إذ يقول: (.. وإن الله يبغض الفاحش البذيء) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح .. متقياً عذاب الله وسخطه والسيرة الموحشة بين الناس، متدبراً جواب النبي ﷺ لمن سأله عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال: (الفم والفرج) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح .. مستوعباً خلاصة الخير التي بينّها رسول الله في الحديث الطويل الذي رواه الطبراني إذ قال عليه وعلى آله الصلاة والسلام: (.. يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة) [(٢)]، وبعد ذلك كله وقبله، أيقن يقيناً لا يرد أن الفحشاء من أمر

---

(١) القلم (٤).
(٢) رواه الطبراني وهو صحيح.

الشيطان ومن صناعته حصراً، يريد بها الكيد للإنسان، وجره إلى مساكن اللعنة التي حاقت به بعد عصيانه لربه، وقد دلّه على هذا قول رب العزة واصفاً موقف الشيطان من الإنسان: ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوٓءِ وَالْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1]، كما استنتجه من قراءة تاريخ قوم لوط الذين أصروا على فعل الفاحشة ومعاداة المؤمنين المتطهرين، وكانوا يتنادون لإخراج المتطهرين المؤمنين من بين ظهرانيهم، فأهل الفحش لا يطيقون بقاء أهل التطهر يتقلبون في نعيم الطهارة والأخلاق الفاضلة والمجتمعات النظيفة .. لذا فأنت تراهم أبداً يتجهون لنبذهم وإخراجهم من بينهم، بل إنهم ليغيرون بالقوة والبطش على أهل الطهر أينما كانوا .. وذلك كي يحولوا دون أن يذكرهم ولو مثال واحد متفرد بأنهم يتقلبون في تعاسة القذارة، والأخلاق المنكرة والمجتمعات الدنسة، وهم لا يكتفون بعدوانهم الباطش الذي يتضمن القتل والنفي والنهب والسلب، بل إنهم ليكيلون التهم ويلفقون الأكاذيب، ويصنعون المصطلحات التي تقلب الحقائق ليلصقوها بأهل الطهر، مثلهم كمثل قوم لوط في التاريخ، الذين جعلوا من التطهر تهمة، وذلك بندائهم المشهور: ﴿ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾[2]، فقد جعلوا من التطهر والعفة والترفع عن الفواحش تهمة كبيرة يستحق عليها لوط والمؤمنون معه الإخراج والنفي وسلب الأموال .. وهو عين ما يفعله اليوم المتنفذون في العالم وأتباعهم بأهل التطهر الذائدين عن مبادئ الإيمان والأخلاق والنظافة الإنسانية. ألا ترون وتسمعون ما يقوله الحاكمون الظالمون في سورية عن الثوار، إذ يتهمونهم بأنهم سلفيون وشيوخ وإرهابيون فالإسلام واتباع هديه ورفض الظلم

(١) البقرة (١٦٩).
(٢) الأعراف (٨٢).

عندهم تهمة..!

٢- وفي عصرنا أوثان قديمة جديدة:

ترى: هل غابت الأوثان في عصرنا.. ؟ لا قطعاً ففي كل زاوية من زوايا حياتنا يرقد وثنٌ .. يدللونه اليوم أكثر مما مضى .. فهم يفعلون الفواحش باسمه، وينحرون قرابين الأخلاق تحت أقدامه، ويغسلونه بدم الذبيح، ويدّعون أن التقدم والعصرنة فتحا أبواب العبادات الجديدة، فجسد المرأة أصبح وثناً تنحر في محاريبه كل الأخلاق .. محراب لملكات الجمال،محراب للدعاية والدعاوى، محراب للنخاسة، يستجر فيه جسد المرأة إلى عالم الأزياء، ليُتَاجر به سلعة، أصبحت مزجاة لا تجلب همها من كثرة العرض المستباح، تحت مسمى الحرية للمرأة والخروج المريع المشين المفتعل لها .. والدعوة البائسة القائلة: إن خروج المرأة هو إشراك نصف المجتمع لإحياء المجتمع .. وهي دعوة لا تقنع إلا أصحاب التقليد الأعمى.

إن بؤس هذه المقولة ماثل في أنين المجتمعات التي أخرجتك أيتها المرأة .. إذ أصبحت ولا حرية لك .. فكل القيود في يديك، وها هم الرجال يقدمونك في كل المجتمعات الموسومة بالحداثة قرابين على مذابح شهواتهم كيفما اتجهت، مقدمين لك - على سبيل المكر - بعض الفتات الذي لا يعيد لك صحتك النفسية والجسدية .. فبدلاً من أن تكوني لواحد ولبيت وأطفال ومستقبل واعد وحرية حقيقية في إدراك جنتك التي تملكينها بحق وحقيقة، تصبحين ملك سوق النخاسة، يتاجر بلحمك كل أولئك الفاحشين الماكرين الذين يخفون لعاب شهواتهم اللاهث بطِلّسمات الحرية التي يدّعون حرصهم على تحقيقها لك..

إنها قافية شعرية دنسة– قديمة جديدة– فلا تظني أن عريك اليوم جديد

حديث، أو علامة صحة وتقدم، فقد سبقتك النساء في التاريخ (أيام اسوداده وسيادة الوثنيات على كتابة أسطره) إلى التعري والوقوف في أسواق النخاسة، التي تعرض الإغراء والفتنة الحرام، فانظري إليهن أيام الرومان وأيام الفرس، أمثلة ليست للحصر، بل هي لبيان الحال في موقع الاستشهاد وحسب .. فأنت إذا تأملت في موقع المرأة تلك الأيام تأمل نظر وتبصر .. وجدت نفسك أنك القديمة الجديدة في دروب الضياع .. التي جاء الإسلام لينقذك منها، وذلك بنصوص عالية غالية، منها قول .. الرحمن جل وعلا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ ﴾[1]، .. ومن عذاب الدنيا الذي نراه متسلطاً في مجتمعات الانفلات اليوم: ما أرسله الله على الناس من الأمراض التي لم تكن في أسلافهم .. لأنهم يقفون مع الزنا وضد التطهر؛ فهاهم يرفضون مشروع القانون التركي بتجريم الزنا، ويضج الغرب من أجل إلغائه في تركيا، وهاهم في فرنسا وتركيا وتونس وغيرها من البلدان يقومون بمحاربة حجاب المرأة المسلمة، في حين أنهم يشجعون المرأة المتعرية في الشوارع وعلى الشواطئ حيث تبيع جسدها بلا ثمن إلا من نظرة حرام، وخلوة خائنة،ونهاية فاجعة، تجعل من أمريكا بلداً يصرف سنوياً ١٧ مليار دولار - حسب الإحصاءات الرسمية - على رعاية أبناء الزنا، هذا فضلاً عن الوهن، وشيوع الجريمة الذي يحدثه وجود مثل هذه الأعداد الضخمة في المجتمع الإنساني.

ج- تأييدات لقولنا في الموضوع:

- يقول أنيس منصور المعروف سابقاً بدعوته لتحرير المرأة وخروجها: ((إن اليتيم ليس هو الذي مات أبوه أو أمه .. ولكن اليتيم هو الذي له أب

---

(١) النور (١٩).

وأم، ولكنه لا يشعر بهما.. يريانه ولكن لا يلمسانه، ويلمسانه ولكن لا حنان .. فلاهما موجودان بالنسبة له، ولا هو موجود بالنسبة لهما.. لأن الرجل يعمل والمرأة تعمل، وليس عندهما متسع من الوقت لتربية الأطفال)) [١]. ويضيف أنيس منصور القول: ((بأنه يأمل أن يجيء اليوم الذي تعود فيه المرأة إلى البيت، لكي تكون أمّاً، ولكي تساهم في إنقاص عدد الأيتام)) [٢].

- ويقول الروائي المعروف (إحسان عبد القدوس) الذي ملأ الدنيا صراخاً بدعوته لخروج المرأة من بيتها، وإعطائها الحرية بمخالطة الرجال الغرباء عنها ومراقصتهم، وغشيان الحفلات والسهرات الماجنة. وقوله هذا الذي سنقتبسه الآن في صفحات كتابنا هذا عن الهجمة على المسلمين، من خلال إفساد المرأة العربية والمسلمة، جاء بعد معاينته لما أحدثته الدعوة لانفلات زمام المرأة، لتتمرد على تعاليم ربها، ولاتباع تعاليم شياطين الإنس قبل شياطين الجن. يقول إحسان عبد القدوس: ((إن أساس مسؤولية أي امرأة هو البيت والأولاد، وهذا ينطبق عليّ بالدرجة الأولى، فلولا زوجتي ما كنت أستطيع تحقيق الأسرة والاستقرار والنجاح، لأنها متفرغة للبيت والأولاد)) [٣].

- ومن التأييدات ذات الإحصاءات الموثقة ما نقله موقع ((مسك))

---

(١) من كتاب أنيس منصور: (يوم بيوم) من عدد من صفحاته بتصرف قليل. نقلا عن موقع islamlight مفعل حتى تاريخ ٢٠١١/٢/٩.

(٢) من كتاب أنيس منصور: (يوم بيوم) من عدد من صفحاته بتصرف قليل. المصدر السابق.

(٣) من مقابلة لإحسان عبد القدوس أجرتها جريدة الأنباء الكويتية، في عددها الصادر بتاريخ ١٩٨٩/١/١٨.

الإلكتروني تحت عنوان: (دعاة تحرير المرأة وثمارهم المرّة)، يبين فيه مدى تهافت تلك الدعوة الفاسدة، التي تريد الانفلات من كل ما يضبط حركة استعادة المرأة لحقوقها، التي منحها إياها الإسلام بحق (وهي حقوق مضمونة ربانياً ثم أخلاقياً، ثم قانونياً) يراعى فيها تطور الصيغ والأساليب والوسائل في تنفيذ وتطوير آليات ووسائل التطبيق حسب الزمان والمكان والعادات والأعراف المتزنة الفاخرة، وليس حسب جمع القمامات من موائد أهل الأهواء، وأصحاب الأغراض، ومبتغي الإجهاز على خصوصيات الناس وهوياتهم وعناصر قوتهم وتوازنهم.

- ولقد ساهمت الأمريكية (ماري آن) المحامية في تأييد ما ذهبنا إليه بشأن دعاوى المساواة، إذ قالت في كتابها (مصيدة المساواة): ((حملة الدعوة للمساواة أهملت الفروق الطبيعة بين الرجل والمرأة، ووظائف الأمومة، إذْ المرأة التي تكون أماً وتقوم بواجب البيت والأطفال لا يمكن أن تنافس الرجل في أعماله التي هي خاصة الرجل الذي تفرغ تماماً للكد والعمل، لأن منافستها تلك لابد أن تكون على حساب البيت والأسرة، لذلك فإن هذه المساواة كانت خسارة للمرأة لا كسباً لها، لأنَّ هذه المساواة المزعومة التي طالبت بها الحركات النسائية في الستينيات من القرن الماضي، إنما تضع على كاهل المرأة أعباءً كثيرة، وتحملها مسؤوليات ضخمة، دون أن تحظى بأي مقابل، ودون أن تخفف من المسؤوليات الأسرية)) والأرقام تفصح عن الحقيقة. وترى المؤلفة أن تدفق النساء في سوق العمل كان كسباً لأصحاب الأعمال الذين وجدوا عمالة نسائية كثيرة ورخيصة لا تكلفهم، بل يكلفهم الرجل؛ حيث إنَّ التفاوت لا يزال كبيراً في الأجور بين الرجال والنساء، فكل امرأة في أميركا تحصل على سبعين سنتاً مقابل دولار واحد يتقاضاه الرجل، فضلاً عن وجود

نساءٍ يتاجرن بأعراضهن وبأجسادهن، ومنهن من تعرضن إلى الابتزاز الجنسي من رؤسائهن.

وقالت ماري: إن هناك إحصائية أمريكية تقول: ٧٥ في المائة من اللواتي شاركن في الاستفتاء، يشعرن بالقلق لانهيار القيم التقليدية والتفسخ العائلي، وقالت آن ٦٦ في المائة منهن يشعرن بالكآبة والوحدة. وأشارت إلى أن النساء قالت ٨٠ في المائة منهن، يجدن صعوبة بالغة في التوفيق بين مسؤولياتهن تجاه العمل ومسؤولياتهن تجاه المنزل والزوج والأولاد، وقالت ٧٤ في المائة: إن التوتر الذي يعانين منه في العمل ينعكس على حياتهن داخل المنزل، ولذلك فإنهن يتصرفن مع الأولاد والزوج بعصبية))[١].

- وقبل أن أغادر مكان المؤيدات، لا بد لي من نقل بعض المقولات الغربية عن موضوع معاناة المرأة عندهم، التي سببتها الحركة النسوية الداعية إلى تحرير المرأة على طريقة الحرية والمساواة المطلقتين، خالية الوفاض من أية قيمة أو عرف أو شرع أو حتى مصلحة إنسانية أو قانونية أو مجتمعية..

وهذه أقوالهن واضحة بيّنة، قالتها نساء كان يظن الكثيرون أنهن متفلتات، فأعطتهن الحياة والخبرة عظات سطّرنها قبل الممات:

١- ((في لقاء مع الكاتبة الفرنسية "فرانسواز ساجان"، وعند سؤالها عن سبب سخريتها في كتابتها من حركة تحرير المرأة، أجابت فرانسواز: "من خلال نظرتي لتجارب الغالبية العظمى من النساء أقول: إن حركة

(١) موقع المسك نقلاً من كتاب ماري آن بتصرف قليل. مفعل حتى تاريخه.

تحرير المرأة أكذوبة كبيرة اخترعها الرجل ليضحك على المرأة".

٢- نشرت الكاتبة الفرنسية مريم هاري خطاباً موجهاً منها إلى النساء المسلمات في كتابها (الأحاريم الأخيرات) تقول لهن: "يا أخواتي العزيزات، لا تحسدننا نحن الأوروبيات ولا تقتدين بنا، إنكن لا تعرفن بأي ثمن من عبوديتنا الأدبية اشترينا حريتنا المزعومة، إني أقول لكنّ: إلى البيت، إلى البيت، كن حلائل، ابقين أمهات، كن نساءً قبل كل شيء، قد أعطاكن الله كثيراً من اللطف الأنثوي فلا ترغبن في مضارعة الرجال، ولا تجتهدن في مسابقتهم، ولترض الزوجة بالتأخر عن زوجها وهي سيدته، ذلك خير من أن تساويه وأن يكرهها".

٣- صدر كتاب جديد في الولايات المتحدة الأمريكية بعنوان: "ما لم تخبرنا به أمهاتنا" من تأليف "دانيالي كوتيدن"، يثير قضية كانت منذ زمن طويل من المُسَلّمات في العقلية الغربية، تقول الكاتبة: "إن الجيل الجديد من الأمهات تحت سنّ الأربعين أصبحن ضحايا للحركة النسوية، حيث دأبت هذه الحركات على تشجيع عمل المرأة والخروج من البيت وتأخير الزواج، وقلّلت من دور المرأة في تربية الأطفال ورعاية المنزل، ودعت إلى أن يقوم الرجل بذلك عملاً بمبدأ المساواة المطلقة...."[١].

وتضيف "دانيالي" في كتابها: "إن السعادة والتخلص من القلق والحيرة يمكن للمرأة المعاصرة أن تحققهما شرط أن تتخلى عن المقولات التي تنادي

---

(١) من كتاب (الأحاريم الأخيرات) نقله موقع منتدى شباب مستقبل سورية المفعل حتى تاريخه.

بها الحركات النسوية المتمثلة بإشراك المرأة في كل مجالات العمل، وأخص بالذكر تلك المجالات التي تحث على الحرية الجنسية التي قتلت المرأة)) [١].

وصدق الله العظيم القائل في كتابه العزيز القرآن:﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْءَافَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ... ﴾ [٢].

وفي ختام القول عن فتنة الشياطين، نبذل عطاء البحث، فنطرح السؤال التالي: ما هي حاجة عصرنا وأمتنا بشأن المرأة؟ وما الذي ينقذ الساحات من وسوسات شياطين الإنس والجنّ، هل هو في مزيد من العري، ومزيد من تسعير الساحات بثياب الإغراء، وارتياد الناس آفاقاً من الثقافات الممتهنة لمكانة المرأة ودورها، تحت مسميات مبهرجة، مثل الحرية، المساواة المطلقة، الانفلات الكامل بلا عقال ولا ضوابط؟ أم أنه فيما قَدّر رب الناس، العليم بما يصلح النفس الإنسانية وبما يناسب الإنسان، ذكراً كان أم أنثى؟ أم هل هو بما سيّدته في الغرب الأمريكي إمبراطورية (بلاي بوي) الثمانيني (هيوهيفتر) من فكر يقول بأن النساء مجرد أدوات جنس؟ فقد أدلى هذا الخرف بحديث لصحيفة/ نيويورك ديلي نيوز / الأمريكية، نفى فيه بأنه يقف وراء تحول المرأة إلى أداة للمتعة .. وقال في ردّه: فكرة أن بلاي بوي هي وراء تحول النساء إلى أدوات جنسية أمر سخيف؛ فالمرأة هي أداة جنسية، وإلا فلن تكون هناك أجيال أخرى، فالجاذبية بين الجنسين هي التي تجعل العالم يستمر .. ولهذا ترتدي النساء التنانير القصيرة، وتضع أحمر الشفاة.. [٣]

ولقد أجاب كاتب على الأسئلة بقوله: ((أيها العالم الضائع بأهواء هؤلاء

---

(١) من كتاب الكاتبة بتصرف /المصدر السابق.
(٢) فصلت (٥٣).
(٣) نقلاً عن مجلة النور الكويتية /العدد (٣١٣) /جماد الآخرة، ١٤٣٢ هـ مايو (أيار) ٢٠١١م، ص٩٥ من مقال عنوانه /من يكرمها .. هو من يصونها.

وأمثالهم، كم هي عظيمة حاجتك إلى الإسلام ليأخذ بأيديك إلى الجادة القويمة التي فيها نجاة كل من يعيش في أرجائك)) [١].

وفي الإجابة أيضاً يحسن بنا أن ننقل هنا الأقوال التالية للدكتور (هنري ماكوو)، الكاتب الأمريكي الشهير والأستاذ الجامعي، وهو متخصص بالشؤون النسوية والحركات التحررية، يقول الدكتور موجهاً كلامه للمسلمات:

- الدرس الرابع: المرأة الأمريكية ليست إلا مجرد سلعة .. فلا تَنْخَدِعْنَ !
- الدرس الخامس: تحرير المرأة خُدْعَةٌ من خدع النظام العالمي الجديد، خدعة قاسية أغوت النساء الأمريكيات، وخربت الحضارة الغربية.
- ويحذر الدكتور هنري المسلمين قائلاً: لقد دمّر (تحرير المرأة) الملايين، فهو يمثل تهديداً كبيراً للمسلمين.

ويقول د. هنري عن ملكة الجمال: ((هي ملك للعامة، تُسوِّق جسمها إلى المزاد الأعلى سعراً، وهي تبيع نفسها بالمزاد العلني كل يوم ... في أمريكا المقياس الثقافي لقيمة المرأة هو جاذبيتها، وبهذه المعايير تنخفض قيمتها بسرعة (بسبب السن أو المرض وذهاب النضارة)، فهي لذلك تشغل نفسها وتهلك أعصابها من أجل أن تظهر بأجمل مظهر)) [٢].

وفي الجواب أيضاً نضيف قولاً أخيراً وليس آخراً تقول صحيفة الأخبار المصرية في خبر اجتماعي لها: ((إنه قد أقيمت في هذا الأسبوع الحفلة السنوية لسيدة العام، وحضرها عدد كبير من السيدات على اختلاف مِهَنِهِنّ..

---

(١) المصدر السابق.
(٢) من مقال نشره الدكتور هنري، عنوانه: (الحجاب مقابل البكيني في سوق المرأة) وقد نشر مقاله موقع شبكة (أنا المسلم للحوار الإسلامي) بتصرف بسيط والمقال ما زال في صفحات الموقع موجوداً حتى تاريخ ٢٠١٢/٤/١.

وكان موضوع الحديث والخطب التي ألقيت بحضور الأميرة (آن) البريطانية هو: (حرية المرأة وماذا تطلب المرأة) .. وقد نالت فتاة عمرها سبعة عشر عاماً تأييد الجميع وتصفيقهم بحرارة، وذلك لكلمتها التي قالت فيها: إنها ترفض رفضاً باتاً حركة التحرير النسائية، وأضافت: إنها تريد أن تظل لها أنوثتها، ولا تريد أن ترتدي (البنطلون)، لأنه بمعنى تحدي الرجل، وإنها تريد أن تكون امرأة، وتريد زوجها أن يكون رجلاً)). وقد صفق الجمهور لها وشاركت الأميرة الإنكليزية (آن) في التصفيق بحرارة[1].

وهكذا يأتي الجواب على التساؤلات التي طرحناها بما يلائم الحق والفطرة، التي فُطر الناسُ عليها، وذلك بعد أن جاب الغربيون دعاة تحرير المرأة والمساواة المطلقة بينها وبين الرجل، أرجاء الخبرات والمعاناة والنتائج الفاضحة لتلك الدعوات .. ولكن العديد من المنتحلين للثقافة عندنا مازالوا يُجدّفون بمجاديف ما أسماه بعض الغربيين برجعية الفكر، الذي يدعو إلى تحرير المرأة غير المتوازن، ومساواتها الظالمة بالرجل، وهي لا تملك إمكاناته، مثلما أن الرجل لا يملك إمكانات المرأة للمهمة التي خلقت من أجلها، وصدق الله العظيم القائل في كتابه الكريم ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ... ﴾ **(فصلت: ٥٣)**.

ثالثاً: ورمونا بالطريقة الغربية ... ولكن!

إن آلية الهجمة الغربية والمشروع الحضاري الغربي على المسلمين تتبنى وجهة واحدة أحادية طاغية، رغم ادعاء الغرب العريض بإيمانه

---

(١) الأخبار القاهرية عدد ١٩٧٢/١٠/٢٠ ص٤ وقد سُطر الخبر أيضاً في كتاب المرأة العربية المعاصرة إلى أين ص٥٠ ونقلناه منه.

بالتعددية والديموقراطية وقبول الآخر.

ولذا فإنه (الغرب) لا يرضى من الشعوب والحضارات الأخرى، إلا أن تتبنى فكره ورأيه في كل شيء، وأي شذوذ عن ذلك من قبل المجتمعات التي تحاول الدفاع عن نفسها بواسطة الحفاظ على شخصيتها وهويتها، يَعُتدُّه تخلفاً وخروجاً عن سبيل التقدم، ودخولاً في حومة مجموعة من التهم المغرقة في الكذب والنفاق؛ مثل (الإرهاب، التعصب، الاعتداء على حقوق الإنسان وحقوق المرأة).

ولقد كان من أهم الأدوات والأساليب التي هاجم بها الغرب مجتمعاتنا العربية الإسلامية قضية (المرأة)، بما لها من مكانة، في ترسيخ قواعد المجتمعات، وتربية الأجيال، بذلك وضعت الهجمة المرأة في عين العاصفة.

ولقد استغل الغربيون ابتعاد المسلمين عن هدي نبيهم في التعامل مع المرأة، ووجود الكثير من الرجال المسلمين الذين أصبحوا بهذا الابتعاد أعداء المرأة وأعداء دينهم من قبل، فقاموا (الغربيون) بتضخيم قضية المرأة وحقوقها ورفع الضيم والظلم عنها، وراحوا يزينون للمرأة في مجتمعاتنا صورة المرأة عندهم، ويجعلون من انحرافها وتمردها وعريها تخلصاً من أفكار الرجل الغادر وحصولاً على الحرية والمساواة، وخروجاً من تحت ركام الظلم والإهانة. وهم في هذا السبيل، ومن أجل الإقناع استعملوا كل وسيلة؛ فمن كتابات وخطب وبيانات المتغربين في مجتمعاتنا، إلى الصورة في التلفاز والصحيفة والسينما، إلى الكتب والصحف المنحرفة وغيرها، إلى شبكة الإنترنت وبلائها في هذا المجال.

ولقد كانت هجمة عارمة متساوقة مع هجمة عامة كبيرة على مجتمعاتنا،

تبغي إسقاط خنادق المقاومة عندنا، من أجل أن يصلوا إلى الهيمنة الكاملة، التي تجعل وجوهنا غربية، وقلوبنا رؤوسنا منهم وإليهم، وعندئذ تتم لهم عملية الكسب المادي ونهب الثروات بشكل كامل، وتلك نهاية المطاف الذي يحكم السيطرة على كل مقدراتنا.

ونجحت الهجمة إلى حد كبير، فها هي مجتمعاتنا تعج بالمتغربات، وها هي دوائرنا ومعاملنا ومؤسساتنا مليئة بالنساء الموظفات المختلطات بالرجال بدون حشمة ولا وقار، وفي كثير من الأحوال بدون حاجة لوجودهن هناك، بل يكون وجودهن في الغالب من أجل استكمال اللوحة، التي أراد لها الغرب والمتغربون في مجتمعاتنا أن ترسم وتؤطر، ثم تعرض. فإذا نجحت واحدة أو أكثر في مجلس من مجالس الأمة المنتخبة، عُدَّ ذلك نصراً للمرأة، وكأن وجود المرأة في العمل خارج البيت بدون ضرورة ولا حاجة ولا مصلحة عامة واجب وقيمة حياتية عالية لا تنجح المجتمعات إلا به، ولو كان ذلك للزينة والرياء، ولا أظنُّ إلا أن الزينة والرياء والببغاوية والنوايا المريبة هي التي يدفع إلى ذلك الاتجاه، فضلاً عن الإغراء الآخر المتمثل باستغلال المرأة اقتصادياً وجنسياً. وامتلأت الساحات والميادين بصراخ همجي، يدعو إلى جعل عمل المرأة خارج المنزل بلا حاجة إليه منهجاً وواجباً وطريقة حياة، ولتمتلئ شوارعنا بالرجال العاطلين عن العمل، أليس نصف المجتمع قد عمل؟ فلا يهم بعد ذلك أن يبقى ٣٠-٤٠% من الرجال القادرين على العمل عاطلين، وهم مسؤولون عن أولاد وأسر ومستقبل، بينما تضيع أجور النساء في استيراد أدوات الزينة والثياب والخدم. إنها رمية على الطريقة الغربية، تحاول إسقاط الحصون والمقاومة إلى الأبد.. مع أن تلك الرمية زادت من نسب البطالة في المجتمعات، بسبب عدم وجود الشواغر لكل طالبات العمل، وذلك ما فاقم مشكلة البطالة والفقر ومشكلات الأسر.

ولكن ....

جاءت صحوة الإسلام، وبدأت أحلام التائهين تذوب رويداً رويداً أمام بريق نور الحق، الذي لم يَخْبُ يوماً من الأيام، ولنستمع إلى عائشة التيمورية تنشد (أيام زمان):

بيد العفاف أصون حجابي
وبهمتي أسمو على أترابي
ما ضرّني أدبي وحسن تعلمي
إلا بكوني زهرة الألباب
ما عاقني خجلي عن العليا ولا
سَدْلُ الخمار بلمتي ونقابي

ثم لِنَرَ من جديد حملة العلمانية في فرنسا ولنعجب !! كيف أربكتها عودة المرأة بزخم إلى سبيل الحق والخير والجمال، فراحت تتعرض حتى للصغيرات المسلمات في المدارس، يرتدين تاج العفة، ويقهرن عتمة الضلال في عقر دارها، فتحاول يد الشيطان أن تحرم أولئك الصغيرات من مدارسهن، تحت شعارات محاربة التعصب والأسلمة، بينما هم بطردهم المشين للصغيرات من المدارس لا لذنب اقترفنه، بل لأنهن لبسن لباس العفة والشرف. وكانت فرنسا العلمانية من أشد المتعصبين الظالمين المتطرفين.

ثم التفت حواليك، لترى هذا التيار الخيّر، الذي دخلت فيه ممثلات، لم يكن أحد في يوم من الأيام يحدس بتوبتهن ورجوعهن، وهن غارقات في بريق الأضواء، وتحت تأثير نشوة الشهرة والمال، فتتوب الكثيرات وفي عيونهن دموع الندم، على ما فرّطن في سالف الأيام، وصدق الله العظيم القائل في

كتابه الكريم: - ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ [(١)]. ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾ [(٢)].

ثم استمع إلى صيحة الحق، كيف بدأت تعلو في جنبات المجتمعات الغربية، بعد طول عناء وعنت ومقارفة للحرام، وتجربة مرة عانت منها أجيال آماداً طويلة، ذهبت ضحية أهواء أصحاب الهوى والربح والكسب الحرام، عن طريق منهجة خروج المرأة، وانطلاقها بلا رادع ولا قيد ولا أخلاق، حاديها في ذلك المساواة المطلقة مع الرجل، والندية له، والاستقلال الاقتصادي عنه، واستمع الآن إلى إلكسيس كاريل يقول: ((الحقيقة أن المرأة تختلف اختلافاً كبيراً عن الرجل فكل خلية من خلايا جسمها تحمل طابع جنسها، والأمر نفسه صحيح بالنسبة لأعضائها، وفوق كل شيء بالنسبة لجهازها العصبي، فالقوانين الفيزولوجية غير قابلة للّين شأنها في ذلك شأن العالم الكوكبي، فليس في الإمكان إحلال الرغبات الإنسانية محلها،ومن ثم نحن مضطرون إلى قبولها كما هي، فعلى النساء أن ينمين أهليتهن تبعاً لطبيعتهن، دون أن يحاولن تقليد الذكور، فإن دورهن في تقدم الحضارة أسمى من دور الرجال، فيجب عليهن ألا يتخلين عن وظائفهن المحددة)) [(٣)].

وهذه مجلة (ماري كير) الفرنسية، قامت باستفتاء الفتيات الفرنسيات من جميع الأعمار والمستويات الاجتماعية والثقافية، ولقد كان عنوان الاستفتاء (وداعاً عصر الحرية وأهلاً عصر الحريم)، وشمل الاستفتاء رأي ٢.٥ مليون

(١) النساء – ٢٧.

(٢) المؤمنون – ٧١.

(٣) الإنسان ذلك المجهول ص١٠٨. (مصدر سابق).

فتاة في الزواج من العرب، ولزوم البيت فكانت الإجابة ٩٠% نعم، والأسباب كما قالتها النتيجة هي الآتي:

١- مللت المساواة مع الرجل.

٢- مللت حياة التوتر الدائم ليل نهار.

٣- مللت الاستيقاظ عند الفجر للجري وراء المترو.

٤- مللت الحياة الزوجية التي لا يرى فيها الزوج زوجته إلا عند النوم.

٥- مللت الحياة العائلية التي لا ترى الأم فيها أطفالها إلا عند مائدة الطعام"(١).

إن الفطرة التي فطر الله الناس عليها يمكن أن تطمس إلى حين، ولكنها لا يمكن أَن تطمس إلى الأبد، وما أتينا على ذكره من صيحات دليل رائع على ذلك.

غير أن هذا الذي قلناه، لا يمكن أن يستهوينا، فيجرنا إلى الاعتقاد أن الغرب قد عاد أدراجه إلى الفطرة، ومعرفة الحق، ولا يمكن أن تخدعنا بعض الأصوات عن الواقع الأليم هناك فالغالبية العظمى من الغربيين، ما زالت تستهويهم حياة الانطلاق المجنون، وتجرفهم تيارات الحداثة الماجنة، الكافرة بكل قيمة أو شيء إلا السلعة والمادة ولحظة المتعة واللذة.

وهم ما يزالون يقفون وراء مشروعهم الحضاري وفرضه فرضاً على الأمم والحضارات الأخرى، يغريهم في ذلك ضعف الآخرين، وكثرة الثغرات في جدر المقاومة، والأعداد الكبيرة من الممالئين لحضارة الغرب، المتوزعين

---

(١) من كتاب لباس المرأة وزينتها – مهدية الزميلي ص ٢٦-٢٧ نقلاً عن مجلة الاعتصام القاهرية عدد ١٢ آب ١٩٧٧.

في كل الأركان المهمة وغير المهمة داخل تلك الأمم، وفوق ذلك كله ومن قبله ومن بعده الآليات الخفية والظاهرة، التي تعمل بها وبواسطتها مدنية الغرب، فتخترق الحجب والحواجز بخفاء، يكاد يكون محبباً للنفس البشرية الضعيفة المهلهلة الأركان.

فطرق التعليم، ووسائل الإعلام، وأجهزة الرفاهية الحديثة، (وموضات) الملابس، ووسائل الحياة ومظاهرها، وما يدور وراء الكواليس في عمليات الشهرة والابتزاز وتسليط الأضواء، كل ذلك وغيره يعمل بطريقة سحرية لاستقبال المعجبين، بعد أن يقعوا في الشراك الخطرة، وهم يضحكون، لاهين فرحين بما آتاهم الغرب من شرف مشاركته أفكاره، ورضاه لهم بالعيش على حواشي تضاريسه ومعالمه، وقد يكون الأمر هيناً لو أن هؤلاء الساقطين في شراك الغرب كانوا أفراداً ومجموعات قليلة، ولكنها شعوب بأكملها، كرست مناهج الحياة الغربية في أرضها وفوق أديم موروثها وهويتها، وهي تظن أنها تأخذ بأسباب التقدم والنهوض.

ولقد كان لأمتنا نصيب كبير من هذا الذي ذكرناه، ولكن هذه الأمة لا يمكن لها أن تمضي في هذا الاتجاه إلى ما لا نهاية، وفيها كتاب الله المحفوظ، وفيها الطائفة الظاهرة على الحق، لا يضرها من خالفها حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وسوف تمضي أمم الغرب إلى مصيرها المحتوم المترتب على سنن إلهية لا تتخلف، هذا إذا لم ترعوِ تلك الشعوب، وتعود إلى الفطرة. ولنقرأ معاً هذه الكلمات الغربية: ((عوامل شيطانية ثلاثة يحيط ثالوثها بدنيانا اليوم، وهي جميعاً في تسعير سعير لأهل الأرض، أولها الأدب الفاحش الخليع، الذي لا يفتأ يزداد في وقاحته ورواجه بعد الحرب العالمية الأولى بسرعة عجيبة، والثاني الأفلام السينمائية التي لا تذكي في الناس عواطف الحب الشهواني

فحسب، بل تلقنهم دروساً عملية في بابه، والثالث: انحطاط المستوى الخلقي في عامة النساء الذي يظهر في ملابسهن، بل في عريهن، وفي إكثارهن من التدخين، واختلاطهن بالرجال بلا قيد ولا التزام. هذه المفاسد الثلاث فينا إلى الزيادة والانتشار، بتوالي الأيام، ولابد أن يكون مآلها إلى زوال الحضارة والاجتماع النصرانيين، وفنائهما آخر الأمر، فإن نحن لم نحدّ من طغيانهما، فلا جرم أن يأتي تاريخنا مشابهاً لتاريخ الرومان، ومن تبعهم من سائر الأمم، الذين قد أوردهم هذا الاتباع للأهواء والشهوات موارد الهلكة والفناء، مع ما كانوا فيه من خمر ونساء ومشاغل رقص ولهو وغناء)) [(١)].

- إن الكثير من مفكري الغرب والمختصين بالشؤون العامة والأسرية والاجتماعية بدؤوا يعون ما جلبته طريقتهم في التعامل مع المرأة وعلاقتها بالرجل من ويلات وانحراف عن جادة مصلحة مجتمعاتهم ومصيرها، خصوصاً عند ما يرون أنه تغتصب امرأة كل دقيقة في أمريكا[(٢)]، وكذلك عندما يرى البريطانيون أنه في كل عام تحمل سفاحاً (٣٩) ألف مراهقة، ٨ آلاف منهن تحت سن ١٦ سنة، ويصل عدد الحاملات من المراهقات إلى (٦٠) ألفاً إذا ضمت إلى الإحصائية ويلز وإسكتلندا وإيرلندا الشمالية وهي مقاطعات تابعة للمملكة المتحدة، وهذه النسب العالية من الحمل سفاحاً بين المراهقات اضطرت رئيس وزراء بريطانيا "توني بلير" للقول: ((لا ينبغي في مجتمع متحضر أن تنجب الطفلات أطفالاً؛ ففي إيرلندا الشمالية وحدها ٩٦% من حمل الطفلات

---

(١) كتاب الحجاب ص ١٠٥ نقلاً عن إحدى المجلات الأمريكية واقتبسته من كتاب لباس المرأة وزينتها (مهدية الزميلي، ص٢٩-٣٠).
(٢) من دراسة لمنظمة "رند الأمريكية".

يقع خارج نطاق الزوجية)) [١].

ويحضرني في هذا السياق أسئلة تعليقاً على مقولة بلير: ((مجتمع متحضر)) و((أن تنجب الطفلات أطفالاً)) .. فأقول: ما هو تعريف المجتمع المتحضر؟ وهذا السؤال أطرحه هنا لنميز في الإجابة بين التحضر الحق، وبين مظاهر لمجتمعات تبدو من خلال نظرة سريعة غير متعمقة أنها متحضرة، لكنها في الحقيقة المتأنية النظر والبحث تخرج عن معنى التحضر. ثم أليس تعجُبُه من إنجاب الطفلات أطفالاً ناتج من مناهج سيّدوها في مجتمعاتهم وأفكار سوّقوها بحماسة على رجالهم ونسائهم، وما يزالون يُسَفّهون طهر المرأة المسلمة وعفافها وحجابها، ويُزْجون القوانين المانعة لحرية المرأة في أن ترتدي ما تشاء وتزين عفافها بما تشاء؟ فهذه فرنسا المدعية للعلمانية، التي أسمت عاصمتها بعاصمة التنوير، يضيرها أن ترى في مدارسها أو شوارعها صورة عفيفة لامرأة، في حين أنها تباهي الآخرين بالعري الحيواني، والسقوط الشرس في شراك الشياطين من إنس وجِنّ.

- واسمّع الآن إلى الشاعر المجيد ((أحمد مطر)) في قصيدته التي نظمها حين قنّنت فرنسا – باقتراح من رئيسها وتصويت برلمانها – منع اللباس الشرعي للمرأة في المدارس وهو ما يسمى "الحجاب":

فجرٌ تحمم بالندى وأطلّ من خلف الهضاب

الورد في أكمامه ألق اللآلئ في الصدق

سُرُجٌ ترفرف في السَّدَف

---

(١) المصدر www.womenshealthchannel.com.

ضحكات أشرعة يؤرجحها العباب

ومرافئ بيضاء تنبض بالنقاء العذب

من خلل الضباب

من أي سحرٍ جئتِ أيتها الجميلة[1]

من أي بارقة نبيلة

هطلت رؤاك على الخميلة فانتشى عطر الخميلة

من أي أفق ذلك البَرَدُ المتوج باللهيب وهذه

الشمس الظليلة

من أي نبع غافل الشفتين تندلع الورود من الفضيلة

....

قمر على وجه المياه سكونه في الاضطراب

وبعده في الاقتراب

غَيْبٌ يَمدُّ حضورَه وسط الغياب

وطن يلُمُّ شتاته في الاغتراب

روح مجنحة بأعماق التراب

وهي الحضارة كلها تنسلُّ من رحم الخراب

وتقوم سافرة لتختزل الدنا في كلمتين:

(أنا الحجاب)

---

(١) يعني المحجبة.

الحسن أسفر بالحجاب فمالها حُجُبُ النفور نزلت على وجه السفور؟

واهاً ... أرائحة الزهو تضير عاصمة العطور

ياللغرابة... لا غرابة ... أنا بسمة ضاقت بفرحتها الكآبة

أنا نغمة جرحت خدود الصمت وازْدَرَدَت الرتابة

أنا وقدة تحت الجليد وعبّأت بالرعب أفئدة الذئاب

أنا عفة وطهارة بين الكلاب

سأغادر المبغى الكبير ولسْتُ آسى .. أنا لَسْتُ غانية وكأسا

نعلاك أوسع من فرنسا .. نعلاك أطهر من فرنسا كلها جسداً ونفساً

نعلاك أجمل من مبادئ ثورة ذُكِرْت لتنسى

مُدِّي جذورك في جذورك واتركي أن تتركيها

قَرّي بمملكة الوقار وسفهيّ الملك السفيها[١]

- وها هي تقارير عالمية تؤيد ما ذهبنا إليه بشأن أفكار الغرب في قضية المرأة، فقد أوردت الأمم المتحدة في أحد تقاريرها قولها: إن تجارة النساء (الرقيق الأبيض) ازدهرت وأصبحت تجارة عالمية تصل قيمتها إلى سبعة بلايين دولار، وأضاف التقرير قوله: فالمرأة نفسها في مجتمع مادي لا يعطيها حقاً، ولا يلتفت إليها إلا بقدر جمالها.

- إن انزلاق بعض نسائنا وبعض من رجالنا بوحل تقليد الأفكار الغربية فيما يتعلق بالمرأة وعلاقتها بالرجل .. يؤدي شيئاً فشيئاً – حين تبنت ذلك

(١) نقلاً من مجلة النور الكويتية العدد ٣٢٣ آذار (مارس) ٢٠١٢.

الانـزلاق دوائـر القـرار فـي مجتمعاتنـا – إلـى ذلـك الانهيـار الأسـري، والتفاقم المستمر الخطر لتداعي ركائز الأسرة، ومن ثم لتداعي الاتصـال المجتمعـي والسياسـي وحتـى الاقتصـادي فـي سـاحاتنا .. وهـذه الكاتبـة الأمريكية "دانيالي كوتيدن" تؤلف كتاباً تقول فيه: ((إن الجيل الجديد من الأمهات تحت سِنّ الأربعين أصبحن ضحايا للحركة النسوية، حيث دأبت هـذه الحركـات علـى تشـجيع عمـل المـرأة والخـروج مـن البيـت وتـأخير الزواج، وقللت من دور المرأة في تربية الأطفال ورعاية المنزل، ودعت إلى أن يقوم الرجل بذلك، عملاً بمبدأ المساواة المطلقة...)) [١].

وتضيف الكاتبة: ((إن جيلاً من الأمهات بأكمله تعلّم أن يحـارب الرجـل، وأن يلومه، وأن يطالب بالاستقلال التـام بـأي ثمـن، وكـان مـن نتيجـة ذلـك قلـق وحيرة واضطراب .. كمـا بعـث ذلـك بتسـاؤلات أصـبحت تقلـق المـرأة الغربيـة المعاصرة إلـى حدٍّ كبير، وهـي تتمثـل فـي السـؤالين التـاليين: هـل النـزول إلـى معتـرك العمـل أهمُّ مـن العنايـة بالأطفـال؟، ولمـاذا لا يرغـب صـديقي بـالزواج مني كما أرغب أنا؟))[٢] وبدورنا نقول: إن التجربة المرّة التي جلبتها للغربيين أفكار التحرر الفوضوي المطلق للمرأة وأفكـار المسـاواة المطلقـة الشـيطانية .. جعلت العديد من زعماء الفكر والكتابة والمختصين عندهم، يدركون المخـاطر

(١) من كتاب: ((دانيالي كوتيدن)) الموسوم بـ: ((ما لم تخبرنا به أمهاتنا، منقول عن شبكة أنا المسلم للحوار الإسلامي .. حيث ما زال الموضوع مفعلاً على الشبكة حتى تـاريخ ٢٠١٢/٣/٣١.

(٢) من كتاب: ((دانيالي كوتيدن)) الموسوم بـ: ((ما لم تخبرنا به أمهاتنا، منقول عن شبكة أنا المسلم للحوار الإسلامي .. حيث ما زال الموضوع مفعلاً على الشبكة حتى تـاريخ ٢٠١٢/٣/٣١.

الهائلة التي قادتهم إليها تلك الأفكار المصادمة للفطرة الربانية .. صحيح أن تلك الصيحات وذلك الإدراك المتأخر ما زال صوته خافتاً، إلا أنه بداية الطريق للعود الأحمد، وبرهان ساطع على أن الإسلام في مبادئه الربانية التي نظم بها علاقة الرجل بالمرأة كان وما يزال وسيظل إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، هو المرجعية السديدة الرشيدة المرنة المتناغمة مع الظروف في الزمان والمكان في هذا الشأن وكل شؤون الحياة والكون، وأن أية مصادمة لهذه المبادئ إنما هو سقوط في مهالكِ مخالفةِ سنن الرحمن الرحيم في قوله جل من قائل﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾[1] لقد خلق الله هذا الإنسان الرجل (آدم) وخلق منه زوجه .. لتكون الزوجة سكناً ومودة ورحمة للرجل ونسلهما ولراحة بيتهما .. ومن أجل تأمين ذلك السكن وتلك المودة، وضمان الرحمة، خص كلاً من الرجل والمرأة بمواصفات جسدية ونفسية ليتحمل كل منهما المهمة التي خلق لها، كي تتم المساكنة التي فيها المودة والرحمة، فأي زيغ عن تلك السنن .. يؤدي إلى شقاء الزوجين واضطراب الحياة الاجتماعية .. وهو ما أكدته الشواهد التي أوردناها آنفاً، وها هي شقيقة زوجة (توني بلير) التي أسلمت قبل فترة تقول: ((كنت دائماً معجبة بتلك القوة والراحة اللتين يوفرهما الإسلام للمؤمنين به))[2].

لقد أقام الإسلام بتعاليمه الفذة العلاقة بين المرأة والرجل على أسس من العدل والتكامل والمودة، وليس على أساس المساواة المطلقة الفاقدة للعدل والمودة، الجالبة للنكد والندية والحرب .. وإنها للنفس الإنسانية المخلوقة من

---

(١) طه (٥٠).
(٢) من مجلة النور الكويتية، العدد ٣٢٣ (مصدر سابق).

طين الأرض: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾[1]، وأبى الكثير من الناس إلا أن يعاندوا الفطرة الربانية، فهاهم يجدون بين ظهرانيهم العقاب تلو العقاب والمآلات الخاسرة في المجتمعات والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿ وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّى لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾[2] ويقول أيضاً مبيناً ظلم الإنسان لنفسه بابتعاده عن تعاليم ربه: ﴿ وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ۝٩ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ... ﴾[3].

---

(١) السجدة (٧ ، ٨).
(٢) السجدة (١٣).
(٣) الروم (٩ ، ١٠).

الفصل الرابع

المرأة.. هدفٌ.. ماذا يريدون؟

الفصل الرابع

المرأة .. هدفٌ .. ماذا يريدون؟

أولاً: المرأة وافتعال القضية ويتضمن:

أ- تمهيد:

إن إدراك سر الخلقة الأصلية (الفطرية) لكل مخلوق، وما أودع الله فيها من قدرات وإمكانات واستعدادات، هو الفيصل في حسم الرأي في القضايا التي هي موضوع تنازع في مسارات الحياة المختلفة.

وعندما يضيع ذلك الإدراك بين هرطقات الفلاسفة وأهواء المتنفذين في المجتمعات البشرية، حيث تزين لهم مصالحهم الذاتية الضيقة أعمالهم، فإن كثيراً من معاول الهدم تَنْقَضُّ على المبادئ السوية والتوازنات الوسطية، التي اقتضتها هداية الفطرة، كما فطر الله الإنسان وباقي المخلوقات عليها.

إن نظرة متفحصة يلقيها أي عاقل على ما حوله من كائنات ومخلوقات كفيلة بأن تعيد إليه النظرة، وقد اقتنع أن هناك منهجاً خلقياً موحداً ومُطّرداً في جميع ما أوجده الخالق العظيم من خلق، هذا المنهج هو منهج الزوجية في كل شيء: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [1].

والتذكر والعبرة هنا ليفهم هذا الإنسان أن الله جعل المخلوقات زوجين زوجين، لحكمة عظيمة أرادها، يجب على المخلوق أن يدركها ويطلّع على مغزاها، من أجل أن يهتدي بهداها في سلوكه وفكره ونظره، وأنه من خلال

(١) الذاريات (٤٩).

أسئلة بسيطة يلقيها على نفسه يصل إلى كنه هذه الحكمة العالية، وفيما يلي بعض الأسئلة:

١- لو كان الزوجان متساويان في كل شيء فلماذا يخلق الله صنفين من نوع واحد ما دام أحدهما قادراً على القيام بما يقوم به الآخر؟ تعالى الله علواً كبيراً عن خلق العبث.

٢- وإذا كان الله جلت قدرته قد جعل هذا الكون قائماً على الانسجام التام في نظامه العام - وهذا ما أثبته العلم الحديث من خلال التجارب والنظر والاستنتاج الأكيد - فكيف يخلق الله زوجين من نوع واحد متضادين متناحرين، يكافح كل منهما ضد الآخر، ليحصل على حقوقه كما يقال؟ وأين الانسجام إذن في ذلك الخلق..؟

٣- ثم أخيراً وبعد إخفاق النظريات القائمة على الجدل (التضاد) الموجود في كل شيء، هل ما زال العالم مقتنعاً بفكرة الجدل القائمة بين الزوجين من النوع نفسه؟ مع أنها فكرة قائمة على مبدأ الصراع، الذي أقام الغرب عليها فكره، مغايراً للإسلام القائم على فكرة الانسجام الكوني.

هذه الأسئلة والإجابة النزيهة عليها تستطيع أن تضع كل ذي عقل على أرضية صلبة من الفكر القائل: إن الحكمة في أن جعل الله الخلق زوجين زوجين هي التكامل والتناغم وتوزيع الأدوار الملائمة لسر الخلقة في كل فرد من الزوجين، وليست هي الندية والجدلية والتضاد، وإلا لفسد الانسجام الكوني، الذي أثبت العلم الحديث أنه سر بقاء هذا الكون وعمرانه، من أصغر مخلوق وحتى أضخم مخلوق ... وصدق الله العظيم القائل في محكم تنزيله: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ

﴿ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1] ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾[2].

ب- وافتعلوا القضية:

حدث هذا الافتعال في قضية المرأة وحقوقها منذ سيطرة الفكر الرأسمالي في الغرب، في بداية ما يسمى بعصر النهضة في أوروبا، وأثناء مساره الذي أراد للمرأة أن تكون سلعة في السوق الرأسمالية؛ سلعة ضعيفة، تجدف ضد التيار الجارف لمفاهيم مغرقة في الجهل والظلم والإهمال، فرضتها نظرة الرجل الغربي القاصرة، وتبنتها الكنيسة ورعتها على أنها مبادئ مسيحية وأسس جينية مقدسة، تقوم على مفهوم نقص المرأة الخلقي، وأنها شرّ ودنس.

وجاء السوق الرأسمالي يلوّح بالجزرة لهذا المخلوق الضعيف المظلوم، ولكنه تلويح لم يبتغ خير هذا المخلوق ولا مصلحته، بل أراد له الابتذال والرخص والخروج من الحفظ والصون، إلى ساحات العمل كوسيلة إنتاج رخيصة ولطيفة ومشوقة ومغرية. فلما سقط هذا المخلوق في الامتحان، ونزل إلى السوق سلعة، جاء دور الشياطين، يلوّحون للمرأة بكلمة الحرية والحقوق والخروج والتمرد على القيم والحدود وقيود الأخلاق والعرف، وذلك ليس من أجل إنقاذها، بل من أجل أن يجدها الرجل هينة سهلة رخيصة مرتين: مرة عندما تصبح وحيدة بدون سند ولا ظهر، مضطرة للعمل لتأكل وتعيش.

ومرة أخرى عندما جعل جسدها سلعة لا قيمة لها، فعرّاها وقربها إليه، لتكون حاضرة في كل وقت، لتشبع خياله الشهواني، وهو في كلتا الحالتين

---

(١) يس (٣٦).
(٢) طه (٥٠).

كان ينمق لها الخروج والتمرد، ويزين لها معركة التحدي والندية للرجل، ليصل بها إلى مزيد من التردي والحاجة إليه.

وبناء على هذا فقد بذلت المرأة الغربية من خلال المسيرة التي ذكرناها جسدها وكرامتها في سبيل لقمة العيش أولاً، وعندما وجدت نفسها في الفخ، بدأت تقنع نفسها بدعوة الحرية والانطلاق، التي كانت في الظاهر تدعي إخراجها من قبضة الرجل ثانياً، ولكنها مقابل ذلك فقدت المأوى الآمن والحضن الأسري المستقر، الذي هو موئل فطرة الرجل والمرأة على السواء، ولقد أصبحت قضية الأسرة في الغرب مشكلة المشاكل ومصدر الكثير من المصائب والنوائب؛ فمن تخريج أجيال من الشباب والشابات الضائعين التائهين المتمردين على مجتمعاتهم وقوانينها وأعرافها وقيمها، إلى بيوت متفسخة لا أمن فيها ولا استقرار ولا قيادة مسؤولة، ثم إلى إنسان قلق حائر، تسوقه الأيام إلى شيخوخة معزولة راعبة، لا حنان فيها ولا اعتراف بالجميل والفضل من ابن أو ابنة أو قريب. ولولا تماسك البعض هناك ووقوفهم في وجه الهجمة، وكذلك لولا تفرغ الكثيرين للعلم والتقنية، ووجود سياسيين ثبتوا حتى الآن أعمدة وجودهم، لوجدنا الغرب في حال مريع.

وهكذا فقد كانت هذه هي قضية المرأة في الغرب، التي أحدثها الخلل في فهم سر الخلقة الأصلية (الفطرة)، وقد اضطر الغربيون أنفسهم في آخر الأمر للاعتراف بخلل فكرة المساواة بين الرجل والمرأة، مما حدا بامرأة مثل (هيلين أندلين) خبيرة شؤون الأسرة الأمريكية إلى القول: ((إن فكرة المساواة بين الرجل والمرأة غير عملية أو منطقية وإنها ألحقت أضراراً جسيمة بالمرأة

والأسر والمجتمع...)) [١].

والفيلسوف (برتر أندراسل) يقول: ((إن الأسرة انحلت باستخدام المرأة في الأعمال العامة، وأظهر الاختبار أن المرأة تتمرد على تقاليد الأخلاق المألوفة، وتأبى أن تظل أمينة لرجل واحد إذا تحررت اقتصادياً)) [٢].

ويقول جول سيمون: ((المرأة التي تشتغل خارج بيتها تؤدي عمل عامل بسيط، ولكنها لا تؤدي عمل امرأة)) [٣].

وخلاصة القول في القضية، إن الخلل في الفكر الغربي يتمثل بخطأ هذا الفكر وابتعاده عن صحة الفطرة، وباعتساف القول: بمساواة الرجل والمرأة في كل شيء، وقيام العلاقة بينهما على أساس الندية، وانطلاق المرأة خارج كيان الأسرة بدون قيود من أخلاق أو دين أو قيم أو حتى مصلحة، إلا ما يوجهها من هوى، ونوازع النفوس المريضة الأنانية من الرجال والنساء، وكان ذلك كله بسبب عدم وجود مرجعية فكرية صالحة، وقيام ظلم عملي للمرأة من مجتمع الرجال، بينما كانت قضية المرأة العربية والإسلامية مختلفة كل الاختلاف، فالمرجعية الفكرية الصالحة موجودة، بل ومقدسة، وهي الإسلام الذي كان منقذ المرأة ومحررها من مركزها الوضيع الذي ألقاها فيه تاريخ من الجاهليات، التي صنعها الإنسان لنفسه، ولكن الانحراف السلوكي العملي للرجال، وارتكاسه من جديد في دوامة الأعراف والعادات والمظاهر الجاهلية في نظرة الرجال للنساء، هو الذي جعل معاملتهم لهن معاملة مناقضة

(١) من مجلة النور الكويتية.
(٢) عن مجلة النور الكويتية عدد ٥٩ آب ١٩٨٨ نقلاً من كتاب د. مصطفى السباعي المرأة بين الفقه والقانون.
(٣) المصدر نفسه.

لما جاء في الإسلام من رفع لمقام المرأة والتعامل معها على أساس أن: ((النساء شقائق الرجال)) [١]، وأن: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾[٢]، أي في قيادة الأسرة ورئاستها، حيث لا يمكن لأية مؤسسة أن تقوم وتستمر باتزان إلا من خلال قيادة واحدة شورية قوية.

وعلى أساس أن: ((ما أكرمهن إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم)) وأن: ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ﴾[٣]. وتطبيقاً للآية: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[٤].

ومن هذه النصوص الآنفة نفهم فهماً واضحاً أن علاقة الرجل بالمرأة هي علاقة موالاة ونصرة وتعاضد وتعاون وتكامل، فهما يقومان بأمر هذا الدين، وتدبير مسيرة هذه الحياة باستقامة؛ واجباتهما تجاه ذلك واحدة، وطاعتهما لله واحدة، وإن اختلف دور كل منهما في المسيرة بحسب التكوين الأصلي الذي برأه الله لكل منهما، وجعل فيه بعض الاختلاف، ولكنه ليس اختلاف تضاد، وإنما اختلاف تكامل في العمل وتخصص في وجه من وجوه الحياة، لا يُتْقن إلا من خلال قيام كل منهما بما خصه الله به، فإذا قُدِّر أن قام أحدهما - بحكم الضرورة والواجب - بعمل من اختصاصات

(١) حديث صحيح.
(٢) البقرة (٢٢٨).
(٣) النساء (٧).
(٤) التوبة (٧١).

الآخر، فذلك لا يكون قاعدة ولا منهاجاً، بل يبقى ضمن حدوده خارج القاعدة، تفرضه واجبات اجتماعية أو ضرورات عملية.

نعم لقد أدى الانحراف عن إدراك سر الفطرة الربانية في خلق الرجل والمرأة، وإهمال العمل بالمرجعية الإسلامية، التي جاءت منقذة للمرأة من وهدة الضلال، التي أدت إليها شرائع البشر قبل الإسلام. نعم .. لقد أدى ذلك الانحراف إلى تضاؤل دور المرأة الاجتماعي والتربوي بل والاقتصادي والسياسي والعلمي، وانزوت قيمة المرأة كإنسانة، وتلخصت قضيتها عندنا بمشكلة الانحراف عن العمل بالمرجعية الصالحة المتينة، والميل إلى العمل بالموروثات الجاهلية القاصرة المنحرفة.

ج- بيان نقطة الافتراق بين المنهجين:

وإذن فإن نقطة التشابه بين النظر إلى المرأة في المجتمعين العربي الإسلامي من جهة، والغربي من جهة ثانية، تقع عند حدود الالتقاء في السلوك العملي تجاهها.

* وأما نقطة الافتراق بين النظرتين فكانت عند حدود الافتراق في موضوعين:

الأول: عدم وجود المرجعية الصالحة عند الغرب، للحكم في قضية التعامل مع المرأة بينما هذه المرجعية موجودة عندنا.

الثاني: اختلاف على أرضية التعامل السلوكي الميداني مع المرأة، بين الرجل الغربي، والرجل العربي أو المسلم.

في حين أراد الرجل الغربي أن يجعل من المرأة سلعة رخيصة في سوق الرأسمالية، فتظاهر بإعطائها الحرية والانطلاق، وهي شعارات مغرية، وراح يستغل هذا الإعطاء لصالح الربح والمتعة، حتى أصبحت المرأة في وضع الرقيق المموه بدعايات الحرية وزيف التمرد.

إذا بالرجل العربي أو المسلم يخفي هذه المرأة ويتستر عليها، وكأنها رجس، ليخفي بالتالي دورها الذي شرعه الله مساوياً لدوره الاجتماعي والدعوي، بقوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[1]، لتصبح المرأة عنده في آخر الأمر متاعاً يتحفظ عليه ويحيطه بالحراسة والتكتم الغامض المعلب في علب الغيرة والغلبة والعادة المنحرفة عن الإسلام. وفي كلتا النظرتين السابقتين (نظرة الغربي، ونظرة العربي) غمط للمرأة واقتلاع لها من جذورها وفطرتها، ثم لترمى في الفراغ الذي يغير على شخصيتها، فيدين وجودها الحقيقي السديد، ويضيع على المجتمعات عنصراً حيوياً وطاقة بناءة.

ومع أن الطرفين يعرفان معنى قول الشاعر:

الأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعباً طيب الأعراق

ويعرفان قيمة قول نابليون بونابرت، ((الأم التي تهز سرير الطفل بيد، تهز العالم باليد الأخرى))، ويعرفان أن الإسلام جاء بتكريم المرأة وخصها بمهمة عظيمة، لا يستطيع الرجل مهما أوتي من مواهب أن يقوم بها، أو يسد

---

(١) التوبة (٧١).

ثغرتها فقال لها: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ﴾[1].

فالعناية في البيوت وتحويلها إلى جنّة من قبل امرأة متفرغة لبقة، تفهم حقوق الزوجية، فتحول بيتها إلى مثابة آمنة نظيفة هادئة، ترتاح فيها النفوس القلقة، والأجساد المنهكة، وتحتضن الزغب من الذرية بحنان ورعاية رؤوم، وتنشئ نفوساً متوازنة وعقولاً رزينة وأفئدة هانئة مطمئنة مرتوية ومشبعة بالعواطف الإنسانية الكريمة التي شرعها الإسلام، وسنتها فطرة الله، هذه المهمة العظيمة هي العمل الرئيس والأول المنوط بالمرأة اختصاصاً وقدرة وفطرة.

فإذا اضطرت المرأة زيادة على هذه المهمة أن تعمل خارج البيت في عمل تقتضيه فريضة الكفاية، كتعليم البنات، أو تطبيب النساء أو غير ذلك، أو كان العمل تقتضيه حاجة الأسرة المالية، وكان بعيداً عن الاختلاط والخلوات، وفي حدود الحشمة والستر والأدب، فلا بأس في ذلك ولا حرج فيه، وهذا ما استقر عليه الاجتهاد الإسلامي، بحيث لا يصبح العمل خارج البيت منهجاً وهواية واستكمالاً للصورة، التي رسمها في أذهان البعض منهج التغريب وتطاول المسافة الزمنية التي فصلتنا عن تطبيق منهج الله، حيث قُلبت الأوضاع فصارت القاعدة الفطرية السليمة سجناً للمرأة وحجراً عليها، وأصبحت حالة الضرورة والاستثناء قاعدة ومنهجاً.

إن هذا الاختصاص الذي أعطاه الله للمرأة لا يعني سلب المرأة حقوقها، بل هو تفرغ كامل، يقوم الرجل مقابله باختصاص الكد والتعب خارج المنزل، ليكفي حاجة الأسرة، وإذن فالأمر كله توزيع أدوار، كشريكين في شركة

(١) الأحزاب (٣٣).

تجارة، يختص أحدهما بالجلوس في إدارة الشركة ومتابعة العمال والموظفين واستقبال الزبائن، والآخر يختص بالعلاقات الخارجية والكد لشراء البضائع والموارد الأولية، والسفر وتسويق المنتجات ومتابعة تحصيل الديون.

فلا يقول الشريك المختص بالبقاء داخل الشركة لشريكه: لقد هضمت حقي إذ أبقيتني داخل بيت الشركة، واستأثرت لنفسك بالسفر والكد والعلاقات، لا أبداً فلكل شريك شطر من العمل، ولا يمكن أن تنجح الشركة وتتقدم وتربح إلا إذا كرس كل واحد منهما وسعه وجهده وطاقته في سبيل إنجاحها، على خير ما يكون النجاح، بدون مشاحنة ولا تدافع، بل بانسجام وحفظ كل شريك لغيبة الآخر ولحقوقه تامة، المعنوية منها والمادية.

ثانياً: يريدون لها الخروج:

أ- يريدون للمرأة الخروج من البيت، والتمرد على الأصل في وضعها وهو قول ربنا جل وعلا: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾... فهي إن خرجت تخرج للدعوة أو للعمل الضروري، أو للعبادة، أو لقضاء حاجاتها التي لا يقضيها إلا هي، أو للعمل الاجتماعي والخيري والعام إذا تعين عليها ذلك، وكانت قادرة عليه من ناحية الوقت والوسع فوق أعمال البيت وتربية الأولاد والعناية بالزوج.

ولما كانت المرأة حصن الديار، ومحضن الأجيال، ومنتجة الرجال الرجال، إذا أُحسنت تنشئتها، واعتني برعايتها، فقد كانت الهجمة عليها شديدة، والكيد لها عميقاً وحثيثاً، ولذلك كله كانت المرأة في عين العاصفة، تتناوشها الأفكار والمغريات من أجل إخراجها بطراً ورئاء الناس، ومن ثم إفسادها، لتفسد كل من حولها، وبذلك يتسنى للمبطلين تحقيق غاياتهم في النفوذ إلى

المجتمعات المسلمة، وهدم حصونها ومحاضنها الطيبة، التي أقيمت على أساسات من هدي الرحمن وسنة نبيه العدنان، وهما الحريصان حرصاً حقيقياً وجاداً على صون المرأة وتكريمها واحترامها وإعطائها مكانتها التي تليق بها في حياة الأمم، وهي أساسات يقوم عليها بنيان عامر بالوسطية، التي لا تترك صغيرة ولا كبيرة من حال الرجل والمرأة وعلاقتهما إلا وبينت طريقه القويم ومبادئه السديدة، بحيث لا يجور طرف على طرف، ولا يتجاوز أي منهما على حق ومهمة الآخر، وذلك كله تقوم به إدارة أسرية منظمة على أساس القدرات والكفاءات، فلا يكون التنظيم الحياتي عشوائياً مبنياً فوق الهوى والأمزجة والتخرصات التي يفنى كثير منها عند عرضها على الحق، ويذوب خداعها عند مواجهتها في الميدان.

وعلى هذه الأسس الربانية قامت شركة الأسرة بين الرجل والمرأة، إذ بناها الإسلام علاقات إنسانية ومادية واضحة ثابتة، إذا أخل أحد الشريكين بشيء منها، اختل ميزان الشركة واعتل، ومن هنا جاءت النصوص القاطعة ببيان تلك الأسس وقد بيناها من قبل ونعيدها هنا للفائدة ومنها: ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ**﴾. ((خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهله)) ..﴿**وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَۚ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا**﴾... ((كل نفس من بني آدم سيد، فالرجل سيد أهله والمرأة سيدة بيتها)) [(١)].

وإذن فإن أول ما أراده الغربيون والمتغربون عندنا هو هدم هذه القواعد المكينة من قواعد الإسلام؛ هدم الأسرة بجعل عمل المرأة خارج بيتها منهجاً

(١) هذه الآيات والأحاديث وثقت في صفحات سابقة من الكتاب فليرجع إليها هناك.

لا نتعداه إلا استثناء، ومتى خرجت المرأة من حصنها الحامي العتيد (البيت) (بدون حاجة ولا ضرورة ولا واجب ولا مصلحة عامة)، استدرجوها رويداً رويداً إلى شتى المفاسد؛ من اختلاط، وعري، وتمرد، وإباحة بحيث تصبح المرأة عندنا كما هي عندهم، ضائعة تائهة مع أن ديننا أعطاها الحقوق المالية والمعنوية كافة، منذ أربعة عشر قرناً، حيث لم تحصل عليها نظيرتها في الغرب إلا من منذ وقت قريب وبشكل مشوّه.

فكما أعطاها الإسلام حرية التصرف بأموالها، وليس لزوجها عليها في ذلك أي اعتراض، وهي لا تطيعه إلا بمعروف، فإذا أمرها بمعصية توقفت عن الطاعة، كذلك أعطاها الحق في الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما هو للرجل أيضاً: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾، وهذه ليلى العثمان داعية الحرية والمساواة للمرأة تقول بعد زمن طويل من تجربة مريرة في هذا الاتجاه، وبعد طول معاناة، اكتشفت من خلالها سقم تلك الدعوة على إطلاقها:

((إنني أقف في كثير من الأشياء ضد ما يسمى (حرية المرأة تلك الحرية التي تكون على حساب أنوثتها وعلى حساب كرامتها وعلى حساب بيتها وأولادها .... هل يعني أن أنظر إلى البيت جنة المرأة التي تحلم بها على أنها السجن المؤبد، وأن الأولاد ما هم إلا حبل من مسد، يشد على عنقي، وأن الزوج ما هو إلا السجان القاهر، الذي يكبل قدمي خشية أن تسبقه خطوتي؟! لا ... أنا أنثى، أعتز بأنوثتي، وأنا امرأة أعتز بما وهبني الله، وأنا ربة بيت، ولا بأس أن أكون بعد ذلك عاملة، أخدم خارج نطاق الأسرة، ولكن- ويا رب

اشهد - بيتي أولاً، ثم بيتي، ثم بيتي، ثم العالم الآخر)) [(١)].

- وفي صحيفة : ((الديلي تلغراف)) جاء المقال التالي:

((فإن أكثر من مليوني امرأة بريطانية يؤخرن فترة الإنجاب عمداً إلى حوالي ٦ سنوات من بدء الزواج بسبب غلاء المعيشة، ويحذر الأطباء من ذلك لأنه يضعف الخصوبة مع تقدم السن)) [(٢)].

- وفي تاريخ آخر وعدد آخر من صحيفة الأوبزرفر يمر الخبر التالي:-

((هناك دفقات نور ولمحات أمل وعبرة للغير، فقد استقالت أقوى امرأة سياسية بريطانية هي: (سالي مورجان)، التي كانت ذراع (توني بلير) اليمنى ومستشارته السياسية، وكانت استقالتها من أجل أن تتفرغ لقضاء وقتها في العناية مع ابنيها المراهقين.

كما استقالت ((جابي هنسلف)) المحررة السياسية لجريدة (الأوبزرفر)، وذلك لتربي ولدها ابن العامين، وقد قالت في مقال لها نشرته في الجريدة عنوانه: ((لقد حصلت على كل شيء، ولكن لم أشعر أن لي حياة؛ وقالت: إن ثلاثة أرباع قارئات مجلة (شي) يرغبن في تقليل ساعات عملهن ليتفرغن وقتاً أكبر لأولادهن وتضيف ((غابي)) قائلة: ((إنها غير آسفة على وقتها الذي أمضته في المياه المهنية العميقة، ولكن بقائي هناك لمدة طويلة من شأنه أن يكون قائلاً: لقد حان الوقت لبدء السباحة نحو النور)) [(٣)].

- نعم .. نحو النور .. نحو البيت والعناية بالأولاد والزوج وإدارة جنة

---

(١) من كتاب المرأة وكيد الأعداء د. عبد الله بن وكيل الشيخ ص ٢٣-٢٤ عن رسالة إلى حوا، ليلى العثمان كويتية.

(٢) ديلي تلغراف ٢٠١٠ Jan – 18 .

(٣) الأوبزرفر نوفمبر (تشرين الثاني) Gaby Hinsliff 2009.

المرأة والرجل معاً .. وذلك كما أراد الله لهذه الحياة أن تدار بجدارة، ينعم فيها القاطنون في المنزل بالسعادة التي تنسجها امرأة تقوم بالدور الذي تتقنه والاختصاص الذي هو أعلى وأغلى اختصاص في حياة بني البشر.

- وهذا أحمد شوقي ((أمير الشعراء)) يؤكد هذه الحقيقة شعراً، إذ يقول:

ليس اليتيم من انتهى أبواه من ... همّ الحياة وخلّفاه ذليلاً

إن اليتيم هو الذي تلقى له ... أماً تخلت أو أباً مشغولاً

ولا بأس هنا من اقتباس كلمة بليغة لعالم مسلم رفيع المستوى في علمه، متنور في شؤون العصر، فهو يقول بشأن المرأة وأفكار تحررها قولاً بليغاً هو: ((وفي عصرنا نجد أن فتنة المرأة بلغت حدّاً فاق كل العصور السابقة وخيالات أهلها، وأصبح الهدّامون يتخذون منها معولاً لهدم الفضائل والقيم المتوازنة باسم التطور والتقدم.

والواجب على المرأة المسلمة أن تنتبه لهذه المؤامرات، وأن تربأ بنفسها أن تُتخذ أداة هدم في أيدي القوى المعادية للإسلام، وأن تعود إلى ما كانت عليه نساء الأمة في خير قرونها، البنت المهذبة، والزوجة الصالحة، والأمّ الفاضلة، والإنسانة الخيّرة العاملة لخير دينها وأمتها، وبذلك تفوز بالحسنيين، وتسعد في الدارين)) [(١)].

وقد يستشهد البعض على غض الإسلام من مكانة المرأة بقول نسب إلى علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ورد في نهج البلاغة قال فيه من نسبه إليه: ((المرأة شر كلها، وشر ما فيها أنه لابدّ منها)).

---

(١) العالم الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي من كتابه: ((فتاوى معاصرة للمرأة والأسرة المسلمة ص ١١)).

وقد ردَّ الشيخ الجليل يوسف القرضاوي على نسبة هذا الكلام إلى علي رضي الله عنه بقوله:

((١- إن من المعروف لدى النقاد المحققين أن نسبة بعض ما في نهج البلاغة إلى علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه غير صحيحة، ولهم على ذلك دلائل وبراهين ... ومن هنا لا يجوز الاحتجاج بكل ما في النهج على اعتبار أنه من أقواله رضي الله عنه ... فليت شعري أين السند المتصل إلى الإمام علي، حتى يُحكم على أساسه أنه قال هذا القول؟

٢- وكيف يقول علي بن أبي طالب هذا القول وهو من يتلو كتاب الله الذي يقرر مساواة المرأة للرجل في أصل الخلق، وفي التكاليف وفي الجزاء: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ... ﴾[١] ... ويقول بشأن الزوجات: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾[٢].

ويقول الرسول: ((إنما النساء شقائق الرجال))، ويقول: ((الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة))[٣] ويقول: ((من سعادة ابن آدم ثلاثة: المرأة الصالحة، والمسكن الصالح، والمركب الصالح))[٤]))[٥].

فالشيخ الدكتور يوسف القرضاوي ينفي بهذا الكلام الذي تقدم نسبة الكلام الوارد في نهج البلاغة إلى الإمام علي رضي الله عنه نفياً قاطعاً.

---

(١) النساء (١).
(٢) البقرة (١٨٧).
(٣) رواه مسلم والنسائي وابن ماجة.
(٤) رواه أحمد بإسناد صحيح.
(٥) العالم الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي من كتابه: فتاوى معاصرة للمرأة والأسرة المسلمة، ص (٧ ، ٨).

وخلاصة القول بشأن ما تقدم من اقتباسات تبين سوءات دعوة تحرير المرأة المطلق، كما أراده الغربيون بائساً كارثياً على مصير المرأة ومستقبل دورها وحقوقها التي أقرَّ لها الإسلام بها بشكل متوازن وفعال، بحيث يحافظ على نفسها ومكانتها، ويعطيها في الوقت نفسه كل ما تستحقه من حقوق وأدوار تناسب كينونتها، وتلائم (فسيولوجيتها) وفطرتها ومهمتها التي هي أهم مهمة حياتية؛ إذ تقوم على بناء الأجيال، وتأمين السكن والأمن والأمان للحياة الأسرية، المسؤولة عن قيام مجتمعات منسجمة متوازنة، ونفوس عالية الغايات والأهداف، وقلوب يعمرها الحبُّ والودُّ والحماس لإيجاد مجتمعات الملاذات الآمنة للإنسان .. وذلك طبقاً لما أورده الأستاذ محمد رشيد العويد من كلمات رائعة ضد ادعاء تحرر المرأة؛ إذ قال متسائلاً:

((مسكينة امرأة هذا الزمان، مسكينة وليست متحررة؛ فكيف تكون متحررة وامرأة مِنْ بين كل ستِ نساء في العالم تتعرض للاغتصاب مرة على الأقل في حياتها، كما جاء في تقرير أعدته منظمة (يونيسيف) التابعة للأمم المتحدة؟!

كيف تكون متحررة و (٢٥-٥٠) % من نساء العالم يتعرضن للضرب المبرّح على أيدي أزواجهن؟! كيف تكون متحررة وفي الولايات المتحدة تتعرض امرأة للضرب كل تسع ثوان، ولكن واحدة من بين كل مائة امرأة مضروبة ترفع شكوى؟!.

كيف تكون متحررة وأكثر من مليون فتاة قاصر يجبرن سنوياً على ممارسة الدعارة؟!... لقد ذكر تقرير منظمة (اليونسف) أن العنف الذي

يمارس على الناس في العالم يشكل العائق الرئيسي أمام النمو الاقتصادي والاجتماعي في عالم اليوم...))[1].

إن ما يدعوننا إليه هو تحرر في الشكل وعبودية للجنس والهوى في الجوهر، فكل الحقائق الميدانية تقول: المرأة إنسان مساوٍ للرجل في الخلقة والتكليف والجزاء، ولكنه متكامل مع الرجل في المهمات، وليس من العدل ولا من العقل ولا من الفطرة أن يحلّ الواحد منهما محلّ الآخر في مهمته وها هي جريدة اللوموند الفرنسية تنشر مقالاً عنوانه / الفرنسيات يحسدن المتفرغة لبيتها / وهذه إشارة وحسب لما يعتمل في نفس المرأة من فطرة .. تغيب علاماتها حيناً .. ولكنها تعود للظهور بعد المعاناة.

ثالثاً: يريدون لها أن تكون نداً للرجال:

في العمل، في الشارع، في اللباس، في العلم، في كل شيء، تقف له بالمرصاد لتصيح في وجهه، أريد تحقيق ذاتي، كما تحقق أنت ذاتك، لقد أردت لي البيت سجناً، فها أنذا أتركه، وأخرج منه رغماً عنك، لأعمل وأعمل كما تعمل، وأحقق استقلالي الاقتصادي، فلا يكون كياني مكبلاً بإنفاقك علي، ولا قوامة لك عليَّ، وأما الأمومة فهي للخدم، والمساواة شعاري وهدفي في كل ذلك، والحرية المطلقة فيما أعمل وأدع وسيلتي لتحقيق ذاتي العطشى للندّية.

إن حملة النّدية هذه التي يسمونها (تحرير المرأة) في بلاد العرب والمسلمين، تتجه اتجاهاً بَيّناً في مسار مفتعل لإدانة تعاليم الإسلام، وإلصاق

---

(١) من كتابه: ((وبضدها تتميز المسلمات)) (ط٣) ص ١٩ نشر دار المنار الإسلامية الكويتية.

التهم بالدين الحنيف في قضية حقوق المرأة وتخلف أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعلمية، وهي بذلك حملة تدين نفسها بنفسها، منذ طلعت علينا بهذا الاتجاه، وذلك لعدد من الأسباب التي منها:

١- الانحياز الزائغ من أصحاب دعوة تحرير المرأة رجالاً ونساءً إلى صف التعامل بآليات عمل الحضارة الغربية، التي أرادت من وراء إدخال دعوة كهذه إلى مجتمعاتنا افتعال قضية، ثم الانقضاض من خلالها على حصن هذه الأمة وملاذها، الذي لا يحميها سواه وهو الإسلام. ولو كان هؤلاء منصفون ويبتغون محو الآثار السيئة للتعامل مع المرأة لذهبوا مباشرة إلى إحياء تعاليم الإسلام عملياً في مجتمعاتنا، كي تحصل المرأة من خلالها على تحريرها الاقتصادي والمعنوي والحياتي، فقد كانت وما زالت وستظل تعاليمه السمحة أمثل خطة وأعظم برنامج تعاملي مع المرأة، يخرجها من دائرة الندية للرجل، التي أوهنت أركان حياة المرأة وأسرتها في الغرب، إلى دائرة التعامل بفكرة ومنهج الزوجية الفطري، الذي يقوم على أساس تكامل الأدوار المنوطة بكل من الرجل والمرأة في المهمات الحياتية.

٢- إن ما يدلنا على انحياز هؤلاء وزيغهم وسوء النية في توجهاتهم، أنهم اتجهوا بغالبيتهم إلى إدانة أسس وقواعد الشرع في التعامل مع المرأة، وتركوا سبب المرض الحقيقي وهو تعامل الناس (الرجال) والمجتمع مع المرأة تعاملاً بعيداً عن الأسس والقواعد الشرعية، متبعين في ذلك أهواءً وموروثات وتوجهات أنانية جاهلية، أعطوها قداسة النص الشرعي وإلزاميته، وأحلّوها مكانه.

٣- تَجاهَلَ هؤلاء المتغربون في أرضنا ما أدت إليه الندية والتحرر - المنطلقة من كل قيد ديني أو خلقي أو إنساني- من التعري والإباحية والتمرد على كل شيء، وتفسخ الأسرة وسيطرة الروح النفعية السلعية الرأسمالية على العلاقة بين الرجل والمرأة، كما تجاهلوا أن هذه الدعوة في الغرب لم تصل إلى خير، ولم تؤد إلى نوال المرأة ما أرادت، أو إلى إخراجها من تحت وطأة أفكار الظلم التي عدّتها سلعة رخيصة، وتعاملت معها على أساس الدونية في الأجرة وساعات العمل، فلقد مضى على دعوة التحرر هذه أكثر من قرن ونصف من الزمان، وما زالت المرأة تئن، والمجتمعات تشتكي من ظلم الرجل للمرأة هناك، فهذه مجالسهم النيابية ومؤسساتهم المنتخبة، تدلُّ على وضع المرأة المتدني عندهم، إذ كم من النساء دخلنها؟ أو هل تعادل نسبة وجودهن في تلك المؤسسات نسبة وجودهن في المجتمع؟

الجواب قطعاً لا، فنسبتهن في البرلمان الفرنسي لا تزيد على ٥% وكذلك في أمريكا، وقس عليهما باقي البلدان الغربية التي قد تزيد على هذه النسبة قليلاً أو قد تنقص قليلاً.

ونحن ذكرنا المؤسسات المنتخبة، لأنها مؤسسات تمثل توجهات الناس وآراءهم، أما مؤسسات التوظيف: كالشركات والدوائر الرسمية وما يشابهها، فمشاركة المرأة فيها لا تعطي إلا فكرة عن أصحاب الشأن من الرجال وتوجهاتهم في الاستفادة الرأسمالية أو المظهرية.

وهناك التقارير والإحصاءات الغربية التي تذكر لنا كيف أن المرأة الحاصلة على حقوقها بالمعنى الغربي للحرية المطلقة لم يعفها من اضطهاد الرجل هناك ومعاملتها أسوأ معاملة، وفيما يلي بعض هذه

الإحصائيات المأخوذة من مصادر غربية:

* قالت وكالة إحصائيات كندا: ((إن العنف ضد النساء (في كندا) منتشر، له آثار سلبية وخطيرة على النساء، وإن واحداً من كل خمسة حوادث عنف (ضد النساء) يكون من الخطورة بما يكفي لإحداث إصابة جسدية))، وقامت الوكالة بعمل مسح شمل نحو (١٢.٣٠٠) امرأة بأنحاء كندا تم سؤالهن على الهاتف، خلال الفترة من شباط إلى حزيران ١٩٩٣، ونتيجة لهذا المسح قالت الوكالة:

((إن نصف نساء كندا تعرضن لحادثة واحدة على الأقل من العنف الجسدي أو الجنسي بعد سن السادسة عشرة، مشيرة إلى أنها لم تدرج (في النتائج) سوى حوادث العنف التي يمكن اعتبارها جنحة إجرامية))، وأضافت أن ((٤٥% ممن شملهن الاستطلاع تعرضن للاعتداء من رجال معروفين لديهن، في حين تعرضت ٢٣% منهن لاعتداء غرباء)). ((وكانت نسبة استخدام السلاح في المشادات بين الأزواج أو من في حكمهم ٢٣%))[1].

* وجاء في جريدة صوت الكويت ١٩٩٠/١٢/٢ المعلومات التالية:

ظاهرة ضرب الزوجات مسألة شائعة في الغرب، وهي ظاهرة مخيفة، تقول الدكتورة سوزان إدواردز أستاذة العلوم الاجتماعية في جامعة باكنجهام (في بريطانيا)، متحدثة عن الظاهرة: ((الأزواج الذين يضربون زوجاتهم ينتمون إلى مختلف الطبقات وليس من الطبقات الفقيرة وحدها، وهناك عدد لا بأس به ينتمي إلى الطبقة

(١) جريدة القدس العربية ٢١/٢٠ تشرين الثاني ١٩٩٣.

المتوسطة)).

ويفيد المفتش (في البوليس البريطاني) دنكان وليسون: ((إن هناك عدة عوامل تدفع الزوج إلى ضرب زوجته في بريطانيا، أهمها: معاقرة الخمر، لكن الأهم من هذه العوامل كلها مجتمعة هو الموقف العام الزوجي العائلي، وموقف الزوج من أسرته وزوجته وعائلته، ومدى احترامه للقانون)).

وتنقل جريدة الاتحاد الظبيانية ٩٠/٧/٢٩ خبراً يقول: ((إن المنظمة الدولية للنساء (في أمريكا) توصلت بعد دراسات إلى نتائج بزوغ نوع جديد من الجريمة في المجتمع الأمريكي أسبابها جنسية بحتة ... فبناء على تقارير وزارة العدل الأمريكية، من المتوقع أن تتعرض ثلاث نساء من كل أربعة إلى اعتداء جنسي)).

فما الذي يحدو بالرجال هناك إلى ممارسة عملية الاغتصاب بهذا الحجم الضخم؟ أهو امتناع النساء عنهم؟

لا نعتقد ذلك بل إن السبب هو قربها، وسهولة نوالها، وتعريها الدائم الذي لا يعطي وزناً لمشاعر الرجل النفسية الداخلية، فالرجل والإنسان بصورة عامة يحب أن يحصل على أي شيء بجهد وكد ومعاناة وبذل، وما دامت المرأة هناك أصبحت بعريها وانفلاتها وسهولة نوالها سلعة قريبة، فقد ولّدت لدى الكثيرين من الرجال ظاهرة نفسية معاكسة، هي حب الوصول إليهن بالسطو والقهر والفوقية، وذلك تصعيداً لشعور - على ما نعتقد - ولد من باطن تراكمت مع الزمن في اللاوعي الرجولي فكرة الانتقام من المرأة، التي راحت تزاحمه في كل مكان، وهو شعور مرضي بطبيعة الحال، تولده مجتمعات مريضة شوهاء.

٤- وهم (المتغربون) في المجتمع العربي والإسلامي نسوا كل مبادئ أمتهم في خضم هجمتهم للأخذ بمظاهر الحضارة الغربية - التي منها انحدار المرأة - منطلقين من الهزيمة الداخلية التي أحدثها الانبهار في أعماقهم، لدى انبجاسه في وجوههم: (صناعات، واختراعات، ورفاهية، وتحرر ظنوها جميعاً خارجة من جعبة المظاهر الفارغة التي شاهدوها في الشوارع؛ (نساء فارغات ورجال فارغون)، وعندما دققوا، ووجدوا أن هذا التقدم التقني المدني صنعه رجال، لم يلههم هذا البهرج المزين وهذا التشدق الخائر في متابعة ندّية المرأة للرجل وبنائها على فكرة الصراع معه، كان الانبهار قد ملك عليهم نفوسهم حواسهم وعقولهم، فلم يستطيعوا تحويل الشراع مكابرة أو انتفاعاً.

لقد نسوا حرية المرأة المسلمة المتزنة ومواقفها الفذة، التي هيأ حالها الإسلام، بعيداً عن الندية والصراع وإذن فليستمعوا إلى السيدة خديجة رضي الله عنها وهي زوجة سيد الخلق رسول الله ﷺ، بعد أن عاد من الغار يرتجف، حيث قالت له بإيجابية قاطعة موحية، أعطته وهو الرجل والزوج دفعة من الثقة: أبشر يا ابن عم، واثبت، فو الذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة. وكذلك نسوا هجرة النساء مع الرجال في سبيل إقامة المجتمع الجديد المبني على الدين القويم، وفيهن من هي عزباء غير متزوجة، مثل أسماء بنت عميس، ونسوا أو تناسوا قول الربيع بنت معوذ: كنا نغزو مع النبي ﷺ، فنسقي القوم، ونخدمهم، ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة.

وهم قد تناسوا قول الخنساء، عندما أخبروها بمقتل أولادها وزوجها في المعركة: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو الله أن يجمعني بهم في مستقر رحمته .....

نسوا الكثير الكثير من مواقف المرأة في الإسلام، كيف أنها نالت الحرية الحقيقية، التي أعطت للمرأة مكانة الإنسانة المساوية للرجل في إنسانيته، لكنها فهمت أن هذه المساواة في الإنسانية معه لا تتناقض مع مفهومات أخرى تقول: إن موضوع الاختصاص مركوز في فطرة كل منهما، وأنه لابد لكل منهما أن يتفرغ في مجالات يتقنها أكثر من قبيله، وإن كان هذا لا يمنع أحدهما أن يقوم مقام الآخر في الحالات التي تفرضها الحاجة أو المصلحة العليا، أو مقتضيات الحياة وتقدمها. لا غرابة أن ينسى هؤلاء كل ذلك، في غمرة إبعادهم واستبعادهم لكتاب الله وسنة رسوله من حياتهم، فمن أين لهم أن يعودوا لقول الله تعالى في التنزيل: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[1] وهي أية سورة الأحزاب التي تشكل بياناً عاماً وشاملاً في وضع المرأة والرجل وفي بناء العلاقة الكريمة بينهما:

- فهي تبين أن دعوة الإيمان والإسلام موجهة إلى الرجل والمرأة على السواء، فهما الإنسان المكرم من الله (المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات). وذلك بعيداً عن الصراع والندية، وسيراً فوق خطوط الانسجام والتوافق والتكامل.

- ثم إن التكليف بالطاعة المبصرة تشملهما معاً (والقانتتين والقانتات).

- فإذا انتقلنا إلى المشاعر والسلوك كان التكليف أيضاً موجهاً إليهما:

---

(١) الأحزاب (٣٥).

(الصادقين والصادقات) في كل شيء في الكلمة، في الإحساس، في الاعتقاد، في العلاقة الداخلية المتعلقة بالعقيدة والنية والتوجه والممارسات الحياتية الأسرية وغيرها.

- فإذا كان العمل والجهاد، وتحمل الأذى في سبيل رفعة مجتمع الإسلام وتقدمه، وبناء لبناته، توجه التكليف في ذلك إليهما معاً أيضاً وأيضاً: ((والصابرين والصابرات)) على لأواء الطريق، وعذاب الأعداء وإيذائهم، ومن هنا كانت أول مؤمنة مسلمة امرأة (خديجة) رضي الله عنها، وأول شهيدة في الإسلام كانت امرأة (سمية) رضي الله عنها، وكانت أول فقيهة وحافظة وراوية لحديث الرسول ﷺ امرأة (عائشة رضي الله عنها)، وكانت صاحبة أول مستشفى تمريض في الإسلام امرأة (رفيدة) التي أوى إليها الرسول ﷺ سعداً رضي الله عنه بعد أن أصيب في الخندق، وكانت مشاورته ومنقذة الموقف برأيها السديد يوم الحديبية امرأة (أم سلمة) رضي الله عنها.

وكانت بطلة اليرموك المشار إليها بالبنان، حين احتدمت المعركة، واحمرت الحدق، وتلاطمت الفرسان امرأة (خولة) رضي الله عنها.

وكانت أسماء ... وزبيدة ... وشجرة الدر ... وأمينة قطب ... وزينب الغزالي... و ... و ...إلخ القائمة التي لن تنتهي حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

- ولا ننسى العابدات وأن التكليف للرجل والمرأة جاء ببيان واحد: ((والخاشعين والخاشعات، والمتصدقين والمتصدقات، والصائمين والصائمات)).

ـ فإذا كان الأمر متعلقاً بالقيود التي تحفظ الخلق والشرف والنسب كان الطلب بالتقيد بتلك التعليمات لطرفي الإنسانية (الرجل والمرأة) مناط الأجر والجزاء والنجاة في الدنيا والفوز في الآخرة: ((الحافظين فروجهم والحافظات)).

فماذا يريد دعاة الندية بعد ذلك كله للمرأة؟!، إلا أن يكونوا يرغبون لها أن تصادم فطرتها، وتبذل عرضها وشرفها، وأن تمتهن كرامتها على أعتاب العري والسهرات والليالي الحمراء والخضراء. تركض خلف الناعقين والناعقات من أحلاس ((الموضة)) والاختلاط الفاحش الداعر، الذي يسلب المرأة والرجل معاً إنسانيتهما، ويخرجهما عن حدود مهمتهما الإنسانية السامية، التي خلقا من أجلها. وقبل أن ندخل في موضوع جديد عن المرأة نقول:

وإذا كان دعاة الندية لا يغريهم أو يقنعهم إلا الاستماع إلى أحاديث أسيادهم الغربيين، فليقرأوا معنا ما قالته الصحفية الأمريكية بعد زيارة لها إلى القاهرة أمضت فيها أسابيع عدة: ((إن المجتمع العربي كامل وسليم، ومن الخليق بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليده التي تقيد الفتاة والشاب في حدود المعقول، وهذا المجتمع يختلف عن المجتمع الأوروبي والأمريكي، فعندكم أخلاق موروثة، تحتم تقييد المرأة، وتحتم احترام الأم والأب، وتحتم أكثر من ذلك عدم الإباحية الغربية التي تهدم اليوم المجتمع والأسر في أوروبا وأمريكا، امنعوا الاختلاط وقيدوا حرية الفتاة، بل ارجعوا إلى عصر الحجاب فهذا خير لكم من إباحية وانطلاق ومجون أوروبا وأمريكا، لقد أصبح المجتمع الأمريكي مجتمعاً معقداً مليئاً بكل صور الإباحية والخلاعة، وإن ضحايا

الاختلاط والحرية يملؤون السجون والأرصفة والبارات والبيوت السرية، إن الحرية التي أعطيناها لفتياتنا وأبنائنا الصغار قد جعلت منهم عصابات أحداثٍ وعصاباتٍ للمخدرات والرقيق))[1]. أرأيتم إلى معركة الندية ماذا فعلت بمجتمعاتها ....؟

رابعاً: ويريدون لها مساواة مطلقة مع الرجل:

وكانت هذه الإرادة رأس وأساس كثير من الأخطاء والانحرافات التي حدثت للمرأة، سواء في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، أو في المجتمعات الغربية، وفي هذا الصدد نستطيع مناقشة دعاة هذه المساواة من الرجال ومن النساء بما يلي:

أ- إن هذا الكون الذي أقامه الله سوياًَ صحيحاً سديداً، لم يقمه على منهج المساواة المطلقة بين المخلوقات؛ فالله جلت قدرته لم يجعل الإنسان كالحيوان، بل فضّل الإنسان بالعقل والفكر.

كما أن الله تعالى وتنزه لم يُقم نظام الحياة والأشياء على المساواة المطلقة فالسماء ليست مساوية للأرض، ولا القمر مساوٍ ومشابهٍ تماماً للشمس، ولا الصخور التي هي مادة الأرض متساوية في أشكالها وموادها وتركيبها ومهماتها، ولا الكواكب السيارة التي عرفها الإنسان حتى اليوم متشابهة أو متساوية في التركيب أو المهمات.

وحتى المخلوقات من نوع واحد والتي قامت على منهج الزوجية في خلق الله لها: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[2]، فالتذكر يقضي

---

(١) من كتاب: المرأة وكيد الأعداء د. عبد الله وكيل الشيخ ص ٢٩-٣٠ نقلاً من رسالة إلى حواء.

(٢) سورة الذاريات (٤٩.

التفكر في حكمة الله من وجود زوجين من نوع واحد وأن ذلك يقتضي القول: إن لكل زوج منهما في أصل الفطرة الخلقية مهمة محددة، مختلفة عن مهمة الزوج الآخر، وإلا لكان خلق زوجين من نوع واحد متطابقين تماماً في كل شيء تكراراً وعبثاً متكاملة مع مهمة الزوج الآخر ومتعاضدة حاشا لله الخالق العظيم أن يفعله، ولو كان الأمر كما يريد دعاة المساواة، لما احتاج الحال إلى وجود مخلوق اسمه الرجل ومخلوق اسمه المرأة، ولأصبح المخلوقان شيئاً واحداً باسم واحد، وخلق واحد بدون أي فوارق.

أما وإن الأمر خلاف ذلك في كل شيء مخلوق، فقد كان لكل زوج مهمة، اقتضت وجود فوارق خلقية، تسهل عليه القيام بالمهمة على أكمل وجه، وذلك هو العدل الإلهي، حيث لا يوصف بالمساواة المطلقة، وهو الذي سهل لكل مخلوق عمله، ووهبه ما يحقق به كيانه من قدرات وأوضاع خلقية تستطيع التكيف مع الواقع.

ب- إنه رغم ذلك الاختلاف بين الزوجين (المرأة والرجل)؛ في المهمة وفي بعض التركيبات العضوية، فإن الأصل واحد، والاشتراك في الإنسانية ثابت، وبناء عليه فإن الله وهو الأعلم بمن خلق وما يصلح لهذا الخلق، وضح لنا أين تكون المساواة بين الزوجين، وأين تكمن الفوارق:

- فالمرأة والرجل في التكليف الشرعي سواء، وقد أتينا على تفصيل ذلك في الشرح الذي أوردناه على آية:﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ﴾[1].

- والمرأة والرجل متساويان في جزاء العمل﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ... ﴾[2].

(١) سورة الأحزاب (٣٥).
(٢) سورة آل عمران (١٩٥).

- وهما سواء في حق التصرف بأموالهما وملكية الأشياء وحق الاستثمار والتقاضي والمتابعة.

- وهناك فرعيات عديدة يتساوى فيها الرجل والمرأة في شرع الله، في الزواج وحرية الاختيار، وفي التعلم والتعليم، وفي سيادة كل منهما على مجاله ومهمته.

وفيما عدا ذلك تكون للفروق الفطرية مداخلاتها في توجهات وعمل كل من الزوجين، وهذا الوضع أوجده الله لمصلحة الطرفين (الزوجين)، وليس لكبت أحدهما لحساب الآخر، أو من أجل طغيان طرف على طرف. لا بل من أجل أن تكتمل صورة الحياة، وتقوم سوية غير مشوهة ولا ناقصة ولا عاديَةً، فإذا حل أحد الزوجين مكان الآخر رجلاً كان أو امرأة، واتخذ ذلك منهجاً ونظاماً لاتدبيراً اقتضته الضرورة والحاجة، اختل ميزان الحياة، وخرج عن سداد الطريق.

ج- إن الخروج على منهج المساواة النسبية، الذي أودعه الله في الخلق، لا يمكن إلا أن يستتبع عقوبات إلهية، قد تبدو للكثيرين أموراً حياتية عادية، نظراً لعدم وجود الإيمان أو ضعفه الشديد، أو لعدم وجود التفكر والتأمل في المقدمات والنتائج من منطلق سنني مبدئي، بل على العكس من ذلك يقوم التفكر والتأمل لدى الغربيين والعلمانيين على النظرات المادية والتجريبية، التي تُدَعّمُ بالأعداد والأرقام والإحصائيات وحسب، فتأتي النتائج باهتة خاوية، لا روح فيها ولا عظة ولا ردع.

ومن هنا فإن المراجعات لخطوط السير – إن وجدت – تأسيساً على التفكر والتأمل بالصيغة التي ذكرناها، تأتي بكثير من الاستنتاجات الخاطئة،

وغالباً ما تتعثر في إيجاد الحل السليم، لأنها غير مبينة على سنن الفطرة وسر الخلق.

إن فكرة المساواة التامة بين الرجل والمرأة، وعدم الاقتناع بالبرنامج الإسلامي، الذي هو منهج الوسطية والاعتدال والتوازن، أدى إلى فوضى عارمة في المجتمعات الغربية، أصبحت الآن واضحة بينة، إلى درجة أنها صارت مشكلة كبيرة هناك، أخذت بناصية المجتمعات نحو التدهور وانهيار الكيان الأسري، مما حدا بكثير من المفكرين وأصحاب الرأي إلى الصراخ والإنذار وإطلاق صيحات الخوف على مصير الحضارة عندهم بأكمله، أما عندنا فقد أراد الكثيرون من متصدري الرأي وأصحاب القرار في بلادنا أن يسيروا في بناء هذه العلاقة سير الغربيين، تقليداً غير مبصر، بهرهم في متابعته ما رأوه من تقدم علمي وتقني وإداري.

إلا أن نجاحهم في ذلك لم يمض إلى حدود النهايات، التي انتهت إليها المجتمعات الغربية، في موضوع العلاقة بين الرجل والمرأة. فقد كان للإسلام دور فاعل في بلورة نفسية المسلم خلال مسيرة امتدت أربعة عشر قرناً ونيفاً مما أدى إلى إخفاق خطط المتغربين، وعدم وصولها إلى النهايات الكئيبة، التي أرادوا سوق المرأة العربية المسلمة إليها.

صحيح أن هؤلاء استطاعوا بمكر الليل والنهار وتصدر وسائل الإعلام أن يصنعوا الكثير، ويُثَبّتوا في الواقع عدداً غير قليل من أفكارهم وتطبيقاتهم، إلا أن الله سلم، وها هي المرأة المسلمة تعود رويداً رويداً إلى ما ارتضاه الله لها من مكانة رفيعة، تأخذ بالمساواة المتزنة النسبية.

إن العقوبات التي رتبها الله على الأخذ بفكرة المساواة المطلقة، وما اقتضته تلك الفكرة من خلع المرأة برقع الحياء نهائياً، أصبحت الآن جلية في مجتمعات الاختلاط والتبرج، وحرية ممارسة الجنس، ومزاحمة المرأة الرجل في شتى مناحي الحياة والعمل، سواء كانت مناسبة لها أو غير مناسبة. ومن هذه العقوبات نستطيع أن نعدّ:

١- الأمراض: (الزهري، السفلس، والإيدز)، أصبحت تشكل رعباً مخيماً على نفسية الإنسان في مجتمعات الغرب الإباحية، فهم حتى هذه اللحظة ومع إنفاق المليارات من الأموال لم يستطيعوا إيجاد علاج لهذه الأدواء المرعبة، التي راحت تجتاج الملايين من بني البشر سنة بعد سنة، حتى أصبح كابوساً أثقل من كابوس السلاح النووي. ولقد ارتبطت هذه الأمراض الفتاكة عند العلماء بانتشار أفكار الحرية الجنسية، ومساواة المرأة بالرجل وانطلاقها بدون قيود من دين أو خلق أو حتى حياء، وكان لصيحة فرويد: ((إن الإنسان لا يحقق ذاته بغير الإشباع الجنسي ... وكل قيد من دين أو أخلاق أو تقاليد هو قيد باطل ومدمر لطاقة الإنسان وهو كبت غير مشروع)) [١] صدى بعيد المدى في الغرب، فعل فعله التخريبي في الأخلاق والاجتماع.

إنه فعل مدمر، وأثر سيء بعيد المدى، كامن في انحلال المجتمعات الغربية والمقلدة لها، ذلك الذي يسمونه المساواة المطلقة، وكأن الأمر كان مدبراً من قبل شياطين الإنس أصحاب بروتوكلات حكماء صهيون

(١) من كتاب الأمراض الجنسية عقوبة إلهية د. عبد الحميد القضاة ص ٩٥-٩٦.

التي قالت: ((إن فرويد منا وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس، لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس، ويصبح همه الأكبر هو إرواء غرائزه الجنسية، وعندئذ تنهار أخلاقه)).

ولكن الله بالمرصاد لمن يعتدي على الفكرة السليمة التي ركزها في نفوس البشر، فهذا دكتور باترك بكمان من نيويورك يقول: ((إن المصابين بمرض الإيدز قد اعتدوا على الفطرة، وإن الفطرة تعاقبهم على ذلك بما يستحقون)) [1].

٢- العزلة الباردة التي راح يعيشها الأبوان (الوالد والوالدة) في الغرب، نتيجة ما ترتب على فكر المساواة من حرية بلا قيم، جعلت الأولاد يستقلون مبكرين عن آبائهم في شؤونهم الحياتية؛ الاقتصادية منها والاجتماعية والجنسية، فلا يجد هؤلاء الآباء ذلك الدفء وتلك العناية والاحترام والتقدير، التي يجب على الأبناء أن يقرّوا بها من أعماق قلوبهم، وتستقر داخل ضمائرهم، فتكون مستوية على أمر ربهم: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ [2].

ولكن أين منهم ذلك الأدب الرباني، الذي ما يزال يفعل فعله الإيجابي في مجتمعاتنا العربية، رغم أنف النفخ والضخ الإعلامي الذي يكرس مقولاته لقضية الحرية والمساواة المطلقة والانطلاق بلا قيود، وتحويل الأمر إلى

---

(١) من كتاب الأمراض الجنسية عقوبة إلهية د. عبد الحميد القضاة ص ٩٥-٩٦.
(٢) سورة الإسراء (٢٣-٢٤).

قضية جدلية تتصارع فيها الأجيال، جيل الآباء وجيل الأبناء، فكل العلاقات تحكمها صرعة (الجدل) التي أطلقها فلاسفة مرضى أوجدتهم مجتمعات مريضة، أرادت أن تجد هديها خارج منظومة الهدي الذي ارتضاه صانع هذا الكون وخالق هذا الإنسان لمخلوقاته الآدمية، فكان هذا النكران الأسود من الأبناء تجاه الآباء، وكانت تلك العزلة الباردة لهم في خريف العمر، وتلك المعاملة الجاحدة الخالية من كل العواطف الإنسانية، وذلك بما كسبت أيديهم؛ من تعليم أبنائهم حرية الفوضى وفكر الانطلاق، اللذين لا تحدّهما حدود ولا تقيدهما أخلاق ولا قيم ولا دين ولا حتى عرفان بصنيع جميل ... إنها عقوبة الخروج عن الفطرة القويمة، التي تقع ضمن تضاريس الاعتدال والوسطية، فتؤتي أكلها ثمراً طيباً، يسوي بين الأزواج فيما يتساوون فيه فطرة، ويوزع عليهم الاختصاصات حسب الفروق وأصل الخلقة، وفي حدود التأهيل والإمكان، دون اعتداء أو شذوذ سمي في حضارة العصر الغربية زوراً وبهتاناً (بالحرية)، وكان أحرى بهم أن يدعونه فوضوية وشذوذاً وخروجاً ...

لو أن المرأة اشتغلت بالمهمة العظيمة التي أوجدها الله من أجلها، وهي الأمومة الحقة، فاعتنت بولدها، ولازمته صغيراً، وأرضعته وليداً، وسهرت عليه الليالي مريضاً، ولقنته دروس الحياة فتىً ويافعاً، ووجدها معه حاضرة في البيت عند حاجته إليها، لوجدته في خريف العمر خادماً أميناً هنيئاً ليناً مطيعاً وأنيساً طيباً، ولو أن الأب شغل نفسه أيضاً بمهمة الكد على زوجه وولده وتأمين أسباب العيش الكريم لهم، ولم يجعل كل همه تأمين حاجياته الأنانية وأسباب الرفاهية والرحلات والسفر والسياحة لنفسه، فتخلى بذلك عن الإنفاق على زوجته، مما جعلها مضطرة لترك البيت والولد من أجل أن تؤمن

عيشها، ولو أنه وعى مهمته الحقيقية تجاه ولده، ولم يتخل عنه مبكراً، لوجد هذا الولد أيضاً أمامه؛ خادماً مطيعاً، وأنيساً رائعاً في خريف عمره، مثلما هو في أيام شبابه.

إن المساواة الحقيقة هي مساواة العدل التي جاء بها الإسلام، حيث سوى بين الرجل والمرأة إذ جعل منهما شِقَّي الإنسان: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[1].

فالمرأة شِقٌّ الرجل والرجل شِقٌّ المرأة في الإنسانية، وأما بعد ذلك فقد رتب الإسلام لكل منهما سبيلاً ومهمة فطره عليها، وجعل مهمة كل منهما مكملة لمهمة الآخر وضرورية ليكتمل بناء الإنسانية، وجعل مهمة المرأة أهم وأشرف من مهمة الرجل، فمع فطرة الشراكة في كل شيء، فقد ميّز الإسلام المرأة وشرّفها بمهمة بناء الإنسان، وذلك بقيامها على الغالب الأعم بمهمة بناء البيت، وترسيخ قواعده، وتحويله إلى مصنع للصالحين، لإقامة المجتمعات وإعلاء العمران الإنساني.

ولو اتبع كل طرف في هذه الشركة العظيمة أوامر الإسلام وتعاليمه لحق له أن يتنعم بتكريم الله له من خلال سلوك الأبناء؛ إذ قرن تعالى شكر هؤلاء الأبناء لربهم بشكرهم لوالديهم، ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾[2]. ((رضى الرب في رضى الوالد وسخط الرب في سخط الوالد))[3]. ((جاء رجل فقال يا

---

(١) الروم (٢١).
(٢) لقمان (١٤).
(٣) الترمذي مرفوعاً والحاكم والبخاري موقوفاً.

رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك. قال ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أبوك)) [١].

وصدق الله العظيم القائل في محكم الكتاب: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [٢].

إن الذين ينفخون ببوق الحرية والمساواة المطلقتين الفوضويتين، ظلموا أنفسهم بما دَعوْا إليه، وأوصلوا أنفسهم إلى هذا البوار وتلك الحسرة.

إن من سنن الله الواجب التقيد بها تلك النواميس الكونية المذخورة في الفطرة الأصلية لكل مخلوق، وإن مخالفة تلك النواميس لا ينتج عنها إلا الخلل والتيه والضياع، فالأرض خلقها الله في شكلها المعين لمهمة محددة، لتكون عنصراً صالحاً لحمل الإنسان وباقي المخلوقات عليها، ولو أنه حدث تغيير بسيط في فطرتها، لاختلت أسس الحياة القائمة عليها، ولتاهت الأرض، وأخلّت بحياة المخلوقات الأخرى التي تعيش عليها.

وكذلك الإنسان بشقيه: المرأة والرجل، فإن الإخلال بالفطرة التي حددها الله لكل منهما وذلك بالأخذ بباطل مساواتهم، التي ينفثون صورها كل لحظة وكل ساعة وكل يوم، أقول: إن تلك الدعوة للإخلال لا يمكن أن تكون إلا دعوة شيطانية موجهة للإخلال بانسجام الحياة الإنسانية وسيرها السير المطمئن المهتدي،وصدق الله العظيم القائل: ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم

---

(١) صحيح البخاري ومسلم، رواه أبو هريرة.
(٢) الطلاق (١).

مُعۡرِضُونَ ﴾[1].

وقد جاء تقرير هيئة الصحة العالمية الذي نشر عام ١٩٨٣ مؤكداً لما بيناه في هذا الشأن وموضحاً الجزء من الخلل الذي يحدثه اتباع الأهواء والأمزجة غير السوية بالرغبات بشأن المرأة إذ يقول: ((إن كل طفل مولود يحتاج إلى رعاية أمه المتواصل، لمدة ثلاث سنوات على الأقل، وإن فقدان هذه الرعاية يؤدي إلى اختلال الشخصية لدى الطفل، كما يؤدي إلى جرائم العنف، التي انتشرت بصورة مرعبة في المجتمعات الغربية))[2]، وطالبت هذه الهيئة بتفريغ المرأة للمنزل، وطلبت من جميع حكومات العالم ذلك، وأن تدفع لها راتباً شهرياً، إذا لم يكن لديها من يعولها)) [3] ونقول: إن أكبر خلل يحدث في شخصية الابن نتيجة خروج المرأة عن الفطرة، هو اختلال نظرة ذلك الابن إلى أمه ووالده، وإهماله لهما ولرأيهما، كما أهملاه وانطلقا يجدفان بعكس الفطرة.

هذا وقد بدأ الحق يظهر على ألسنة أصحاب دعوة المساواة، ومن خلال سلوكهم، فهذه (فرنسواز ساغان) المستشرقة الفرنسية المعروفة تقول: (أيتها المرأة الشرقية، إن الذين ينادون باسمك، ويدعون إلى مساواتك بالرجل إنهم يضحكون عليك، وقد ضحكوا علينا من قبلك) [4].

((وفي كوريا الجنوبية طالب أكثر من ٨٠% من الشعب الكوري برجوع المرأة إلى بيتها، وخرجت مظاهرات كبيرة تطالب بذلك خلال شهر

(١) المؤمنون (٧١).
(٢) نقلاً من جريدة (المسلمون) عدد ٤٦٤، ٩٣/١٢/٢٣.
(٣) نقلاً من جريدة (المسلمون) عدد ٤٦٤، ٩٣/١٢/٢٣.
(٤) جريدة النور الكويتية عدد ٦٢ تشرين ثاني ١٩٨٨، ص٧٣.

تشرين الثاني ١٩٩٣م)) [١].

وهذه الأديبة المصرية نادية موسى تقول:

((أود أن أقول لكل فتاة أو سيدة: مهما تدرجتِ في المناصب، وعملتِ في كل المجالات، ومهما سُررتِ لأن أجرك أصبح متساوياً مع الرجل، فإن بصماتك لن تظهر إلا من خلال بيتك، فالنجاح الأول يأتي في حسن تربية أولادك ونجاحهم في حياتهم وإقامة حياة سعيدة خاصة مع زوجك، وهذه هي رسالتك التي يجب أن تعيها وتعطيها الأولوية)) [٢].

خامساً: ويريدون تدمير النظام الاجتماعي

إن مصادمة الفطرة في قضية مهمة مثل قضية العلاقة بين الرجل والمرأة ركني الحضارة الإنسانية، والاعتماد على أهواء مغرضة لأناس مرضى بالأنانية الفردية، أو بخلفيات سياسية أو اقتصادية مدمرة، أمر بالغ الخطورة، وواسع التأثير في اتجاه سير المجتمعات نحو الدمار.

إن النفث الذي راح كل من فرويد ودور كايم وماركس وداروين ينفثونه من أجل رد كل أمور البناء الإنساني إلى لبنات مادية حسية، أذهبت كل مهابة أو احترام لفكرة تكريم الإنسان، (رجلاً كان أو امرأة)، كونه أهم المخلوقات وأعلاها وأميزها، إنه النفث المشبوه الذي رد أصل الإنسان إلى أرومة حيوانية، يجعل سعيه الاجتماعي قائماً على فكرة الحيوانية المتكئة على نشاطه الجنسي، بحيث يكون مبنياً على تفريغ الشحنة الجنسية كيفما اتفق وبدون

---

(١) مجلة المسلمون عدد ٤٦٤، ٩٣/١٢/٢٤م.
(٢) مجلة النور العدد ٦٢ تشرين الثاني ١٩٨٨/ص ٧٨ هامش.

نظام، حتى لا يحدث الكبت وتكون حركته الاقتصادية حركة مادية حتمية، تحكمها أساسيات الصراع والجدل، بين ملكية سائل الإنتاج ومصالح الطبقة العاملة، التي تؤدي إلى نتائج الحتميات، التي بنى ماركس نظرياته كلها على أساسها، بوجهة مادية أحادية العين وعرجاء الرجل يحكمها هوىً لا يثبت عند الحقائق الميدانية.

ولقد مضى هذا النفث قدماً في انطلاق المجتمعات، نحو إخراج الرجل والمرأة من دوائر القيم إلى دائرة هوى أناس لم يهدفوا إلى أمن الإنسان، وذلك بادعاء تحقيق كل منهما وجوده بلا حدود ولا قيود ولا روادع ولا أخلاق ولا قيم.

ومن خلال مرور العقود الزمنية الطويلة، التي تتالت في القرن العشرين، بينما كانت وسائل الثقافة والإعلان تبث للإنسان في الغرب هذا الكم الهائل من الأساليب الحياتية والأفكار الجديدة المؤسسة على آراء هؤلاء الأربعة ومؤيديهم وداعميهم، راحت تترسخ في رؤوس الناس هناك وفي سلوكهم مستحقات ذلك الفكر، من حرية الفوضى، والمساواة المطلقة، المدمرة لفطرة الإنسان، تقودها مادية وجودية بل وحيوانية، تريد أن تفرض نفسها بكل وسائل الفوضى، وبشتى الانطلاقات المجنونة، التي عدّت كل إيمان بشيء أو دين أو خلق أو عادة كبتاً وانتكاساً للإنسان.

وراح هذا الاتجاه بعد أن رسخ أقدامه في المجتمعات الغربية، يرسل الإشارات إلى مجتمعات الحضارات الأخرى، ومنها مجتمعاتنا العربية والإسلامية، مركزاً على قضية المرأة، لما لهذه القضية من إمكانية كبيرة في التأثير على توجه المجتمعات والتغيير فيها.

وحتى يتكون لدينا فهم لما يدور من حولنا بخصوص هذا الموضوع،

نورد فيما يلي بعض الإحصاءات، التي تجعلنا نفهم كيف اتجه هذا التيار في قيادة النظام الغربي الاجتماعي والحضاري، وإلى أين وصل.

ففي دراسة نشرتها مجلة The plain truth البريطانية، ونقلتها مجلة النور الكويتية عرضت إحصائيات تثير الرعب في النفس الإنسانية، وتشير إلى اتجاه أكيد نحو انهيار مجتمعات، تقوم فيها العلائق الأسرية بين الرجال والنساء على أسس غير شرعية ولا قانونية، تقول الإحصائيات إن ٥٠% من الأطفال يولدون غير شرعيين في كثير من المناطق المجاورة للمدن في العالم المتمدن والنامي، وفي بعض المناطق تصل هذه النسبة إلى ٨٠%.

٥٠% من الأطفال في البرازيل هم غير شرعيين، وفي التشيلي ٣٠% من الأطفال يولدون من علاقات جنسية خارج الزوجية، وهذه النسبة قدرتها وزارة الاقتصاد التشيلية، وفي بعض شعوب أمريكا اللاتينية تصل نسبة الولادات غير الشرعية إلى ٧٠% من مجموع الولادات، وفي بعضها تصل النسبة إلى الثلث أو النصف.

أخفض نسبة في العالم للولادات غير الشرعية هي في العالم العربي ..؟!

وقد قررت مؤسسة المشاريع في الحكومة البريطانية أنه في نهاية القرن سيكون واحد من كل ثلاثة من الأطفال مولود ولادة غير شرعية، وحسب مكتب الإحصاء الأوروبي (يورستيت) يبلغ معدل الإنجاب غير الشرعي في عام ١٩٨١ في أوروبا ٩٢ بالآلف. كما بلغ عدد الأولاد غير الشرعيين عام ١٩٨٢، ٤، ٢٢%، وفي الاتحاد السوفياتي وحسب الإحصائيات الرسمية بلغت نسبة الأولاد غير الشرعيين ٢٠% بينما ارتفعت في سيبيريا إلى ٢٥%، وفي نيويورك وصلت نسبة الولادات غير الشرعية إلى ٣٧% من مجموع

الولادات، بينما بلغت على مستوى الولايات المتحدة عامة ٢٠%، وفي بعض المدن والأحياء في المدن الأمريكية تصل النسب في الولادات غير الشرعية إلى مستوى رهيب:

ففي حي هارلم الوسطى بنيويورك تصل النسبة إلى ٨٠%، وفي بورنكس ٥٥%، وفي عام ١٩٨١ وصلت النسبة في الولادات غير الشرعية في مدينتي (يالتيمور، ونورك) إلى ٦٠%، وعلى مستوى الولايات جميعاً فإن واحدة من كل ثلاث من الولادات بين المراهقين البيض تأتي من ولادة غير شرعية، بينما هي ٨٠% بين المراهقين السود، وحوالي ٤٧% من العائلات السوداء ترأسها امرأة بدون زوج، أي إنها أم بدون زواج شرعي، وفي واشنطن فإن نسبة الولادة غير الشرعية تصل إلى ٦٥% وفي شيكاغو ٧٠% حسب تقرير السيدة ((نورتن)) مسؤولة حقوق الإنسان في نيويورك سابقاً.

إنها دوامة رهيبة من الأرقام المدمرة، خصوصاً إذا عرفنا أن هؤلاء الأطفال سيكونون عالة على كاهل الفرد الغربي مالياً واجتماعياً، وأن كلفة رعاية الواحد منهم حتى يكبر تبلغ (١٠٠٠٠٠) مئة ألف دولار حسب الدراسة.

فإذا تجاوزنا التكلفة التي تقدر بالمليارات في الولايات المتحدة وحدها – وهذا طبعاً يقع على كاهل دافع الضريبة الأمريكي-، فإن هذه الجيوش من الأبناء غير الشرعيين التي تنشأ بدون رعاية أب وأسرة، تجعلهم مستقرين ومتوازنين، تشكل عبئاً اجتماعياً ثقيلاً، يرفع نسبة الجريمة في أمريكيا مثلاً إلى (٥٠٠٠٠) حادثة قتل سنوياً حسب الإحصائيات الرسمية، إذ أصبحت هذه الظاهرة ظاهرة الجريمة في أمريكا وسبل معالجتها تدخل في برامج واهتمامات الرئيس الأمريكي والإدارة الأمريكية، إلى الحد الذي جعل الرئيس

يستصدر قانوناً بشأن حمل السلاح وحرية شرائه أواخر عام ١٩٩٣.

ونحن لا نظن أن هذا القانون سوف يؤثر على معدلات الجريمة هناك، لأن حمل السلاح وعصابات الإجرام المنظم، إن هي إلا مظاهر خارجية للمرض الفتاك الذي ينخر في الأسرة الغربية، ويجعلها خاوية، بسبب الانطلاقة المجنونة للحرية الفوضوية للمرأة والرجل، التي جعلت من الجنس عملة متداولة بدون أي عوائق في تلك المجتمعات، ولم تعد له تلك الهالة من الاحترام والقدسية، التي كانت مبادئ الأخلاق الإنسانية وشرائع الأديان تضفيها عليه، بحيث كانت العفة والشرف جزءاً مهماً وعميقاً من خُلق الإنسان، (الفرد والمجتمعات)، حتى جاء دارون بفكرته الشاذة عن أصل الإنسان الحيواني، وبنى فرويد نظريته النفسية على العقل الباطن (الاستبطان) واندفاع الإنسان بالغرائز والشهوات، ودعم هذا الاتجاه دور كايم بنظرته الاجتماعية القائلة بتحطيم احترام الأسرة وعدم الحاجة إليها.

وهناك مشكلة اجتماعية وأخلاقية كبيرة ترتبت على الفوضى الجنسية، التي أنشأتها فكرة المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة، هذه المشكلة هي مشكلة الإجهاض بسبب الحمل غير الشرعي، فالذي ذكرته الدراسة من إحصائيات للولادات غير الشرعية لا يمثل كل المشكلة، لأن الدراسة نفسها ترجع لتقول: ((والعلاقة الجنسية خارج نطاق الزواج والتي أصبحت واسعة الانتشار أحدثت مشكلة اجتماعية أخرى إضافة إلى الأولاد غير الشرعيين وهي أن كثيراً من النساء اللاتي انغمسن في العلاقة الجنسية المحرمة صرن يتطلعن إلى عمليات الإجهاض التي هي قتل الجنين الذي لا حول له ولا قوة، وفي الولايات المتحدة فإن ٧٥% من النساء اللائي يطلبن الإجهاض نساء غير

متزوجات)) [1]. وقد قادت تلك الفوضى الجنسية النهمة إلى اتجاهات شاذة، حيث ازدادت مظاهر الشذوذ الجنسي، لإشباع هذه الشهوة، التي لم يعد في ممارستها أية تنظيمات أو حدود من دين أو تقاليد ولا حتى حياء، إلى الدرجة التي جعلت مجلس العموم البريطاني يقنن الشذوذ، وجعلت الرئيس الأمريكي كلينتون يصدر أوامره بقبول الشاذين في الجيش الأمريكي، وكان من قبل قد جعل ذلك من ضمن بيانه الانتخابي حيث أيده الشاذون من الرجال والنساء، الذين لم يجدوا عيباً في تنظيم أنفسهم في جمعيات ونواد.

سادساً: وبعد ... فإنها عقوبات لخروقات:

إنها عقوبات إلهية متتابعة تأتي جراء خرق نواميس الفطرة الربانية، وإنها لن ترفع إلا بالعودة عن العوج، والابتعاد عن الانحراف في تصور العلاقة بين الرجل والمرأة، وإلا فإن الدمار ينتظر المجتمعات، وما ذهاب وزوال حضارة الإغريق ومن بعدها حضارة الرومان بخافية أسبابها، إذ إنه عندما تفشى في ذينك المجتمعين التصور الشاذ للعلاقة بين الرجل والمرأة، واختلت الموازين بينهما، راحت حضارتهما تتدهور، وإذا لم يتراجعوا ويتعظوا ذهبت ريحهم، ودالت دولهم.

فهل يريد دعاة المساواة للمرأة والرجل أن تسلك المرأة المسلمة والعربية مسلك المرأة الغربية؟ وهم ينظرون ويرون النتائج التي تضخها وسائل الإعلام يومياً من هناك، كما تضخ معها صيحات الإنذار ودعوات العودة عن الغي، التي تبدو مع كثرتها خافتة وسط الضجيج الشيطاني، الذي

(١) د. محمود الخاني مجلة النور الكويتية عدد ٥٩ آب ١٩٨٨.

يهيمن على الساحة الغربية بعامة، وهو على ما يبدو يريد لهذه المسيرة أن تصل إلى منتهاها المحتوم، وهو ذبول حضارة الغرب، ليقوم الصهاينة الذين خططوا وعملوا للوصول إلى الصورة الحالية، ونفخوا في أتباعهم ودعموا ونشروا أفكار علمائهم وفلاسفتهم الذين قعّدوا لمثل تلك النتائج.

إننا إزاء ذلك لا يمكن أن ننظر إلى هؤلاء الدعاة المتغربين الحائزين على مكان الصدارة والتحكم في عالمنا إلا بإحدى نظرتين اثنتين:

- فهم إما أن يكونوا بسطاء وسذجاً إلى الدرجة التي تجعلهم يدعون بدعوى الفوضى تلك، مع رؤية وسماع نتائجها المشينة المدمرة، وهذا هو عين الغباء والانغماس التام بالجهل المطبق.
- وإما أن يكونوا أصحاب نوايا محسوبة وخلفيات مدفوعة، يعرفون طريقهم، ويعون النتائج، وهذا هو الذي نرجحه، فنصنف معظم هؤلاء في هذه النظرة، خدماً مضبوعين ومبهورين بفكر الباطل والزيف. فهل المرأة عندنا متخلفة؟ نعم قد يكون ذلك واقعاً جزئياً وليس معمماً.

وهل المرأة عندنا مهملة؟ ... نعم إننا لا ننكر أن شرائح عديدة من مجتمعاتنا تفعل بالمرأة ذلك لسبب أو لآخر.

هل المرأة عندنا مهضومة الحقوق؟ نعم فإنه في مجتمعات ابتعدت بصورة أو أخرى عن هدي الإسلام لابد أن يحدث فيها مثل ذلك.

ولكن هل هي وحدها التي تعاني ....؟

والرجل ما هو شأنه ...؟ إنه أيضاً متخلف في العديد من مجالات الحياة ...!

إنه أيضاً مهضوم الحقوق في كثير من الصور ..!

إنه أيضاً مهمش سياسياً في معظم الأحيان ..!

وإذن أين يكمن السبب في وضع المرأة ووضع الرجل معاً بل قل في أوضاعنا عامة ومجتمعاتنا الشاملة للمرأة والرجل؟؟ وكيف يكون العلاج بعيداً عن مصادمة الفطرة ومخالفة السنن؟

أ- السبب:

إن السبب في كل ما ذكرناه بشأن أوضاعنا جميعاً:

- هو هذا القهر السياسي، الذي يغطي معظم الساحة العربية والإسلامية، ويرزح تحت نيره كل من الرجل والمرأة على حد سواء منقادين لعواصف المحنة التي تسيء إلى الكيانات الاجتماعية القائمة.
- وأيضاً القهر الاجتماعي الواسع العريض الذي يفرض الالتزام بالعادات والموروثات، التي حلت في كثير من الأحيان محل الأحكام الشرعية، وجعلت العلاقة بين الرجل والمرأة علاقة غير عادلة.
- ولاننسى القهر الاقتصادي، الذي يعمم الفقر على الرجل والمرأة، ويجعلهما في ضائقة خانقة، وفي درك خفيض من التعليم والثقافة والفهم وإدراك الوضع المستقيم لكل منهما، وتلك الأسباب مجتمعة مع تفوق الغرب في النماء والعلم والتكنولوجيا والقوة، جعلت الكثيرين ينظرون إليه على أنه القدوة في كل شيء، حيث انبهرت أبصارهم به، وانهزمت عقولهم وقلوبهم أمامه، فراحوا كالببغاوات يتبعون خطواته أينما اتجهت وحيثما حلّت.

ولو أن الجميع التفتوا حولهم، لوجدوا الإسلام قد أرسى دعائم علاقة المرأة بالرجل على قاعدة حفظهما معاً وتأمين مصلحتهما سوياً وجعل حياتهما رفيقة الأمن الأمان والانسجام، وقد قنن الإسلام تلك الدعائم منذ أربعة عشر

قرناً، محققاً بذلك العدل، لأن العدل غير المساواة المطلقة، فالمساواة المطلقة كما قلنا عدوة الفطرة، ومجافية العدل، وهادمة الاستقامة، بينما العدل هو الذي يضع الموازين القسط لكل شيء ولكل علاقة، فيعطي كل ذي حق حقه، حسب فطرته وأهليته ووظيفته التي وجد من أجلها قال ربنا: ﴿ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾.

ليست مشكلة المرأة عندنا في حجابها، ولا في حيائها، ولا في قضية عملها، ولا في قضية التزامها ببيتها وزوجها وأولادها .... إن مشكلة المرأة ومشكلة المجتمع بعامة عندنا، تتلخص بأنه من الضروري أن يتنور كل من الرجل والمرأة وأن يتعلما وينفذا قواعد الإسلام، وعندئذ يستطيع المجتمع المؤلف من الرجل والمرأة تحديد ما يريد على بصيرة ونور من هدي رب العالمين فإذا حدث ذلك، فحينئذٍ يرى القريب والبعيد:

- أن المرأة في الغرب مع أنها أُغرقت في حريتها الشخصية– على طريقتهم– فهي ما تزال تعيش في دياجير ظلم الرجل، وظلم المجتمع لها، بطرق قد تختلف عن طرق ظلمها عندنا، فهي تُضرب من الرجل، وتهان في منزلها بنسب تفوق إهانتها عندنا، وقد ذكرنا سابقاً إحصائيات موضحة تماماً لهذا.
- وهي فوق ذلك فقدت عش الزوجية الهادئ والأسرة الحميمة والاحترام في الكبر من قبل أبنائها، وهي حتى الآن لم تحصل على المساواة مع الرجل في الأجور رغم أنها تقوم بأعمال الرجل نفسها، وهذا ما تنبئنا به الأخبار القادمة من الغرب في أيامنا هذه، فضلاً عن الأمراض والأعراض الصحية والاجتماعية الناتجة عن خرق النظرة الربانية، وتلك هي عقوبات مستحقة لخرق القواعد الربانية وقد ذكرنا سابقاً بعضها.

- وهي ما تزال مظلومة، إذ إن عملها خارج منزلها لم يعد من باب الهواية أو من باب دعم اقتصاد الأسرة، بل من باب أنه يجب عليها العمل لتكفي نفسها، فالمساواة المطلقة جعلت الرجل غير ملزم بالإنفاق عليها، ومع ذلك فإنه مطلوب منها القيام بعمل المنزل إذا كان لها أسرة، وهي بهذا تعمل ضعف عمل الرجل لكنها لا تحصل إلا على أقل من ٧٠% من أجرة الرجل من عملهما الواحد. فأين ذلك من وضع المرأة في الإسلام؟!

- إن العدل الذي تبتغيه المرأة الغربية أو المرأة العربية والإسلامية لن تجده إلا في الإسلام.

- إن عائشة رضي الله عنها، التي اشتركت في الحياة العامة والسياسية، وقادت الجيوش، وروت الحديث والعلم، كانت تفعل كل ذلك وهي تكلم الرجال من وراء حجاب، ولا تزاحمهم في الشوارع والأسواق لكن ذلك لم يعقها عن إتمام مهماتها بجدارة.

- إن المرأة التي صححت لعمر رضي الله عنه في وجهه (وهو أمير المؤمنين) اجتهاده بالنسبة لتحديد مهر المرأة، لم تكن إلا امرأة مسلمة محجبة وحيية، ولم تكن رئيسة جمعية نسائية، ولا مطالبة بالحقوق ولا داعية اختلاط أو تبرج وانفلات، بل كانت تمارس حقها السياسي والاجتماعي، كما أراده الإسلام، لذا كان رد عمر عليها: أصابت امرأة وأخطأ عمر.

وهذا الموقف السليم من المرأة ومن عمر رضي الله عنه كان لأنهما (الرجل والمرأة) فهما دينهما، وتنورا به وتدبرا مقاصده وغاياته. وقاما على تنفيذه تنفيذاً صائباً.

- يذكر ابن سعد في الطبقات الكبرى: إن نيفاً وسبعمئة امرأة ممن روين

عن رسول الله ﷺ، وروى عنهن رجال كثيرون، وكن عجباً من ناحية الصدق والأمانة، حتى قال الذهبي: ((وما علمت من النساء من اتهمت ولا من تركوها)) [1].

- إن المرأة في الإسلام - لو وعيناه وتدبرناه وطبقناه- كاملة الحقوق والمهمات، فهي مساوية للرجل في التكليف وفي الثواب والعقاب، وهي مساوية له في حقوقها المالية والاقتصادية ومتابعة هذه الحقوق والمقاضاة بشأنها والتصرف بها بحرية تامة دون الخضوع لأحد، وهي مساوية له في حرية اختيار شريكها، فلا إكراه لها في ذلك، كما أنهما يتساويان في الجهاد والحياة العامة والسياسة وقد روينا من قبل أمثلة على حرية المرأة في مثل هذه الأعمال.

وبعد هذا كله فما الذي بقي من مساواة يريدها (دعاة الحرية) للمرأة؟! إنهم يتبجحون ببضع قضايا جعلها الإسلام مناط العدل، الذي لا تستقيم الحياة الاجتماعية بدونه؛ من مثل: القوامة، والشهادة، والميراث ... وتعدد الزوجات، وقد تكلمنا عن القوامة، وكيف أنها من باب توزيع الاختصاص في إدارة الشركة العائلية لا أكثر ولا أقل.

أما بالنسبة للشهادة فقد ذكرنا سابقاً، أن الاختصاص يقضي بتوثيق شهادة المرأة الواحدة، وذلك بدعمها بشهادة امرأة ثانية، في الأمور التي تكون المرأة في غالب الأحوال بعيدة عن حدوثها، وبالتالي فهي بعيدة عن مشاهدتها ورؤيتها، كالأمور الجنائية والاقتصادية، بينما الأمور التي تكون المرأة في الغالب قريبة منها فإن شهادة امرأة واحدة مقبولة فيها مثل قضايا النساء الخاصة، فالقضية هنا ليست قضية انتقاص للمرأة، بل قضية توثيق واحتياط

---

(١) ميزان الاعتدال، جزء ٤، ص٦٠٤.

لحفظ الحقوق. أما قضية الميراث وأن تأخذ المرأة نصف حصة الرجل فإن في ذلك العدل كل العدل، وليس في ذلك انتقاص أبداً من قيمة المرأة أو مكانتها، بل إنه مقابل تحمل الرجل لنفقة الزوجة والأولاد، ومقابل تحمله تكاليف الزواج وأعباء اقتصادية أخرى كثيرة قضت بها الشريعة، مثل الإنفاق على بعض الأقارب إن كانوا فقراء، أو قضت بها طبيعة الأشياء والأصول الاجتماعية بصورة عامة، إنه مقابل ذلك كله فقد رتبت الشريعة الإسلامية له ضعف حصة المرأة التي لم يحملها الإسلام شيئاً مما ذكرناه من الأعباء وهكذا فالغنم بالغرم.

هذا إلى جانب حالات كثيرة تكون حصة المرأة من الميراث مساوية لحصة الرجل وفي حالات عديدة ترث المرأة ولا يرث الرجل، وكل ذلك ليس محكوماً بالذكورة والأنوثة، بل بقواعد عدة عادلة ومتوازنة، وقد جئنا على ذكرها في مكان آخر من الكتاب.

وأما موضوع تعدد الزوجات الذي كثر الكلام فيه ولجت الألسنة المغرضة وغير المغرضة بشأنه، فإن الإسلام جعله حلاً وليس إهانة أو استهتاراً بكرامة المرأة كما يحاول البعض تصوير الأمر، فكم من مرة وجدت الدول نفسها أمام معضلة، تتمثل بقلة الرجال وكثرة النساء نتيجة حرب أو غيرها وهي في هذه الحالة أمام أحد خيارين: إما أن تجعل من التعدد أمراً منظماً ومصوناً ومقنناً، أو أن تتركه بغاءً مستتراً، تترتب عليه نتائج خطيرة؛ في الأنساب والتربية والمواريث وزعزعة الأنسال وتفريخ الجيوب الإجرامية الفاسدة في المجتمعات. والتعدد حكمه الإباحة وليس فرضاً أو سنة مؤكدة أو مندوبة.

والمرأة التي تحارب فكرة التعدد، انطلاقاً من الغيرة وتحت شعار احترام حقوقها، قد تجعل نفسها نتيجة لظروف حياة العصر عانساً، فهي إما

أن تكون الثانية مع تحمل بعض الضيق والغيرة، وإما أن تفقد الفرصة في أن تكون أماً إلى الأبد، وهو الشيء الرهيب الذي تكرهه، ولا ترغب أن يكون.

إن ممارسة بعض الرجال الخاطئة في استعمال حقه في التعدد لا يمكن أن تجعلنا ندير الظهر لتشريع عظيم من خالق عظيم، هو أدرى بما يصلح المجتمع المخلوق، لأننا إن فعلنا ذلك، نكون قد فعلنا فعلة الدب الذي أراد أن يطرد الذباب عن وجه حليلته النائمة شفقة عليها من إزعاج صوت الذبابة، فأتى بحجر كبير، هوى به على الذبابة التي حطت على جبين زوجه، فسحق جمجمتها، ثم جلس يندب حظه العاثر.

ولنقرأ ما كتبه المستشرق الفرنسي المسلم حول هذا الموضوع:

((الواقع يشهد أن تعدد الزوجات شيء ذائع الصيت في سائر أرجاء العالم، وسوف يظل التعدد موجوداً ما وجد العالم، ومهما تشددت القوانين في تحريمه، ولكن المسألة الوحيدة هي معرفة ما إذا كان الأفضل أن يشرع ويحدد؛ أم يظل نوعاً من البغاء المستتر بلا حدود تحدده ولا نظام ينظمه؟))، ((وأضاف وهذا هو واقع الحال في أوروبا فإن الرجل تكون له زوجة رسمية وخليلات لا حدود لعددهن ولا ضوابط لتبديلهن...!)) [(١)]، إنه واقع أليم يقابله عدل الإسلام الذي وضع كل شيء في مكانه الصحيح، وجعل كل علاقة في المجتمعات البشرية محكومة بالعدل، وليس بالمساواة المطلقة، التي هي نداء بروتوكولي صهيوني يبتغي تدمير المجتمعات، ليقيم كيانه فوق ركامها هادفاً التحكم في هذا العالم.

ومن أجل أن تكون أصول دعوة المساواة المطلقة واضحة وغير خفية،

---

(١) المرأة والتكريم الحق، محمد محمود عجاج، ص٥٧، نقلاً عن كتاب المستشرق الفرنسي ناصر الدين دينيه (محمد رسول الله).

ومن أجل أن تتوضح سلسلة المطالب المترتبة على هذه الدعوة حتى النهاية، نورد نصين أحدهما من بروتوكولات حكماء صهيون والثاني من كلام المرحوم شكيب أرسلان يشرح فيه سلسلة الانهيارات التي يريدها دعاة الحرية والمساواة المطلقتين.

١- جاء في البروتوكول الرابع من بروتوكولات حكماء صهيون ما يلي: ((إن لفظة الحرية تجعل المجتمع في صراع مع جميع القوى، بل مع قوة الطبيعة وقوة الله نفسها ... على أن الحرية قد لا تنطوي على أي ضرر، وقد توجد في الحكومات وفي البلاد، دون أن تسيء إلى إخاء الشعب، وذلك إذا قامت على الدين والخوف من الله والإخاء بين الناس المجرد من فكرة المساواة التي تتعارض تماماً مع القوانين الخلقية، تلك القوانين التي نصت على الخضوع. والشعب باعتناقه هذه العقيدة سوف يخضع لوصاية رجال الدين، ويعيش في سلام، ويسلم للعناية الإلهية السائدة على الأرض، ومن ثم يتحتم علينا أن ننتزع من أذهان المسيحيين فكرة الله والاستعاضة عنها بالأرقام الحسابية والمطالب المادية)).

٢- وأما مقال المرحوم شكيب أرسلان الذي نشرته مجلة المنار (١٩٢٥) فيشرح فيه أهداف وغايات دعاة الحرية والمساواة المطلقة بين المرأة والرجل فيقول: ((وعند إعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨م قال أحمد رضا بك من زعماء أحرار الترك: ((ما دام الرجل التركي لا يقدر أن يمشي علناً مع المرأة التركية على جسر (غلطة) وهي سافرة الوجه، فلا أعد في تركيا دستوراً، ولا حرية)).

فكانت هذه المرحلة الأولى، وفي هذه الأيام بلغني أن أحد مبعوثي مجلس أنقرة الكاتب (رفقي بك)، الذي كان كاتباً عند جمال باشا في سورية كتب: ((أنه ما دامت الفتاة التركية لا تقدر أن تتزوج بمن شاءت ولو كان من

غير المسلمين، بل ما دامت لا تعقد مقاولة مع رجل تعيش وإياه كما تريد مسلماً أو غير مسلم، فإنه لا يعدُّ تركياً قد بلغت رقياً، فهذه المرحلة ((الثانية)).

((فأنت ترى أن المسألة ليست منحصرة في السفور، ولا هي بمجرد حرية المرأة المسلمة في الذهاب والمجيء كيفما تشاء، بل هناك سلسلة طويلة حلقاتها، متصل بعضها ببعض، لابد أن ينظر الإنسان إليها كلها من أولها إلى آخرها، فإذا كان ممن يرى حرية المرأة المطلقة، فعليه أن يقبلها بحذافيرها .. أما أن نجمع بين حرية المرأة وعدم حريتها، وأن نطلق لها الأمر تذهب حيث أرادت، وتضاحك من أرادت، وتغامز من أرادت، ثم إذا صبا لها رجل من غير جنسها، فذهبت وساكنته وكان بينها وبينه ما يكون بين الرجل وزوجته، أقمنا القيامة ودعونا بالمسدس وقلنا يا للحمية يا للأنفة يا للغيرة على العرض فهذا لا يكون وليس من العدل ولا من المنطق أن يكون)).

((والنتيجة التي نريدها قد حصلت وهي أن سلوكنا مسلك الأوروبيين حذو القذة بالقذة في هذه المسألة، هذا له توابع ولوازم لابد أن نقبلها، ولا يبقى معها محل لكلمة (أعوذ بالله)، كلا لا يوجد هناك (أعوذ بالله)، بل تلك مدنية وهذه مدنية، تلك نظرية وهذه نظرية، فعلينا أن نختار إحدى المدنيتين أو إحدى النظريتين، مهما استتبعت من الأمور التي كان يقال في مثلها عندنا (أعوذ بالله)))[1]. وهذه هي الغاية التي يريدها دعاة الفوضى والدمار.

---

(١) من كتاب د. محمد محمود أزمة العصر ص ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦.

الفصل الخامس

إلى أين المسير؟

الفصل الخامس

إلى أين المسير ؟

أولاً : مدخل :

قال ربنا جلت عظمته: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَـٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ﴾[1].

إن التعرف على أصحاب دعوات التغريب للمرأة المسلمة ضروري، من أجل نجاح الدعوة لاستعادة المرأة والرجل من غيّهما إلى أمان الإسلام وحضنه الدافئ، وذلك بعد المحاولات الهائلة، والتضليل الإعلامي السافر، لدفعهما معاً إلى أحضان الجهالة والبوار، ابتغاء جرِّ المجتمعات المسلمة كلها خلف عملية تغريب المرأة، بعد أن تيقنوا من المكانة التي تحظى بها المرأة وقدرتها العالية على تطويع الأجيال وبنائها فوق الأساسات التي يراد لها أن تسير عليها، بحيث يقاد المسلمون من أنوفهم إلى حتف الببغاوية والتقليد الأعمى، اللذين يوصلانهم في مآل الأمر إلى طاعة عمياء، وداهية دهياء، يكون الحليم فيها حيراناً، والحكيم تائهاً، لا يدري أشرٌ أريد بمن في الأرض، أم أراد بهم الراكضون خلف السراب أن يكونوا بدعة مقيمة، تنوش أطراف القبيلة، لكن الله أراد لتلك البدعة أن لا تلبث إلا ساعة من ليل، ثم تنحسر عن وجه مضيء مستبشر بنور الله ورعايته؟ ..

لذا فإنه من أجل إحكام الرأي في مسيرة المرأة المسلمة، ومن أجل ترجمة مبينة لغمغمات المضللين، الذين يبغونها عوجاً، ويريدونها ببغاوية،

---

(١) سورة محمد الآيتان (٢٩، ٣٠).

مسفرة عن ضياع الهوية وعصيان أسود لأوامر الله ونواهيه، وليكون كشف الغطاء عن الأفكار الضالة المضلة، تعريفاً بدعاتها من جهة، وتنسيقاً لجهود المخلصين في سبيل فضح مقولاتها وإلغاء أثرها عند الناس ثانياً، وعملاً بما جاء من عند الله من منهج الوقوف لهؤلاء وأمثالهم ثالثاً، وهو الذي جاء في الآية الكريمة ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾.

وهنا أعيد القول: إنه من أجل ذلك كله كان إلقاء الضوء على هؤلاء القابعين في عتمة خداع البشر وجرهم إلى الحفر الآسنة، عملية أولية هادفة ولازمة لمنهج إتمام ردّهم، ثم ردعهم عن غيّهم، ومن ثم إيقاف التأثر بأقوالهم وأفعالهم نهائياً إن شاء الله.

وأول وأهم تعريف بهم وبمناهجهم ما ورد في الآية من دلالة ومنهج، إذ تقول: ﴿فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾. وإذن فنحن في هذا المبحث لن ندخل في موضوع تسمية أشخاص بعينهم، وإنما نتجه إلى تحديد سيماهم والكشف عن زيف وزيغ أقوالهم وأفعالهم .. أما أمر ذكر الأسماء فنتركه للحاجة، وعندما يتعين ذلك الذكر بالدليل القاطع وبصيغة: (من فمك أدينك).

١- السّيماء: جاء في المعجم الوسيط: السّيما: العلامة، والسّيماء هي السّيما والسّيمياء هي السّيما.. وإذن فإن السيماء هي العلامة الدالة على حقيقة الشيء أو حقيقة دعوة الشخص أو الجماعة أو الهيئة.. وهذه العلامة الدالة الموجودة في الدعوة أو شخص صاحب الدعوة أو حتى في الشيء أو الهيئة ليس من السهل اكتشافها والتعرف على كنهها أو كيفية تغريرها للناس، بل إنها تحتاج إلى البحث والجهد والتأمل وتقليب الأمور، وهذا كله واجبُ من وَضَعَ نفسه في حومة صدّ الاعتداء على

مجتمعاتنا لتغريبها وتخريبها، عن طريق استدراج المرأة والرجل إلى درك الانفلات من طاعة الله، والخوض في معاصيه، تحت مسميات ولافتات لامعة مبهرجة في إغراءاتها وزينتها.

وإن عبء هذا الواجب ثقيل، وكلفته كبيرة، فهي مؤلفة من وقت ومال وجهد جهيد وتوثيق عزيز، وسهر طويل، وصبر جميل على الأداء والمواجهة والمطارحة والمصارحة، ولكنني في هذا المدخل سوف أتطرق إلى إيجاز شديد في هذا السياق، لعلّي ألقي ضوءاً على قصة السيماء، وفيما يلي تغطية موجزة لبنود هذا المطلب وهي:

أ- تغطية رذائل فكرهم بلافتات المصلحة العامة للأمة، وبالمصلحة الخاصة للمرأة، فهم يقولون إن من المصلحة العامة تشغيل نصف المجتمع! مع أننا لم نستطع تشغيل النصف الرجالي، وظلت الأمة في معظم أقطارها تعاني من بطالة عالية في كل المستويات، ويقولون: إن من المصلحة الخاصة للمرأة أن تنخرط في العمل العام والخاص كي لا تبقى مهملة سجينة البيت، مع أن المرأة والرجل مظلومان في دولنا، إذ إن العمل العام، إن كان اقتصادياً ترك نسبة عالية من الرجال في بطالة تشكل عبئاً على المجتمعات، وإن كان العمل العام قيادة سياسيةً واجتماعيةً، فإنك لن تجد في بلادنا إلا الندرة ممن يشغلون هذا الباب من عامة الناس، باستثناء نفر ممن كان موالياً أو منافقاً أو متسلقاً، سواء كان ذلك رجلاً أم امرأة، وهكذا فإن ادعاءاتهم بالمصلحة العامة أو الخاصة، ليست إلا تغطية غير ناجعة في تزيين مقولاتهم، بل هي سيماء فاضحة لخبيئاتهم التي يسترون ضلالها بمثل تلك المقولات البائسة، حيث ينطبق عليهم من خلالها قول الله سبحانه وتعالى:﴿ ...**يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ**

﴿ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾[1] .. ولن تكون نتيجة مقولاتهم إلا افتراء لا يصغي إليه إلا من أعطى الظهر لشرع الله، وهو ما بينه القرآن بالقول: ﴿ ...فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾[2].

ب- ومن السيماء الدالة بوضوح على توجهات هؤلاء دعواتهم السافرة إلى مخالفة الإسلام، بل والهجوم عليه فيما يتعلق بالمرأة، بحيث يريدونها أن تتحول إلى مثيلتها الغربية تماماً، لتغرق إلى أذنيها في حمأة الأفكار القاتلة لشخصيتها موقعة بها في حومة استغلال الرجل لها؛ ذلك الاستغلال الهادف إلى أن تكون المرأة عبدة لغرائزه وفي متناول يده وحاجته الماجنة الضرورية لرغابئه الشاذة، ولزيادة ربحه عن طريق توظيفها بالأجر القليل الذي يدفعه لها، مقابل ابتزازها أيضاً في نفسها وعفتها ورفعتها واستقلالها، وكل ذلك خلافاً لما أراده لها الإسلام، وضمنه بضمانات الصون والتقوى والحفظ من السقوط في حفر المزينين لخروجها الفوضوي من بيتها، ولإدخالها في دوامة العمل والتعليم اللذين لا يلائمان فطرتها ولا إمكاناتها ونفسيتها، وما وهبها الله من ميزات تناسب مهمتها التي ندبها الله لها، وكان ذلك السقوط هدفاً مرسوماً لهم، بعيداً عن الفهم القويم لآيات الله في الأنفس وفي الميدان، حيث بيّنّا كثيراً من عورات فهم المتغربين وأسيادهم في صفحات كتابنا السابقة، التي نعدُّ منها ما يبين بوضوح سيماء هؤلاء وهي: المساواة التامة بين المرأة

(١) الأنعام (١١٢).
(٢) الأنعام (١١٣).

والرجل، وتقييد الطلاق وتعدد الزوجات وحذف نون النسوة، والاختلاط في التعليم[1].

ج- ومن سيمائهم أيضاً مدافعتهم الفجة للفكر الإسلامي القائل بوسطية الإسلام، وأن أهل الإسلام هم الشهداء على الناس جميعاً، وليس الآخرون هم الشهداء علينا وعلى ميداننا، وذلك مصداق قول ربنا جلت حكمته: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ...** ﴾[2] وإذن فالمسلمون شهداء على الناس بما آتاهم الله من قرآن، ومن بعث رسول كريم فيهم، ومن سنة عالية غالية تركها فيهم، فإذا جاء أحدهم وقال: إن اتباع فكر الغربيين وممارساتهم بشأن المرأة بما يخالف شرع الله هو الحق فإن هذا القائل يكون قد ناهض قول ربه الذي يبين أن المسلمين المنفذين لشرع الله وتعاليم رسوله ﷺ هم الذين يحق لهم التمسك بالشهادة على الناس.

د- ومن سيمائهم البارز: زعمهم أنهم يهدفون من عروضهم البائسة على الناس إلى الاصلاح والأخذ بيد الناس إلى التقدم والمدنية والتحضر، جالبين كل ذلك من عند الغربيين الذين سبقونا إليه، وهم يسمعون ويرون ما حلَّ بالمرأة الغربية نتيجة لهذا الذي يدعون بجد مريب ليطبق عندنا، وكذلك هم يقرأون ما يكتب في الغرب من قبل بعض النابهين الواعين هناك، الحريصين على المحافظة على مجتمعاتهم نظيفة، خالية مما أودت إليه أفكار صنعتها أهواء مريضة مريبة ذات مرامي وغايات

---

(١) من مقررات المؤتمر النسائي بقيادة هدى شعراوي وأصدقائها عام ١٩٤٤.
(٢) البقرة (١٤٣).

هابطة مريعة. ولقد بين لنا القرآن نفاقاً شبيهاً بمثل هذا النفاق الذي يحوم في ساحتنا اليوم، داعياً إلى الخراب والهوان والخنا، وهو قول ربنا جل وعــلا: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾[١]. إن فـي وصـف ربنـا لهـم بـأنهم (لا يشعرون) بلاغة علمية نفسية، يكشفها لنا ربنا العليم بما خلق وبمن خلق، فهم يعلمـون أنهـم مفسـدون، لـذا فـإن ربنـا لـم يقـل لا يعلمـون، بـل قـال: ((ولكن لا يشعرون)). فهم لا يشعرون باحتقار النـاس لهم وبإعراضـهم عنهم، كما لا يشعرون بما تحدثه أفكارهم من صور فاسدة فـي مجتمعـات المسلمين، تعطي انطباعات غير واقعية للغريب عن هذه المجتمعات. مع أن القـرآن يناشـدنا لـيلاً ونهـاراً، ليوجهنـا علـى مسـمع مـن العـالم أجمـع، إنسـهم وجـنهم، مـؤمنهم وكـافرهم، ببلاغتـه: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ... ﴾[٢]. ففي هذه الآية دعوة بينة الهدى، تواجه الذين يريدون إفساد المرأة، وهم يدّعون أنهم مسلمون وأنهم إنما يريـدون الإصـلاح.. فهـل الإصـلاح فـي الإسـلام يكـون بعيـداً عـن معـاني الآيـة الكريمـة وفروضـها..؟ ومـاذا نسـمي الـذين ينهضـون بجهـودهم مـن أجـل حريةٍ للمرأة، تخرجها من طاعـة الله إلـى معصية موشـحة بادعـاء التقدم والحداثة والمساواة المطلقة والحرية الفوضوية، إننـي مـع الشيخ العلامـة (محمـد الغزالـي)- رحمـه الله- فـي قولـه المبنـي علـى العلـم الحـق والفهـم القـويم: ((أكـره البيـوت الخاليـة مـن ربّاتهـا، إن ربـة البيـت روح ينفـث الهناءة والمودة في جنباته، ويعين علـى تكوين إنسـان سـوي طيـب، وكـل

(١) البقرة (١١ ، ١٢).
(٢) آل عمران (٣١).

ما يشغل المرأة عن هذه الوظيفة يحتاج إلى دراسة ومراجعة، وإلى جانب هذه الحقيقة فإني أكره وأد البنت طفلة، ووأدها وهي ناضجة المواهب، مرجوة الخير لأمتها وأهلها. فيكف نوفق بين الأمرين؟ لنتفق أولاً على أن احتقار الأنوثة جريمة، وكذلك دفعها إلى الطرق لإجابة الحيوان الرابض في دماء بعض الناس. والدين الصحيح يأبى تقاليد أمم تحبس النساء، وتضيق عليهن الخناق، وتضنّ عليهن بشتى الحقوق والواجبات (المقررة لهن في شرع الله)، كما يأبى (الدين الصحيح) تقاليد أمم أخرى جعلت الأعراض كلأً مباحاً، وأهملت شرائع الله كلها، عندما تركت الغرائز الدنيا تتنفس كيف تشاء))[1].

ولأهمية ما يقوله الشيخ الغزالي وصدقه نتابع الاقتباس منه، إذ يقول أيضاً: ((يمكن أن تعمل المرأة داخل البيت وخارجه، بيد أن الضمانات مطلوبة لحفظ مستقبل الأسرة، ومطلوب أيضاً توفير جو من التقى والعفاف، تؤدي فيه المرأة ما قد تكلف به من عمل ... والمهم في المجتمع المسلم قيام الآداب التي أوصت بها الشريعة، وصانت بها حدود الله، فلا تبرج ولا خلاعة، ولا مكان لاختلاط ماجن هابط، ولا مكان لخلوة بأجنبي: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[2].

على أن الأساس الذي ينبغي أن نرتبط به أو نظلّ قريبين منه هو البيت، إنني أشعر بقلق من ترك الأولاد للخدم أو حتى لدور الحضانة،

---

(١) من كتابه القيم: ((السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث))، ص ٤٤، (دار الشروق).
(٢) البقرة (٢٢٩).

إن أنفاس الأم عميقة الآثار في إنضاج الفضائل وحماية النشء، يجب أن نبحث عن ألف وسيلة لتقريب المرأة من وظيفتها الأولى، وهذا ميسور لو فهمنا الدين على وجهه الصحيح، وتركنا الانحراف والغلوَّ معاً)) [1]
إنه (الشيخ الغزالي) يشعر بقلق مِنْ ترك الأولاد للخدم أو لدور الحضانة، لأنه يعلم ويفهم أن الوظيفة الأولى للمرأة أن تكون أماً ومربية أجيال، وصانعة دفءٍ وسعادةٍ وجمالٍ لبيت الأسرة .. في حين - كما قلت آنفاً - إن الداعين للتحرر الفوضوي والمساواة المطلقة لا يشعرون بما يشعر به الشيخ، لأن غرائزهم وأغراضهم المريبة هي التي تحركهم.

إن النقاش مع هؤلاء غير مفيد إذا كان مع أناس منهم ارتبطوا مع مشروع التغريب بمالٍ أو جاهٍ أو قامةٍ، منحت لأحدهم وهو لا يستحقها، وهنا يكون موقف هؤلاء قائماً على ساقٍ: ((عنزة ولو طارت))، فنقاشهم نقاش عقيم، فلا يصل المرء معهم إلى نتيجة. أما إن كان الرجل منهم مغرراً به عن طريق الغفلة أو الجهل أو التقليد بلا تروٍ، فأمثال هذا قد تجدي مناقشته، وقد يُستفاد من مناظرته شخصياً أو إعلامياً، وقد يصل المناظر إلى نتيجة إيجابية معه إذا كان المناظر مليئاً علمياً وذا حجة قوية.

ولقد مضى جزء من القرن التاسع عشر، ثم مضى القرن العشرون، ومعركة تغريب المرأة على أشدّها في ساحة أمتنا، تبنّى كِبْرها أشخاصٌ كثر، تدرّجوا في المناصب واحتلال القامات الإعلامية والثقافية، ساعدهم في ذلك دعم استعماري حثيث ودعم حكومي محلي؛ إذ سُلِّم

(١) الشيخ الغزالي (السنة النبوية)، (ص٤٤، ٤٥)، مصدر سابق.

هؤلاء أماكن حساسة في الإعلام وفي دوائر الثقافة وأماكن التأثير في مجتمعاتنا، ومُدّوا بالحماية الرسمية، وبمنحهم المديح الذي لا يستحقونه، وبإفساح المجال لهم لاعتلاء المقامات الرفيعة، وغشيان المحافل، ومنحهم الدخل العالي، الذي يصل في بعض الحالات إلى فتح السقوف بإغراء لا يكاد يُردُّ من قبل الطامحين .. وكل ذلك من أجل إدخال مثل هؤلاء في خدمة مشروع التغريب للأمة، ومن ثم للانقضاض على كل شيء فيها: (الأرض ، الثروة، الإنسان، والهوية). إنه مشروع استعماري بدأ بلون الاحتلال المباشر وتوظيف الكثيرين فيه بالطرق التي ذكرناها آنفاً، ثم تلونت الأساليب بعد غياب الاستعمار المباشر، فبزغت في الآفاق مجموعات وأحزاب وهيئات منها اليساري الاشتراكي، ومنها الشيوعي (الأيديولوجي) ومنها القومي (الشوفيني) الذي أفرغ العروبة من الإسلام، ومنها الباحثون عن أمكنة شخصية لا يستحقونها، فباعوا واشتروا ليصلوا إلى الهدف. ومع أن الإحصائيات الغربية والرسمية أو الصادرة عن منظمات مختصة، وكذلك مع مطالعتنا للإعلام المكتوب أو المسموع أو المرئي، الذي يبث آراء المفكرين والمفكرات من أهل الغرب، تلك الآراء التي تطلق الإنذار تلو الإنذار، محذرة من الاستمرار في غيّ التعامل مع المرأة ببدعة خروجها من بيتها، فوضوياً وإبعادها عن المكان الذي هو حياتها، الملائم لفطرتها التي فطرها الله عليها، ورتب بناءً على ذلك مهمتها التي تتقنها وتجود فيها ... أقول مع أن ذلك حادث، فإنّ دعاة التغريب في بلاد العرب والمسلمين مُصِرّون بشكل عجيب على تقليد الغرب بشأن المرأة وعلاقتها بالرجل وبالأسرة وبالخروج غير الضروري لها ولأسرتها، فهم في ذلك متابعون

للمتغربين السابقين المبهورين بفوضوية الغرب، من مثل رفاعة الطهطاوي، وسلامة موسى، وقاسم أمين، وهدى شعراوي، وصفية زغلول زوجة سعد زغلول، وهاتان الأخيرتان هما اللتان قادتا مظاهرة النساء عام ١٩١٩ التي خرجت فيها النساء لإعلان احتجاجهن على الاحتلال الإنكليزي لمصر، فلما بلغت المظاهرة ميدان الإسماعيلية في القاهرة، قامت المرأتان هناك بقيادة عملية حرق الحجاب ... وقد أطلق على هذا الميدان فيما بعد (ميدان التحرير) أي تحرير المرأة من تنفيذ أوامر ربّها، فهل رأيتم أسوأ من افتعالٍ فجٍ مريبٍ، يستغل مظاهرة احتجاج على الاحتلال، ليحولها المتغربون باسم التحرر إلى تظاهرة مؤيدة لفكر المحتلين ومناهجهم الخائبة وممارساتهم الحياتية غير السوية ولعمري .. إنه لسلوك خادم للمحتلين، يضع الفاعلين في خدمة مشروعهم، بل في ذيل ذلك المشروع الغربي .. أفلا تتفكرون؟!

هـ- ولمزيد من إلقاء الضوء على العوامل التي تُظهر نوايا المتغربين، وترفع الغطاء عن سيمائهم، نقول: إن وسائل الإعلام اليوم (الإذاعة، الصحيفة، التلفاز، السينما، الشبكة العنكبوتية) وهي متغربة بالأعم الأغلب تقوم بنشر أفكار المتغربين بشأن المرأة، حيث تُفسح هذه الوسائل بصورة متعمدة لأفكار هؤلاء، وأيضاً تتبرع بعروض فاضحة من الصور ومن الممارسات التي تزخرفها وتزينها بمديح عريض لها، بحيث تدعو تلك العروض المرأة إلى التقليد والاتباع لأن عنوانها الحرية والتقدم والحداثة والحصول على الحقوق. إن هذه الوسائل بتوجيه من مسؤوليها الذين ينتمون إلى صف المتغربين تدعو إلى التخلي عن البيت، والاقتداء بعارضات الأزياء من ناحية "الموضة"، والتكشف ومواصفات

الجمال العاري، والصرف المفرط على التزين واللباس المتنوع؛ زيٌّ للصيف، وزي للخريف، وآخر للربيع، وأيضاً للشتاء، وزي للبحر يكشف عن كل مخبوء الفتنة، ثم ها هم في الفضائيات والشبكة العنكبوتية تجرأوا على الأحكام القطعية الثبوت والدلالة إسلامياً، فراحوا يجعلون تلك الأحكام موضع نقاش وحوار، وفي غالب أحوال حلقات الحوار التي يديرونها يقابلك فيها من ليس لهم علم من كتاب منير أو سنة ثابتة، بل هم يهرفون بما لا يعرفون، ويجدّفون بما لا يمت إلى شرع أو عقل أو منطق بصلة، ونعتقد أن الهدف من تَشَدّقهم والالتفاف على الحقائق هو إدخال الناس في حيرة وتردد وقلق وعدم يقين، ومن ثم جرّهم إلى حضيض المستوردات من الفكر والتطبيقات الميدانية لذلك الفكر المظلم، فها نحن نرى الصحف في بلاد المسلمين تخصص صفحة أو أكثر لعرض صور المتبذلات والمتبذلين على أنها الحق والجمال والتقدم .. وإنك لترى هذه الصحف ومن غير مناسبة ولا سياق تختم صفحاتها بصورة فاضحة لنساء شبه عاريات، ما يشعرك بالنوايا المريبة، والهدايا ذات الأغراض المشبوهة للمسؤولين عن تلك الصحيفة وما شابهها، وهذا منه كثير إلا من رحم ربك ولحقته الهداية الربانية، فألزمته بالحق والطهر والبعد عن مثل ذلك السقوط الجالب لغضب الله، المهلك لبناء الشعوب، المعتدي على حرماتها، المهدد لأمنها وأمانها والهادم لملاذاتها الآمنة ... ونحن إذا انتقلنا من الصحيفة إلى التلفاز فسوف نجد العجب العجاب، من هجوم شرس على الأخلاق، ودمار مبرمج للعفة بصورة مفزعة، تفضي إلى الانحراف عن الحق، والابتعاد المشين بالناس عن الواقع، وجرّهم إلى عوالم افتراضية لا توجد إلا في الصورة المرئية أو في المساحة الضيقة من الحياة الماجنة.

وفي هذا السياق لا بأس من الاقتباس من أحد كتب الكاتبة الأردنية المسلمة (خولة عابدين) إذ تقول: (وفي وسائل الإعلام تكريس لفكرة إطالة مرحلة المراهقة لدى الرجل والمرأة من أجل التقليد:

١- امرأة جميلة عارية هي فتاة غلاف لمجلة أو جريدة.

٢- تعرض (الماكياج) وصرعاته، ونساء عاريات يقمن بالعروض.

٣- عروض الأزياء وما فيها من فضائح وكشف للعورات.

٤- والذين يتصدرون لحل مشكلات النساء في غالب وسائل الإعلام لا يكونون محصنين بعقيدة التوحيد، بل هم متخصصون بالتغريب، فتكون حلولهم حلولاً غير شرعية، بل إنها توقع المرأة في مزيد من الضياع والسقوط والبعد عن الله عز وجل.

٥- واقتداء المراهقة والمرأة عموماً بالمغنيات والممثلات والداعيات لتحرير المرأة (لإخراجها عن دينها).

٦- والتعارف بين الجنسين (في الشبكة العنبكوتية بصورة خاصة عن طريق (الشات وغيره)، هو خطوة فساد كبيرة، أريد منها تدمير شخصية المرأة المسلمة القائمة على الحياء والعفة والستر.

٧- والأفلام (التي تعرض على الشات) لقد تبين من خلال إحدى الدراسات التي أجريت على خمسمائة فيلم طويل أن موضوع الحبّ والجريمة والجنس يشكل ٧٢% منها، ودراسة أخرى استعرضت ١٠٠ فيلم فوجدت أن ٦٨% من تلك الأفلام تدور حول الجريمة والعنف وتزينهما .. لذلك كثرت عصابات الجريمة من قبل الأحداث والصغار نتيجة لمشاهدة تلك الأفلام.. قال الدكتور (هوب أمرلور) الأمريكي ((إن الأفلام التجارية تنشر الجنس في العالم والمراهقات

يتعلمن أموراً ضارة))) [١].

و- وفي مجال بيان سيماء المتغربين يحسن لنا أن نقتبس قول الكاتبة الغربية بشأن عمل المرأة في بيتها: ((لأن تشتغل بناتنا في بيوتهن خادمات خير وأخف بلاءً من اشتغالهن بالمعامل، حيث تصبح المرأة ملوثة بأدرانٍ تذهب برونق حياتها إلى الأبد، ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة والعفاف والطهارة)) [٢].

وهنا يتحتم السؤال: هل تركوا المرأة المسلمة لحشمتها وعفافها وطهارتها...؟!

إنهم لم يتركوها وشأنها .. بل ظلوا ينفخون في (القربة المشروخة لفكرهم المأفون) وصدق الله العظيم القائل في كتابه العزيز: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾. وكانت أفكارهم هي السبل المفرقة عن السبيل القويم.

ز- ومن أهم العلامات الدالة على المتغربين التي تكشفهم، وتدعهم بلا غطاء يسترهم هي جرأتهم في محاولاتهم الخائبة لتشويه موقف الإسلام من المرأة، تلك المحاولات التي ارتدت عليهم فلم تترك لهم ملجأ يلجأون إليه ولا مدّخلاً يؤويهم وذلك حين افتضح أمرهم، وراح الغربيون أنفسهم (أسيادهم في أفكارهم)، يتخلون شيئاً فشيئاً عن الكثير من الأفكار التي كانت حتى منتصف القرن العشرين بديهية لا مجال للنقاش فيها؛ من

(١) من كتاب (عالم المرأة المسلمة) لخولة بشير عابدين ص ٤١/٤٠/٣٩ ط١، ٢٠٠٧ من منشورات (دار المأمون للنشر والتوزيع) عمان – الأردن. بتصرف قليل.
(٢) من كتاب (فتياتنا بين التغريب والعفاف)، للدكتور ناصر العمر ، ص ٥٦.

مثل: المساواة التامة بين الرجل والمرأة، وإخراج المرأة إلى العمل خارج بيتها حتى لا نخسر نصف المجتمع. إذا حبسنا المرأة وخنقناها في البيت الذي تحول إلى سجن لها – على حدّ تعبيرهم– الذي يلمزون به بقاء المرأة تعمل في البيت وللأسرة بأنه من عنف الماضي، وأنّ عملها هذا في إدارة منزلها وتربية الأجيال وتأمين دفء ذلك المنزل للجميع هو بطالة للمرأة، تستهدفها لتبقى أسيرة إرادة الزوج وحاجات الأسرة، وذلك - برأيهم - اعتداء سافر على حقوقها وحريتها في اختيار الوضع الذي تريده لنفسها، وكذلك دعوتهم المرأة إلى التبرج والسفور الكاشف لكل شيء مما ستره الله منها، مع أن الإسلام أمرها أن لا تكون فتنة و(فرجة) تجتمع عليها خراطيم الذباب، لتأخذ حظها من لحم مزجى في الطرق وفي الدوائر والمحافل والبيوت، وهو ما بين رسول الله ﷺ صورته المريعة ومآلات فاعلاتها الرهيبة، إذ قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: ((صنفان من أهل النار لم أرهما)) وقد عدّ منهما: ((ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة[١]، لا يَدْخُلنَ الجنة ولا يَجِدْنَ ريحها، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا))[٢].

---

(١) (كاسيات عاريات: أي لابسات ثياباً تشف أو تصف، فهي في لباسها كأنها عارية. وقد انتشر هذه الأيام نوع من هذا اللباس، حيث تغطي المرأة شعرها، ولكنها تلبس قميصاً ضيقاً يصف صدرها، وبنطالاً يصف كل أعضاء جسمها السفلي..! رؤوسهن كأسنمة البخت (أي أنهن يصففن شعورهن ضفيرة فوق ضفيرة حتى يصبح رأسها كسنام الجمل، ومائلات مميلات في مشيهن غنج وميل لإغراء الرجال، واضح أن الحديث هو من علامات النبوة .. إذ أطلع الله رسوله عما يحدث في أيامنا هذه تماماً، حيث خرجت المرأة كما وصفها الحديث).

(٢) رواه مسلم في صحيحه.

ح- وأنقل هنا مشاعر بعض الغربيات اللائي أسلمن، فأقوالهن التي يقلنها بفرح غامر تشكل رداً على المتغربين وفضحاً لسيمائهم:

- فرحتي بإسلامي لا توصف.
- شدّتني العلاقة المباشرة بين العبد وربه.
- المرأة الغربية ليست متحررة كما قد تتوهم المسلمة.
- الإسلام هو الذي أعطاني الأمان.
- اكتشفت به كنوزاً كنت أجهلها.
- حياتي بدأت عندما أسلمت، وسنوات عمري الماضية لا قيمة لها.
- زادني الحجاب جمالاً.
- الحجاب إعلان عام بالالتزام.
- الحجاب شعار تحرر.
- الحجاب يوفر لي مزيداً من الحماية.
- الحجاب جزء مني، من كياني، فقد ارتديته قبيل إسلامي لإحساسي أنني أحترم نفسي وأنا أرتديه.
- أجاب الإسلام عن جميع تساؤلاتي.
- اكتسبت من الإسلام القوة.
- وجدت في الإسلام ضالتي وعلاج أزمتي.
- قبل إسلامي كنت لا شيء، والأجدر باسمي - قبل إسلامي - أن يكون ((لا شيء)).

- أحسُّ في قلبي رقة لم أعهدها قبل إسلامي.

- عندما أسلمت أصررت على ارتداء الحجاب بالكامل، من الرأس إلى القدم.

- وقالت إحداهّن بعد إسلامها: إن سبب اعتناقها للإسلام هو ما رأته من مظاهر الحشمة وخلق الحياء بين المسلمات، ومن تركهن للاختلاط والتبرج الذي دمّر قيم الأسرة والمجتمع في بلادهم(١).

هذه كلمات نيّرات من مسلمات غربيات ذقن طعم الإيمان، واتصلت قلوبهن بالنور الذي أنزل على خاتم النبيين محمد ﷺ، واغتسلت أرواحهن ببهاء الدين الحق وكلماته النورانية المشرقة، فخرجت من ذلك الاغتسال بهالة الفطرة الربانية الأصلية، التي تقوي الروح والجسد والقلب والنفس، وتجعلها جميعاً في حمى الرحمن، يرعاها ويحقق لها الخير والهداية والإقبال المباشر على مائدته، وقوة المواجهة والتضحية، فهن في ذلك مثلهن كمثل سحرة فرعون، إذ ما كادت تظهر لهم الحقيقة الإيمانية على يد موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، حتى قالوا ساعة مباشرة الإيمان لقلوبهم: ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾(٢).. وعندما هددهم فرعون بقوله: ﴿ ...فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ

---

(١) من كتاب (لكي لا يتناثر العقد) لعبد الرزاق المبارك نقلاً عن مجلة المجتمع (ط٢، ص(٧٥-٧٦-٧٧-٧٨-٧٩)).
(٢) طه (٧٠).

﴿ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ ﴾ [1] لم يأبه السحرة (الذين لامس الإيمان شغاف قلوبهم)، بتهديد فرعون، بل قالوا له مواجهة غير هيابين: ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ﴾[2].

ط- أليس ذلك الموقف التاريخي القديم شبيه بموقف المسلمة الغربية التي أسلمت لتوّها، فهي تقول: نطقت بالشهادتين فسَرت في عروقي قوة خارقة، أو تقول: اكتسبت من الإسلام القوة لمواجهة الناس؟ نعم .. إن في الإسلام والإيمان قوة، تكتب على صفحة القلوب شعاراً من الإقدام والتقديم لا يضاهيه أي شعار حياتي آخر ...

فهلّا كان هذا الذي قدمته من كلام الغربيات حافزاً للمسلمات من بني جلدتنا وللمسلمين، ليقفوا وقفة تأمل فيما هم ماضون فيه من تقليد لأفكار وممارسات مجتمعات أولئك المهتديات الغربيات؟ تلك المجتمعات التي بنت كياناتها على فكرة الصراع المقيتة، حيث تَنَقّلوا بها من الصراع بين العلم والدين، إلى الصراع بين الأنواع، ليبقى النوع الأرقى ويفنى النوع الأدنى (على رأي دارون)، ولينتقلوا بعد ذلك إلى الصراع الطبقي الذي بعثت بوادره الماركسية الشيوعية، وأخيراً وليس آخراً كان

(١) طه (٧١).
(٢) طه (٧٢).

الصراع بين المرأة والرجل[1]، الذي ابتعثه أبالسة الفكر الغربي الحاقد على الكنيسة وتعاليمها المحرفة، وذلك ليجد إبليس الجن له موطئ قدمٍ فاعلٍ في عالمنا المعاصر، يشغل به كلاً من الرجل والمرأة، في معمعة يكونان خاسرين فيها معاً، وذلك حين تفضي تلك المعركة إلى الفشل المجتمعي نتيجة الفرقة أولاً، ونتيجة لهدم كيان الأسرة التي هي عماد الأمة ولبنتها الأولى ثانياً ومن ثم فإن ذلك كله يرسل الجميع إلى نار البعد عن هدي الله ومرضاته، وهو الطامة الكبرى كما ترون في الميدان، فلا تشبّهوا وعودوا إلى مذخوركم الإيماني... كما عاد الكثير من الغربيين إلى الحقيقة، وفيما يلي قول امرأة غربية آبت إلى فطرتها فقالت: ((إن أجمل أوقات المرأة هي مناجاة طفل، وأحلى سويعات عمرها بيت ترفرف عليه السعادة الزوجية، وأشهى ثمرة تقطفها تربية أجيال، ... لقد تحصلنا على أكبر مركز تتوق إليه امرأة، أو يتوق إليه رجل، كما حصلنا في هذه الحياة على أكبر رصيد تتخيله بنات حواء، من السمعة والمال والجاه، لكن ذلك كله خالٍ من السعادة بمعناها الحقيقي لقد تبين لنا أن السعادة الحقيقية للمرأة بعدما درسنا الديانات المختلفة قد رسمها دين هذا الرجل المسلم بتعاليمه ومبادئه والحقوق التي

---

(١) من المصدر السابق بتصرف ص ١٠٤.

أعطاها للمرأة)) [1].

ي- إن كل ما تذهب إليه حركات تحرير المرأة ومساواتها المطلقة بالرجل ليدل دلالة واضحة على سيماء تلك الحركات وما تضمه من رجال ونساء، وأن هؤلاء جميعاً إنما يكافحون أصل الخلقة والفطرة والأدوار المناسبة لكل من الرجل والمرأة .. فالله الخالق البارئ المصور يقول جلّ من قائل: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2]. فكيف تكون المرأة سكناً للرجل، وهي مشغولة بما لم يؤهلها ربها له؟ وكيف تتكون المودة والرحمة إذا كان لقاؤهما في بيتهما لا يشكل إلا جزءاً يسيراً من الوقت؟ حيث يكون كلٌ منهما كالاً من عمله، محتاجاً إلى لحظة نوم واسترخاء، لا إلى مجاملات أو حديث أو تعامل ضروري لتحدث المودة والرحمة .. والله تعالى هو الذي خلق وهو الذي يقرر لنا توجهاتنا في الحياة، كي نكون على سكة السعادة والأمان، وهو يقول لنا بجزم ﴿ **...وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ** ﴾[3] .. أي إن سعي الرجل– في معنىً من

(١) مجلة الاعتصام القاهرية عدد ذي العقدة ١٤٠٠ هـ. والكلام الوارد في المجلة هو جواب على سؤال وجه إلى حفل كان يناقش حقوق المرأة، وصاحبة الجواب هي واحدة من أكبر الأساتذة في جامعة أنديانا الأمريكية، وقد اتفقت على هذا الجواب الذي ورد آنفاً مع عميدة الكلية،وقد بدأنَ الجواب بالقول الذي خاطبن فيه طالبات أمريكيات كنّ يرفعن شعار تحرير المرأة: ((يجب أن تتركن تلك الشعارات، وتعدن لحياتكن الطبيعية)).

(٢) الروم (٢١).

(٣) سورة الليل /٣-٤.

معاني الآية- مختلف عن سعي المرأة، مع أن السعيين يدوران بين الخير والشر في المآل، فهما إما مصدقان بما افترضه رب العزة وقسمه لكل منهما من دور، وإما مكذبان في سلوكهما لذلك، وإذن فهما في المآل إما ميسران لليسرى في الدور الأول (التصديق)، فحياتهما سهلة يسيرة آمنه ودودة، وإما- في دور التكذيب- فهي حياة صعبة ضنكٌ غير آمنة ولا ودَّ فيها: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴾ [١].

ك- والخلاصة: إنه ليس من العدل أن تزج المرأة في مجالات الحياة التي لم يهيئها رب العالمين لمزاولتها، بحيث يصبح ذلك هو الأصل، بينما حقيقته أنه الاستثناء الذي نلجأ إليه عند الحاجة والضرورة الخاصتين، وعند وجود المصلحة العامة مثل وجود المدرسة للإناث، ووجود طبيبة النساء، وإدارات الأماكن التي ترتادها المرأة، وغير ذلك من الحالات. إن من الظلم الفادح للمرأة الزج بها في المعترك غير المؤهلة له جسمياً وعقلياً وفسيولوجياً وحياتياً ميدانياً: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [٢] نعم ... إنه العليم الخبير: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٣] ... وأخيراً نختم هذا الموضوع بفقراته الإحدى عشرة بما جزم به رسول الله ﷺ بقوله: ((لُعن المتشبهون من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال)) [٤]، سواء كان ذلك التشبه باللباس أو في احتلال كل منهما

---

(١) سورة الليل (٥، ٦ ،٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠، ١١).
(٢) الملك (١٤).
(٣) الأعراف (٥٤).
(٤) البخاري.

دور الآخر وعمله، بدون حاجة ولا مصلحة ولا ضرورة .. هذا والله أعلم.

ثانياً: ميدانيات ويتضمن:

أ- من مؤتمر مكسيكو ١٩٧٥م وحتى مؤتمر بكين ١٩٩٥م

سارت الأمم المتحدة في طريق فرض الرؤية التخريبية للأسرة وعلاقة المرأة بالرجل وإليكم تفصيل ذلك!

١- نظرة على أصل الدعوة وهذا الضجيج:

هل كان أمر المرأة يحتاج إلى اجتماعات لمدة زمنية طويلة في جلسات تحضيرية لمؤتمر المرأة في بكين؟ وهل كان الأمر يحتاج إلى تدبيج /١٧٧/ صفحة؟ لإيجاد حلول لقضايا أكثرها وهمية، تدور في رؤوس شيطانية مهووسة، لإشغال عدد كبير من المندوبين والمندوبات، حضروا من جميع أنحاء العالم، في مهرجان استعراضي بكيني، يبتغي الداعون إليه والمحضّرون له - وعلى رأسهم غربيون متطرفون شاذّون -، أن يخلعوا المرأة من جذورها، ويلقوها في فضاء سحيق لامتناهٍ من الضياع، وهي محاولات نحب أن نطمئن الذين قاموا على ذلك المؤتمر من الذين اختبأوا خلف اسم الأمم المتحدة والشعارات ذات البريق الزائف، أن محاولاتهم تلك مهما بدا لهم أنهم نجحوا في تسويقها لن يكتب لها توفيق أبداً، وسوف يجدونها في لحظة ما ملقاة في مزابل الهامش التاريخي المزور لصورة الإنسان وبيد المرأة نفسها؛ المرأة العاقلة المؤمنة، التي تدرك مدى ما يراد لها أن تسير فيه من دمار، إن هي نزلت على رغبة شواذ البشر، وسوف يمضي التاريخ في

طريقه سوياً معافى من هلوسات الجنون والشذوذ والمرض، التي تحاول عبثاً الطفو فوق سطح الأحداث.

لقد هانت المنظمة الدولية على نفسها وعلى العالم، يوم وضعت قيادها بيد المهووسين، ونقول شواذ، لأن هناك في الغرب كثير من العقلاء، الذين لا يرضون أن يسيروا خلف الدعوات والسياسات النشاز.

إن المتنفذين في الكثير من ديار الغرب أغراهم أنهم أصبحوا يقولون للمشتغلين في السياسة في كثير من ديار العالم (الثاني والثالث) اقعدوا فيقعدون، أو ناموا فينامون، ولذلك فهم لم يكتفوا بالرضوخ السياسي من هؤلاء الذين فقدوا وسائل الاتصال بأممهم، بل إنهم هدفوا إلى قيادة المرأة ومن ورائها أناس هذا العالم بالقيم الغربية غير النافعة، وهم إنما دعوا إلى كل المؤتمرات المختصة بالمرأة والأسرة والسكان (ومنها مؤتمر بكين الذي حضّروا له شهوراً طويلة) من أجل أن يعلنوا على العالم وثيقتهم الموبوءة، وليجروه خلف دعاوى الفارغين والفارغات من الغربيين، الذين غرقوا في متاهات الشذوذ الفكري، واستعمرتهم غرائزهم الهيمنية، واستولت على كياناتهم دعوات متحيزة للخراب، تريد لهذا العالم أن يغرق إلى أذنيه في مقولات لا تحوطها قيم ولا مبادئ ولا أخلاق، وذلك على دروب فرويد وداروين ودوركايم وماركس وغيرهم، الذين صنعوا على عين غير متزنة، اجتثت من نار جهنمية، ثم ألقيت في وجوهٍ وصورٍ مخلخلة التكوين...!.

وهكذا كان هذا الغثاء الذي أطلقه مؤتمر بكين وإخوانه، متسربلاً بعتمة الرؤية وظلمة الخطوب، سائقاً المؤتِمرِين إلى حيث يفرض الواهمون إرادتهم التي يريدون لها أن تسود وتعربد..

إن الانطلاق من مفهوم الفردية الغربية – الذي نتحفظ عليه – إلى تفكيك كل شيء، هو الذي حدا ويحدو بالغربيين إلى إنتاج الدعوات الشاذة دائماً، وهو الذي يدفع بهم إلى تفكيك البنى الفكرية للإنسان بعامة، وجعلها تسير في خطوط متصارعة أو متوازية لا تلتقي. ومن هنا وبناء عليه اندفع الكثير من النساء الغربيات بزخم غير عادي خلف الصراع لنيل وهم الحقوق، بانيات صراعهن ذلك على أساس من التفكيك الذي نراه في كل البنى الفكرية الغربية، فهناك عالم للمرأة مستقل، وعالم للطفل، وعالم للرجل، وعالم للمراهقات و ... و ... وكل عالم قائم على صراع مع العوالم الأخرى، بينما ائتلفت هذه الأبعاد في الإسلام بصورة إنسانية رائعة منسجمة متراحمة متلاحمة، ومن ثم انصبت في بوتقة متكاملة كونت الإنسان بهيئته ورؤيته وحركته الفطرية التي فطره عليها خالقه، وأراد له من خلالها الاستقامة والسداد الدائمين، اللذين يقيانه شر الوقوع في الخطل والهوس القاتلين، من مثل ما جاء في الوثيقة الأصلية لمؤتمر بكين، ومن مثل ما قرره يوستين خطيب اليونان من قبل الذي لم يكن هو ولا مجتمعه على صراط الفطرة الربانية حين قال: ((نحن نتخذ الزوجات فقط لينجبن لنا الأولاد الشرعيين)). ومن مثل ما قرر المجتمع الإغريقي القديم عندما عَدَّ المرأة متاعاً ليس لها حقوق الإنسان ولا أهلية لها.

وقد أكد هذا المعنى أرسطو حين قال: ((إن المرأة بالنسبة للرجل كالعبد بالنسبة للسيد، وكالعامل بالنسبة للعالم، وكالبربري بالنسبة لليوناني، وإن الرجل أعلى منزلة من المرأة)).

ليس مؤتمر بكين هو الأول الذي يتعلق بأمر المرأة، بل إن مثل هذه

المؤتمرات بدأت منذ عام ١٩٧٥ بمؤتمر مكسيكو، ثم مؤتمر كوبنهاجن ١٩٨٠، ومؤتمر نيروبي ١٩٨٥، وغيرها حتى جاء مؤتمر بكين أيلول ١٩٩٥، وقد حُضّر له جيداً خلال أشهر طويلة من قبل لجنة تحضيرية، لم تشترك فيها مختلف الفعاليات والاتجاهات، بل سيطر عليها وقادها اتجاه و احد، لذا فإننا نستطيع أن نقول ومن خلال نظرة فاحصة موضوعية نلقيها على وثيقة المؤتمر- كنموذج عن المؤتمرات التي سبقته -: إن المؤتمر لا يعدو عن أن يكون مظاهرة مفتعلة، تهدف إلى جرّ المرأة في العالم إلى العيش في ظل القيم والمصطلحات والسلوكيات الغربية، كجزء من محاولات الغرب لاستيعاب العالم كله تحت مظلته وضمن مساره وهيمنته. وقد أُعطي المؤتمر غطاءً دولياً، كي يموّه على الصورة الفعلية والهدف المراد، وغلفت مواده السامة بسيل من الشعارات الموهمة التي لا يختلف عليها أحد من مثل المساواة، وتنمية وضع المرأة، وزيادة مشاركتها، والمحافظة على صحتها وبعث السلام...!! وهي أهداف يتوافق عليها الناس، إلا أن الشاذين أدخلوا شذوذهم في التفاصيل.

إن قناعة عند الغربيين تقول: عندما نستطيع جرّ المرأة إلى الانخراط في تيارنا السلوكي والفكري والحياتي، فإننا حينئذ نَعُدُّ أنفسنا قد كسبنا المعركة الحاسمة مع العالم الآخر، حتى لا نسمي أو نقول بالتحديد (مع المسلمين)، كي لا يقال إن العصبية وفكر المؤامرة على الإسلام هما اللذان دفعا إلى هذا الاستنتاج، هذا مع قناعتنا التامة أن المراد بهذه الضجة وهذا الجرّ هو المرأة المسلمة بالذات، لأنها هي التي تختزن المنظور الحضاري الإسلامي، الذي استعصى على أمراض الغرب السلوكية والخلقية والحياتية، التي من ضمنها

وثيقة (السيداو).

٢- القرارات والمرأة:

لا نريد من الكلام السابق أن نهوّن من شأن ما تتعرض له المرأة من عدوان وإبعاد، ولكننا نريد أن نبين أن الإنسان بشقيه: (الرجل والمرأة) مبعد اليوم في غالب الأمكنة والبلاد عن المشاركة في بناء كيانه وصنع مستقبله وتكوين حاضره، ليس المرأة فقط، وليس الرجل فقط، وليس الطفل فقط، وليس المراهقة فقط، حسبما يحب أصحاب المرجعيات التفكيكية أن يُقَسّموا الإنسان ويُفَصّلوا في تجلياته.

إن جميع هؤلاء الذين هم بالأصل وحدة واحدة هي الإنسان، مبعدون مضطهدون مهضومو الحقوق، تتناوشهم سياط القمع والإبعاد والتهميش والقتل الفردي والجماعي معنوياً وجسدياً.

ففي معظم أنحاء العالم الثالث يتعرض الجميع؛ الرجل والمرأة والطفل والطفلة لعمليات القمع وتكميم الأفواه و الإبعاد عن المشاركة في القرار وصنع المصير. (وخذ مثالاً بارزاً على ذلك: ما يقترفه الحكام في سورية اليوم من إجرام وقتل وحرق وتعذيب وحشي للجميع). وفي جميع أنحاء العالم الأول والثاني يعطى الإنسان؛ (الرجل والمرأة) فرصة شكلية للمشاركة في انتخاب ممثليه واختيار حكامه، إلا أن هذا الاختيار لا يصنعه من خلال إرادة حرة، بل إنه ما بين العرض والاستجابة، يقع هذا الإنسان تحت ضغوط هائلة من كم إعلامي متراكم، يوجه عقله وإرادته، وبالتالي اختياره ليكون حسبما

يريدون، هذا فضلاً عن الضغوط السياسية والاقتصادية وما تفعله مراكز القوى وما تقدمه من إغراءات وإرهاب فكري في الوقت نفسه، من خلال ما تملكه من وسائل الإنتاج وأدوات وآليات التأثير التي لا تقاوم، والتي تخضعه بالتالي إلى التوقيع على الاختيار الذي ترتأيه هي وتجنده من أجله.

فهل تظنُّ المرأة الغربية أنها سلكت سبيل النجاة عندما أسلمت قيادها لشياطين الإنس؟ فهم يخططون لها معركة مع الرجل، لا تصنع في النتيجة إلا تدميراً لإنسانيتها وتدميراً لأنوثتها التي هي سرّ بقائها وإلا تخبطاً عشوائياً، لن تخرج منه إلا تائهة خاسرة مدمرة للأسرة التي لا يمكن للمرأة أن تحتفظ بكيانها ومكانتها إلا في أحضانها.

فماذا تريد المرأة يا ترى؟

هل حقاً إنها تريد أن تكون رجلاً كاملاً في شؤون الحياة، سياسية كانت أم اقتصادية أم اجتماعية أم جسدية؟ وإن كان الأمر كذلك أفلا تشعر أن وجود الرجل بتركيبة جسدية وكيميائية ونفسية مختلفة عن التركيبة الجسدية والكيمائية والنفسية عند المرأة أمر عبثي إذا كان الاثنان سيقومان بالمهمة الحياتية نفسها؟ وعندها نقول: حاشا لله الخالق أن يجعل من تركيبة خلقة يخلقها عبثاً!!

كما نقول: إن العقل لا يمكن أن يقتنع بأن هاتين التركيبتين مخلوقتان عبثاً، وإن اختلافهما لا يترتب عليه دوْران متكاملان لكل من الرجل والمرأة.

إن المرأة مساوية للرجل في القيمة الإنسانية وفي الخطاب التكليفي وفي

الجزاء، لكنها من خلال النظرة المنطقية العقلية والنظرة الفطرية الربانية غير متماثلة مع الرجل في الدور الموكل إلى كل منهما، بل إن دور كل واحد منهما الملائم لطبيعة تركيبه – مع أصل المساواة الذي بيناه - مكمل لدور الآخر وعاضد له ومؤيد، ولو كان الأمر على غير هذه الصورة لما كانت هناك حاجة لوجود أحدهما، وكان وجود واحد منهما كافٍ لقيام الحياة واستمرارها، وهذا ليس قراره بيد البشر المخلوقين، بل بيد بارئ البشر وموجدهم جل شأنه، فهو العليم بما يصلح حالهم، وبما يصلح للحياة؛ قيامها واستمرارها..

وهل حقاً إنها تريد حقوقاً وكرامة إنسانية بلا دين ولا خلق ولا روح..؟

وإذن كيف ستحصل المرأة التي هذا شأنها على إنسانيتها وكرامتها..؟!

إن وثيقة بكين عندما تنص في البند (٨) على تساوي النساء والرجال في الحقوق والكرامة الإنسانية وسائر المقاصد والمبادئ المنصوص عليها في ميثاق الأمم المتحدة، والإعلان العالمي لحقوق الإنسان وغير ذلك من الصكوك الدولية. غافلة عما جاء في الإسلام من حقوق بشأن المرأة هي أعلى وأغلى وألزم، وهي بتلك الغفلة إنما توضح عنوانها وتكشف نواياها.

إن هذه الوثيقة التي تذكر كل الصكوك والمواثيق وتنسى أو تتناسى ذكر ما جاء في الإسلام من تنظيم رفيع لحقوق المرأة ورفع شأنها ومساواتها بالرجل مساواة تقيم الحياة بتكامل رائع، يفرز للمرأة دورها المهم جداً، وللرجل دوره الذي ينسجم مع طبيعته وتكوينه الذي فطره عليه الخالق البارئ المصور جل شأنه وعلت حكمته.

أقول: إن هذه الوثيقة وبهذا الإغفال للدين لا يمكن أن تحقق للمرأة شيئاً

مهما نُصَّ فيها، لأن مجافاة الأديان التي تحكم أكثر أهل الأرض يجعلها معزولة منبوذة من مئات ملايين النساء اللاتي يعز عليهن دينهن وتعز عليهن المبادئ والقيم.

إن الذي يقرأ البنود الصادرة من مؤتمر بكين وهي كما قلنا نموذج عن كل بنود المؤتمرات التي سبقته لا يمكنه إلا أن يفهم أن هناك قضية واحدة ألح عليها المؤتمرون، هي قضية تساوي المرأة مع الرجل تساوي تماثل ووضع القدم حذو القدم، بل وتساوي تزاحم وعراك، فلم يترك بند من البنود كلمة المساواة هذه إلا وألح عليها، بما يفهم أن المرأة يجب أن تكون متقاسمة بالتساوي مع الرجل كل مكان، تزحمه في البيت، وتنافسه في المدرسة، وفي المصنع، وفي الدائرة، وفي الأرض، وفي السماء، وإنها إذن قضية صراع جديد انبجس– كما قلنا – عن تلك المرجعية الغربية في تفكيك البنى الأساسية لكل شيء، وجعل كل جزء يصارع الآخر، بما لا يعود إلا بالدمار والهلاك على العالم أجمع.

وحسناً فعل مندوبو الدول العربية والإسلامية، عندما تحفظوا على الوثيقة والمقررات، بأن جعلوها غير ملزمة، وأنهم سوف ينفذون منها ما يتلاءم مع سيادة الدول وقوانينها ودينها وقيمها الأخلاقية ودساتيرها ...

وإن الذي يقرأ البنود المذكورة مرة أخرى متمعناً في كلماتها وسطورها وما بينها، يجد أن كلمة المرأة في تلك البنود لا تعني غالبية نساء العالم في شيء، فهي تتكلم عن امرأة موجودة في خيال من دبجوا الوثيقة في الأصل؛ امرأة عاملة لا بيت لها ولا أسرة ولا مسؤولية ولا أولاد ولا واجبات ولا أخلاق ولا قيم ... كل ما يهمما أن تدفع الرجل بكتفها، لا أن تتعاون معه

تعاون تكامل بالأدوار. ولنستمع إلى بعض البنود:

بند (٨) – ((تساوي النساء والرجال في الحقوق والكرامة الإنسانية)). وهذا جيد وقد قرره الإسلام من قبل (المؤتمر بـ ١٤٠٠ سنة).

بند (٩) – ((ضمان الإعمال الكامل لحقوق الإنسان للمرأة والطفلة)). وأين حقوق الإنسان للرجل والطفل ...؟

بند (١٣) – ((إن تمكين المرأة ومشاركتها الكاملة على قدم المساواة في جميع جوانب حياة المجتمع بما في ذلك المشاركة في عملية صنع القرار وبلوغ مواقع السلطة أمور أساسية لتحقيق المساواة والتنمية والسلم)) أرأيت المزاحمة غير العادلة وغير العاقلة في هذا النص؟!

حسنٌاً، فنحن لسنا ضد ذلك بل معه، ولكن المفارقة بيننا وبينهم هي في كيف يكون وأين ومتى...؟ فهذه المرأة الغربية التي أخذت هذه الفرص منذ عشرات السنين، هل حققت شيئاً ذا بال في هذا الاتجاه؟ أم أن الخبثاء الذين يخططون لسيادة مثل هذه المفاهيم يعلمون علم اليقين أن المرأة بطبيعتها وتكوينها لا تهفو نفسها إلى مثل هذه الأمور؟ إنهم يريدون (من وراء نشرها وإعمالها بغير مكانها وزمانها وتفصيلاتها ولا الحاجة إليها دائماً)، الوصول إلى حالة من التدهور الأخلاقي والحياتي والقيمي؟ وهو عين ما حققوه في الغرب، إذ إن المرأة مع حصولها على كل الحقوق على الورق وفتح الفرص أمامها شكلاً، لم تصل إلى ما رُغّبت به ورُفع شعاراً لإغرائها،وعلى العكس من ذلك، فقد امتلأت شوارع وبيوت الغرب بغير الخير المراد وبالأمراض الفتاكة فضلاً عن تفكك الأسرة، حتى وصل الأمر بشواذ البشرية إلى أن ينشئوا

جمعيات وهيئات لهم أصبحت تؤثر على انتخاب الرئيس في الولايات المتحدة الأمريكية!!

بند (١٥) – ((إن المساواة في الحقوق والفرص والوصول إلى الموارد وتقاسم الرجل والمرأة المسؤوليات عن الأسرة بالتساوي والشراكة المنسجمة بينهما أمور حاسمة لرفاهيتهما)).. كل الأمور ((بالتساوي)) دون مراعاة للخصوصيات والأدوار والإمكانات؟! أرايت الهدف الذي تبرزه هذه الكلمات الملغمة؟

بند (١٧) – ((إن الاعتراف الصريح بحق جميع النساء بالتحكم بجميع الأمور المتعلقة بصحتهن، وخاصة تلك المتصلة بخصوبتهن وتأكيد هذا الحق مجدداً أمر أساسي لتمكين المرأة)). أليس هذا دعوة للحرية الجنسية والتمرد على كل شيء؟! وهذا هدف خبيث آخر..

بند (١٨) – ((إن السلم المحلي والوطني والإقليمي والعالمي يمكن تحقيقه ويرتبط ارتباطاً لا انفصام له بالنهوض بالمرأة، التي تمثل قوة أساسية في مجالات القيادة وحلّ النزاعات وتعزيز السلم الدائم ..)). ما الذي يرمي إليه من خبث هذا الكلام المغمغم غير المزاحمة غير العادلة وتفكيك العلاقات الفطرية؟

إنه عندما تحقق للمرأة الغربية هذا النهوض في أوروبا وأمريكا- على حدّ ادعائهم- هل حققت لهم كل هذا الرفاه والسلم للمجتمعات هناك؟ حقاً لقد حققت لهم في أمريكا سلماً اجتماعياً يقتل فيه كل عام بأيدي الأمريكيين وبالسلاح الأمريكي خمسون ألف إنسان، ويُعتدى فيه كل دقيقة على أعراض النساء بالاغتصاب وترزح أكثر من ٥٠% من النساء في أمريكا (حسب

إحصـائيات أمريكيـة رسـمية) تحـت عبـء تهديـد الأزواج والأقـارب بالضـرب والإيـذاء الشـديد حتـى القتـل. وتصـرف الولايـات المتحـدة (حسـب إحصـائيات رسمية) ما يعادل (١٣) مليار دولار سنوياً لإعالة الأولاد الذين لا آبـاء لهـم، إذ تبلغ نسبة الولادات عن غير طريق الزواج في بعض أحياء نيويورك مثلاً إلـى ما يعادل ٨٠% من الولادات عامة. وفي هذا ما فيه مـن نشـوء هـؤلاء الأطفـال بـلا تربيـة ولا عاطفـة ولا رعايـة سـليمة، وهـذا مـا يفسـر كثـرة الجـرائم هنـاك وزيادة عدد المجرمين.

فأين هـو هـذا السـلام المزعـوم الـذي يمكـن أن يبنـى علـى مبـادئ وأفكـار تحـرر المرأة، وتُخرجها عن كل قانون سماوي أو بشري صـالح ..؟!

٣- أصوات وأصوات:

هـل النسـاء مـع شـولاميت فابرسـتون الصـهيونية التـي هاجمـت منـذ السبعينات الأمومة، وعدَّتها مصدر النظـام الطبقـي، الـذي يجعـل الرجـل رجـلاً والمرأة امرأة ومصدراً لقهر المرأة؟

هل هن مع هذا الصوت الصـهيوني الفاحش؟ الذي أوصـل الحـال فـي آخـر المآل إلى المناداة بتحييد الجنس، ذلك المفهوم الذي تفوح رائحته مـن كثيـر مـن بنود وثيقة مؤتمر بكين؟

وهل هن مع هذا الصوت الذي جمع أصواتاً كثيرة في العقدين الأخيرين من القرن العشرين، تنادي بالتخلص من الأسـرة والأمومـة معـاً، لكـي تسـتطيع المـرأة أن تـنهض ويقـوم لهـا كيـان سـوي مسـاوٍ تسـاوي تماثـل مـع كيـان ودور

الرجل على حد زعم دعاة هذا الاتجاه من الرجال والنساء...؟

وهل هنّ مع ذلك الصوت الذي وجد لـه صدى بين الشاذين والشاذات، الذين يخالفون اليوم وعلى الملأ طبيعة الأشياء وفطرة المخلوقات جميعاً؛ بغرائزهم النتنة، وميولهم المنحدرة الغارقة في الانحراف، إذ تؤدي تلك الغرائز والميول بأشكال وآليات ووسائل يستحيل على أي لسان سوي أن يذكر شيئاً عنها حفاظاً على الذوق العام.؟ ولقد وجدت تلك الأصوات لها مسلكاً سلكته إلى وثيقة بكين على استحياء اليوم، وكان مغلفاً بألفاظ وتدبيجات تفوح منها رائحة العفن !!.

هل النساء مع كل ما ذكرنا من انحراف ...؟

أم أنهن مع الأصوات العاقلة الرزينة الحريصة على مصير الإنسان وسموّه وكرامته من أن ينحدر إلى مستوى لا يرضاه حتى الحيوان لنفسه..؟

إننا نعتقد أنهن مع الأصوات العاقلة في الغرب وغيره فهذه (ديل أوليري) الأمريكية التي وضعت كل هذا الخبال الذي كتبته الصهيونية شولاميت تحت عنوان ((تدمير المرأة)) وهذه (هيلين أندلين خبيرة الأسرة الأمريكية) تقول: ((إن فكرة المساواة (التماثل) بين الرجل والمرأة غير عملية أو منطقية، وأنها ألحقت أضراراً جسيمة بالمرأة والأسرة والمجتمع)).

وهؤلاء هنّ نساء فرنسا تستفتيهن مجلة (ماري كير) فتدلي (٢.٥) مليون امرأة من مختلف الأعمار والمستويات الاجتماعية والثقافية، فيكون جواب ٩٠% من النساء بنعم على سؤال يقول: هل تفضلن ترك العمل ولزوم البيت .. وكانت الأسباب التي أوردنها كما عددتها المجلة وكنا نقلنا ذلك من قبل، ونعيده هنا من أجل الفائدة:

١- مللت المساواة مع الرجل.

٢- مللت حياة التوتر الدائم ليل نهار.

٣- مللت الاستيقاظ عند الفجر للجري وراء المترو.

٤- مللت الحياة الزوجية التي لا يرى فيها الزوج زوجته إلا عند النوم.

٥- مللت الحياة العائلية التي لا ترى الأم فيها أطفالها إلا عند مائدة الطعام.

وهذه فرانسواز ساغان المستشرقة الفرنسية تقول: ((أيتها المرأة الشرقية إن الذين ينادون باسمك ويدعون إلى مساواتك بالرجل إنهم يضحكون عليك وقد ضحكوا علينا من قبلك)) [١].!!

هذا هو الصوت العاقل الذي يقول: إن المساواة التي تعني المماثلة ومقاتلة الرجل وجعل المرأة نداً له مرفوضة من النساء قبل الرجال، وإن الدين ثم العقل والمنطق والفطرة كل أولئك يقولون إن الرجل رجل والمرأة امرأة ولو صُرخ بغير ذلك في بكين كما يقولون!! بل إن صالح ومصلحة المرأة يكمنان في النظرة العاقلة المساوية للفطرة الربانية.

٤- صوت الله يعلو فوق الجميع:

وهو يقول: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٢] فهما (الرجل والمرأة) مخلوقان زوجان متكاملان.

---

(١) مصدر سابق، والكلام مثبت هناك.

(٢) يس (٣٦).

﴿ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾[1] فهي هبة من الله لا يستطيع أحد أن يغير فيها شيئاً.

وهو الذي يقول: ﴿ وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِى عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾، وهي مساواة لابد أن يكون فيها درجة لواحد منهما، فلا يمكن لأي شراكة أو شركة أن تقوم وتنجح إلا بوجود من له درجة. ويقول الله جلّت قدرته:

﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[2] فهل نقص من حق المرأة شيء في التكليف ومساواتها بالرجل مساواة عادلة؟

ويقول: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عَلِيمًا ﴾[3].

وإذن فهو نداء عام للبشرية يقول: إن الناس (رجالاً كانوا أم نساءً) قد يفضل أحدهم الآخر في مهمة أو قدرة، لكنْ في الكسب والمكتسبات فالرجال والنساء متساوون أمام الله في المسؤولية تماماً. ويقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ رجالاً ونساءً.

---

(١) طه (٥٠).
(٢) التوبة (٧١).
(٣) النساء (٣٢)

ويقول رسولنا الكريم ﷺ ((النساء شقائق الرجال)) [١] فهما متساويان في الإنسانية والتكليف والجزاء، غير متماثلين في الأدوار.

كما يقول الرسول ﷺ: ((ما أكرمهن إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم)).

وأي كرامة تبتغي المرأة أكثر مما ورد في نصوص الإسلام؟

ويقول تعالى ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ ﴾ [٢]. وبيّن سبحانه ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ ﴾ [٣].

وكل هذا الذي أوردناه هو حكم الله بنصوصه، حدد فيه للنساء مبادئ وأسساً وقواعد، لا يمكن للحياة أن تستقيم وتستمر بسلامة إلا بالعمل بها بعد الإيمان والتسليم.

فالحياة كل الحياة زوجية

(الإنسان والحيوان، والنبات والجماد)؛ فهناك ذكر وهناك أنثى، وبينهما فوارق تحدد دور كل واحد منهما في هذه الحياة، وإن هذه الزوجية عطاء رباني لا يد للمخلوق فيه، وأي محاولة عبثية للتغيير في هذا الأصل هو دمار للعلاقة وخروج بها عن خطوطها السليمة،وهذا ما حدث في الغرب يوم أن قامت فيهم دعوة مساواة المماثلة بين الذكر والأنثى؛ فلا الأنثى استطاعت أن تحصل على حقوق الذكر تماماً، ولا الذكر ارتاح مع هذه الأنثى التي حاولت

---

(١) وثق من قبل.
(٢) النساء (٣٤).
(٣) النساء (١١).

وتحاول تقليد الذكر ومزاحمته كتفاً بكتف في كل مكان، وخيمت على حياة الغرب سيماء القلق والحيرة والانفلات، وهم اليوم يحاولون تعميم هذا النموذج المدمر على جميع أهل الأرض بصورة براقة مغرية مغلفة بعبارات العطف على المرأة المسكينة المغلوبة مهضومة الحقوق..

إنها الفطرة التي لا تصادم ولا تعاند، لأن في المصادمة والعناد الهلاك والانحدار إلى الهاوية ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الروم: ٣٠).

وفي كتاب الإنسان ذلك المجهول لألكسيس كاريل الصفحة ١٠٨ قول مفصل نقلناه من قبل ونعيده للفائدة، فهو يقول: ((الحقيقة أن المرأة تختلف اختلافاً كبيراً عن الرجل، فكل خلية من خلايا جسمها تحمل طابع جنسها، والأمر نفسه صحيح بالنسبة لأعضائها، وفوق كل شيء بالنسبة لجهازها العصبي فالقوانين الفيزيولوجية غير قابلة للّين، شأنها في ذلك شأن العالم الكوكبي، فليس في الإمكان إحلال الرغبات الإنسانية محلها، ومن ثم فنحن مضطرون إلى قبولها كما هي، فعلى النساء أن ينمين أهليتهن تبعاً لطبيعتهن دون أن يحاولن تقليد الذكور، فإن دورهن في تقدم الحضارة أسمى من دور الرجال، فيجب عليهن ألا يتخلين عن وظائفهن المحددة)).

ومتى علمنا من الهدي الرباني أن الرجل رجل والمرأة امرأة وهما مجتمعان متساويان في الإنسانية ومتكاملان غير متماثلين في الأدوار الحياتية. وإذا أخبرنا علماء التشريح والفيزيولوجيا أمثال ألكسيس كاريل بعلم مطابق للعلم الرباني، كان علينا أن نؤمن بالعلم الرباني وأن نستجيب فوراً لهديه أولاً وقبل كل شيء، ثم نتفهم العلم الإنساني القاطع، وبعد ذلك ننطلق

للعمل بمقتضى الإيمان والاستجابة والتفهم، فلا نصادم الفطرة الربانية بأن تتمنى المرأة ما أعطي للرجل، أو يتمنى الرجل ما أعطيت المرأة، أو تحاول المرأة أن تأخذ دور الرجل، أو يأخذ الرجل دور المرأة، لأن في كل ذلك كما أسفلنا خلطاً للأمور وعكساً للوضع الطبيعي، وهذا فيه ما فيه من خراب وانهيار.

وعلينا نحن المسلمين بصورة خاصة أن لانجاري هؤلاء الدعاة الذين يتبعون الهوى في كل شيء (نساءً كانوا أم رجالاً) فهم ينطلقون من فراغ، تؤزهم فيه شهواتهم وأهواؤهم بدون علم ولا هدى ولا كتاب منير .. إنهم كموجات الفراش التي تأتي تباعاً لتسقط في النار، رغم أنها رأت أترابها من قبل قد سقطت واحترقت، لكنها (المرأة) تصرّ متبججة مختلطة بالرجال، غير مضطرة للعمل، ولا تقتضي المصلحة العامة أو الحاجة الخاصة قيامها بذلك العمل تعييناً، بل هي تتذرع بدعاوى المساواة والحرية والحقوق والتنمية، وقد أضافوا إليها مؤخراً السلام.!!

وكأن السلام سوف يتحقق بإهمال الأسرة وإهمال الأطفال وإهمال الزوج وإحلال الخادمات مكان الأمهات، أو دور الحضانة مكان المنازل الهادئة المنظمة..

وبعد: فليخفت صوت الانتحاريين:

فهذه نتائج دعواتهم تحل بمجتمعات الغرب؛ أسرة مهدمة بنسب عالية، وجيل تتناوشة الحرية والقلق، وأمهات بلا أزواج، ولهاث غير معقول وراء

الوظيفة والعمل وزيادة الدخل. لقد ضاعت المرأة هناك أو ضيعت، وهي تركض وراء سراب المساواة والحرية وحقوق المرأة - تلك الجزرات التي نصبها لها (رجال خبثاء)قاصدين جسدها - ولكنها في النتيجة لم تحقق شيئاً غير التيه والشذوذ والفراغ، لأن ما دعوها إليه مستحيل، فلا يمكن أن تتغير طبيعة الأشياء ﴿...وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًا ﴾[1] والقوانين الفيزيولوجية غير قابلة للّين.

فليخفت صوت الانتحاريين عندنا، أنهم يلهثون خلف سراب حطم من جربه وخَبرِهُ، فتعالى الله وجلت قدرته وتنزه عن أن يخلق زوجين من نوع واحد (رجلاً وامرأة) ليكونا متضادين متناحرين، وهو الذي خلق الكون كله وجعله قائماً على قاعدة الانسجام التام في نظامه وفيما بين عناصره، والتكامل الإيجابي البناء بين كل زوجين من أزواجه ... ولتذهب إلى غير رجعة الدعوات إلى جنس جديد، لا هو امرأة ولا هو رجل إنه (الجندر)، الذي اخترعه الشاذون، لِيُسَلّوا به المخدوعين، وليصمت صوت ((السيداو)) الأقبح..!

(١) الأحزاب (٦٢).

ب- أعياد المرأة وخلفيات المطالب المطروحة

هذا يوم المرأة العالمي (٨ آذار ((مارس)) من كل عام)،وذلك عيد الأم (٢١/آذار "مارس" من كل عام)، أعياد تترى، وأيام تتوالى، ولا يدري الكثيرون ما يراد للمرأة المسلمة وما يراد بها من هذه الكثافة المصطنعة للكلام، الذي يثار في كل وسائل الإعلام من عربية وإسلامية ودولية، وكله يدور حول المرأة وحقوقها الضائعة وظلمها الذي يقترفه الرجال بحقها ليل نهار، دون أن تستطيع الدفاع عن نفسها، أو تستطيع الخروج من دوامة تسلط هذا المخلوق المتعجرف العجيب .. الذي هو الرجل- حسب قول الفارغين والفارغات-..!!.صحيح أن المرأة لحقها الضيم الذي يجب أن يرفع عنها فوراً، وذلك عن طريق تحديد أصل المشكلة وهي الكامنة في البعد عن دين الله والفطرة وليس في مبادئ الإسلام بالنسبة للمرأة كما يحلو للبعض أن يدندن حوله، هذا أولاً.

وأما ثانياً فيجب القول إن الحديث عن هذه الحقوق المهدورة للمرأة يثير الريب، ويبعث بالصداع والتأزم، خصوصاً حين يغلف نفسه بأمثلة صارخة من حياة المرأة الغربية، التي يصورها الكاتبون والمتحدثون والمتصدرون للمجالس والمؤتمرات والندوات، على أنها قد حققت النصر في معركتها مع الرجل، وحصلت على جميع حقوقها، التي تهفو نفوس النساء في جميع أنحاء العالم للوصول إلى مستوياتها والحصول على منافعها ومترتباتها، مع أن الإحصاءات والوقائع الرسمية في الغرب تقول شيئاً مغايراً تماماً لهذا الذي

يروّج له، وقد عرضنا من قبل شيئاً من هذه الوقائع.

وأنت إذا تجرأت وطلبت من هؤلاء ضرب أمثلة حية على هذا الذي يهرفون به من مزينات الكلام وزخرفات التشكيل والتمثيل للفكر الذي يطرحون، لا يجدون أمامهم إلا هذا السبيل المعيب من الحريات الشخصية، التي أعطتها المجتمعات الغربية؛ كحرية اختيار اللباس مهما كان فاضحاً أو خادشاً للحياء، أو مخلاً خللاً هادماً للذوق الإنساني السليم، الذي وصفه رب العالمين في محكم تنزيله، إذ قال جل من قائل: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾[1].

وهم يضربون لك هذه الأمثلة، مع أنهم يشاهدون بأم أعينهم ومن خلال تجاربهم الحياتية اليومية ما أحدثته هذه الحرية من مآس وفضائح وجرائم وتجاوزات قانونية وخلقية وإنسانية. كما أنهم يعلمون علم اليقين أن أصحاب دور الأزياء (وغالبيتهم من مذهب وعرق معروفين) يربضون خلف السواتر، ويبعثون بهذه الموضات الرذيلة ليتبناها التافهون أو المتعاملون،وليذهب العالم كله إلى الهاوية بعد ذلك، والقصة التالية تبين صدق ما ذهبت إليه، وأنا أرويها هنا لأقنع كل من يتشكك بهذا الكلام الذي قلته، ولا يصر على مقولة: إنكم معشر المسلمين تعشقون دائماً فكر المؤامرة، وإن كل شيء حتى اللباس ((والموضات)) يخرج من عباءة المؤامرة. وفيما يلي الحكاية:

---

(١) الأعراف (٢٦).

((أحد الأصدقاء المرموقين الموثوقين ديناً وخلقاً واتزاناً، كان يعمل أيام الستينات مدرساً في دمشق – سورية -، وكان له إلى جانب عمله هذا مصنع لطباعة الأقمشة (في دمشق أيضاً)، وبحكم عمله الثاني كانت له علاقات مع بعض رجال الأعمال الدمشقيين، وقد روى له أحد الموثوقين من هؤلاء – وهو صاحب مصنع "تريكو" – القصة التالية:

"كانت أيام عيد الأضحى مسرعة في الإقبال، وكان مصنعي متعاقداً على كمية من المنتجات، يحتاج إنجازها إلى عمل جاد ومتواصل، لذلك قررت تشغيل العديد من العمال يوم الجمعة بأجر مضاعف، وكانت لدي عاملتان يهوديتان من يهود دمشق صبيتان، (وهذا يدل على مرونة تعامل المسلمين مع غيرهم). وعندما سمعتا بقرار تشغيلهما يوم الجمعة، حضرتا إليَّ وقالتا بلهجة احتجاجية: نحن لا نعمل يوم الجمعة...

- لماذا ؟

- لأنه يوم راحتنا.

- أعطيكما ثلاثة أضعاف الأجرة..

- لا .. لن نقبل.

- ((طيب)) أربعة أضعاف.

وحينئذ بدرت من واحدة منهما زلة لسان، إذ قالت: إنهم يدفعون لنا أكثر

وأمسكتُ بطرف الكلمة فتساءلت مندهشاً: أكثر؟!! ومن الذي يدفع أكثر من أربعة أضعاف الأجر عن عمل يوم الجمعة؟! ثم كيف تعملان عند غيري دون علمي؟!

ارتبكت الفتاتان، وبدت الكلمات على شفتي كل منهما مترددة متخاذلة، إلا أن التي بدرت منها الزلة أسرعت في لملمة الكلمات المتخاذلة، وقالت، وهي تحرك قدميها في مكانها حركات عصبية، وتضع أصبعها السبابة على طرف شفتها السفلى: لا.. لا.. نحن لا نعمل، ولكني أقصد أن الاستراحة من عناء العمل يوم الجمعة تساوي عندنا أكثر من أربعة أضعاف الأجرة.

وهنا أظهرتُ حزماً مفتعلاً، وشدة لا أملكها في العادة، وقلت: ولكن إذا لم تبينا لي العمل الذي تقومان به يوم الجمعة ومن الذي يعطيكما أجرة عالية، فسوف أفصلكما من العمل...

وهنا ردت الثانية وقد امتلأت ملامح وجهها بالخوف والهلع: نعم.. نعم.. إنك لن تفصلنا، لأنني سوف أبين لك العمل الذي نعمله يوم الجمعة، ومن الذي يشغلنا، وكم يعطينا من أجرة...

- ها ((هيك))..

- نحن نعمل والعديد من الفتيات اليهوديات يوم الجمعة كعارضات أزياء في الشوارع.

- في الشوارع؟! .. كيف ذلك؟!

- سوف أكمل لك القصة.. يطلب منا الحاخام أن نلبس الأزياء الفاضحة في هذا اليوم، ثم نخرج إلى شوارع دمشق مشياً على الأقدام، ليرانا غالبية الشباب من الذكور والإناث فتقتدي الفتيات، ويفسد الفتيان وهو يعطينا على ذلك أكثر مما تعرض علينا مقابل هذه المهمة، وفهمك كفاية..!

هذه واحدة من القصص التي تربض خلف حرية المرأة في اختيار ملابسها .. وقس على ذلك بقية القضايا التي تضرب أمثلة على الحقوق التي حصلت عليها المرأة الغربية، التي يراد للمرأة المسلمة أن تقتدي بها؛ مثل الحرية الشخصية في صداقة الرجال "بوي فرند" أو المطالبة – التي تعلن على استحياء هذه الأيام – بنبذ فكرة العذرية في التعامل مع المرأة وقت الزواج، وقد سمعت هذه المطالبة مؤخراً في التلفاز الصهيوني (القسم العربي) تطلقها امرأة عربية، في برنامج يجريه أحد المذيعين العرب، في ذلك التلفاز.

إن حقوق المرأة الحقيقية يُعتدى عليها بشكل صارخ، ويأتي هذا الاعتداء من صلب هذه الدعايات والدعوات، فقد حولوا المرأة إلى جسد - وجسد فقط - في عيني الرجل، عندما أرادوا لها أن تتعرى باسم الحرية، أو أن تتنقل بين الأحضان باسم الحرية الشخصية ونبذ العادات القديمة، التي تقيد المرأة بقيد مفهوم العذرية، وإلى آخر ما هنالك من فكر عار متعر من الحق والأخلاق والقيم، يريد لهذا العالم أن تتهدم قيمه، وتتحطم قواعده، فتسود مجامعهم المريبة وتستأسد. وهذا هو الذي يخططون له من وراء الاحتفال

بأعياد ينسبونها إلى المرأة .. إذ إنهم بعد أن ساقوا المرأة الغربية ومجتمعاتها خلف نظريات فرويد النفسية والجنسية، وحصلوا على ما يريدون من سيطرة وهيمنة هناك، مالوا بكل قوتهم وقوة من انساق خلفهم إلى مجتمعاتنا العربية والإسلامية، يبتغون اختراقها عن طريق المرأة واستغلال الفرص التي يتيحها البعد عن أحكام الإسلام المتعلقة بها في هذه المجتمعات، ليصلوا بذلك إلى هدم كل شيء، وفرض الهيمنة كما فرضوها هناك، لا ليصلوا – كما يتبجحون – إلى انتشال المرأة من العدوان والظلم اللذين يحيقان بها بسبب الابتعاد عن أحكام الإسلام، التي أنصفتها وارتفعت بمكانتها إلى الحدود العادلة، بل من أجل تسويق هذا الزيف المسمى "تحرير المرأة" الظاهر زيفه لكل ذي بصيرة، ولكن المعاندين يصرون على ضلالهم. وصدق الله العظيم القائل:

﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ...** ﴾[1].

فليرعوِ أولئك من أحلاس التقليد الأعمى، وليستمعوا إلى قولة الحق والعقل والرشد: ((في المجتمع المسلم يكون الله هو المعبود الأحد، لا المال ولا الجاه ولا المنصب، ولا الشهوة ولا الهوى ولا الإنسان .. الله هو المعبود. وكل شيء غيره باطل والرجال والنساء عبيد الله، لكنهم أحرار عندما يستمدون الحرية من هذه العبودية لله، وليس معنى تحررهم أنهم لا يخضعون لنظام، كلا.. فما يمكن أن تسير الحياة على هذه الصورة، ولا يمكن أن يحدث ذلك إلا

(١) البقرة (١٦٥).

حين يُتَّبَع الهوى والشهوات، وليس هذا هو التحرر .. وإنما هو حين يخضع للنظام الذي ارتضاه الله، يخضع في الحقيقة لله، ويتعامل مباشرة مع الله، وهكذا تمتزج الطاعة والحرية على هذه الصورة الفريدة التي لا توجد إلا في نظام الله، فلا تستعبد المرأة للرجل عندما تطيعه- في الحدود المرسومة في شريعة الله-، فهي تملك، لا بل واجبها أن توجه رجلها إذا رأته ينحرف عن طريق الله.

لا تستعبد المرأة للرجل، لأنه ليس أحد عبداً لأحد، بل الجميع بيد الله، ولا تستعبد للمجتمع، ولا لأي قوة من قوى الأرض، وإنما هي كالرجل عبد لله تطيعه وتتعامل معه مباشرة، وتحسُّ بالتبعية الخالصة له وحده، والقوة الكاملة عن طريقه وهي حينئذٍ في طاعة الزوج تستمد أمرها من شريعة الله لا من قوة الرجل وهيمنته، وبذلك تكون حرة: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ١٩٤ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖ ﴾[1] وهذا الارتباط بالله هو الذي يمنح المرأة شخصيتها، بنفس الصورة التي يمنح للرجل شخصيته. إنها ليست جزءاً من أحد، ليست كياناً ناقصاً يستكمل ذاته من كيان بشري آخر إلا بمقدار ما يستكمل الرجل كيانه في ارتباط الزوجين وهذا أمر

(١) آل عمران ١٩٣ – ١٩٤ – ١٩٥.

آخر. وحين تدرك المرأة في نفسها هذه القوة التي تستمدها من الاتصال بالله، تكون لها في صميم كيانها شخصيتها المستقلة، وذاتيتها المتحققة في واقع الحياة. وليس الاستقلال أن تناجز الرجل وتقف منه موقف المتحفز للهجوم إذ ليست الحياة معركة في داخل البيت، ويكفي أن تكون معركة ضد قوى الشرّ المتحفزة في كل مكان ... وهنا يملك ((الإنسان– رجلاً كان أو امرأة – أن يكون فاضلاً باختياره الحر، ترفعاً منه عن الهبوط والتردي في حمأة الرذيلة، ويحسُّ عند ذلك إحساساً قوياً بأنه إنسان، وأنه ذو وجود على أوسع نطاق)) [١].

---

(١) محمد قطب (كتاب معركة التقاليد الصفحات ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٥ (فقرات منتقاة) بتصرف بسيط.

ج- و تربية نبوية فذة

في غمرة تعرض المرأة للإهانة والضرب من الزوج أو الأقارب، ووصول ذلك إلى درجة أن تعلن إحصائية كندية رسمية أن ٥٠% من النساء في كندا يتعرضن للعنف من الأزواج أو الأقارب، وفي غمرة ظهور تيار في الغرب يصف ما وصلت إليه المرأة (بواسطة قوانين التحرر الفوضوية ودعوة المساواة المطلقة بين المرأة والرجل) بأنه حولها إلى شيء وسلعة تجارية مباحة، فقدت من خلال ممارستها لتلك الدعاوى والقوانين في الحياة العملية أنوثتها وصلتها بمهمتها الفطرية كأم وراعية مؤسسة البيت والأسرة، وقد جاءت تلك المعاني فيما رفع من شعارات في التظاهرات الضخمة التي قامت بها الدنمركيات في شوارع العاصمة (كوبنهاغن)، ونشرتها الصحف والوكالات في حينه، وقد عبرت عن هذا التيار أيضاً امرأة هي ممثلة إغراء مشهورة في رسالة كتبتها قبيل انتحارها بقليل، قالت "مارلين مونرو" الممثلة المشهورة: (إني أتعس امرأة على هذه الأرض، لم أستطع أن أكون أماً، إني امرأة أفضل البيت والحياة العائلية الشريفة الطاهرة، بل إن هذه الحياة العائلية هي رمز سعادة المرأة بل الإنسانية)، كما عبرت عنه الكاتبة الإنجليزية الشهيرة "أنا رورد" في مقالة نشرتها جريدة "الاسترن ميل" إذ قالت: (لأن تشتغل بناتنا في البيوت خوادم أو كالخوادم، خير وأخف بلاء من اشتغالهن في المعامل، حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تُذهب رونق حياتها إلى الأبد ... ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة والعفاف رداء! ...وإنه لعار على بلاد الإنجليز أن تجعل بناتها مثلاً للرذائل بكثرة مخالطة الرجال، فما لنا لا نسعى

وراء ما يجعل البنت تعمل بما يوافق فطرتها الطبيعية؛ من القيام وراء البيت وترك أعمال الرجال للرجال سلامة لشرفها...).

في غمرة ذلك كله ومع انتشار ادعاء ظالم يقول: إن الإسلام لا ينصف المرأة، وإنه لا يساويها بالرجل .. ومن خلال هذه الظلمة في التفكير الإنساني، لابد أن تشمخ كلمات وتربية عملية سامقة كانت، وما تزال في أعلى الأعالي من السمو البشري والعلو المنهجي العملي للتربية النبوية، التي تعطي المرأة كل ما لها من حق لا يخرجها من مهمتها الفطرية الأساسية في الحياة الدنيا، كما ينقذها ويسعدها في آخرتها ومآلها.

وإننا سوف نعرض أمام الأعين، وفي ضوء النهار، وعلى جناح البيان الغامر الذي يتشذى عطراً وإنسانية ورحمة من أعطاف رسول الهدى والرحمة حبيبنا محمد ابن عبد الله ﷺ صورة فذة من صور إنصاف المرأة في الإسلام، حيث عميت كثير من الأبصار عن رؤية هذه الحقيقة الناصعة:

جاء في صحيح البخاري الحديث الآتي: (جرى بين النبي – ﷺ– وبين أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كلام، حتى دخل أبو بكر رضي الله عنه حكماً بينهما، فقال ﷺ: تكلمي أو أتكلم فقالت: تكلم أنت ولا تقل إلا حقاً، فلطمها أبو بكر رضي الله عنه، حتى أدمى فاها وقال: أوَ يقول غير الحق يا عدوة نفسها؟! فاستجارت برسول الله ﷺ، وقعدت خلف ظهره فقال النبي: (إنا لم ندعك لهذا ولم نُرد منك هذا). حقاً .. إنه الهدي النبوي الشريف الذي لا تدانيه أية تربية في التعامل مع المرأة.

يا من تتلبسون هذه الأيام برداء حرية المرأة ومساواتها بالرجل أرأيتم

كيف تكون معاملة المرأة على أرض الواقع ...؟ أرأيتم هذا التواضع وممن..؟ من نبي هو خاتم الأنبياء وسيدهم ﷺ.إنه يضع نفسه في مستوى واحد مع زوجه، فيتحاكم في خلاف حدث بينه وبينها إلى أبيها، ويرضى أن يكون الحكم أباها،وهو من هو قرباً لها وتعاطفاً، ومع ذلك فإن هذا الأب الوقور المحترم، الذي يأبى أن تتكلم ابنته بهذه الصراحة مع زوجها الرسول ﷺ، فيلطمها، لا يجد من الزوج العظيم تشفياً بزوجه بسبب موقف أبيها، كما يحدث لكل منا نحن الذين ابتعدنا عن النبع الأصيل في كل شيء .. بل على العكس من ذلك، فإننا وجدنا الزوجة رضي الله عنها لمعرفتها برحمة زوجها وإنصافه، الذي لا يستطيع أحد أن يصل إليه إلا الأفذاذ، تلتجئ إلى الزوج، حيث يقوم عليه الصلاة والسلام بانتهار الصِّدِّيق رضي الله عنه بكلام فيه كل اللوم والانحياز إلى الزوجة. فليتعلم الرجال .. كل الرجال؛ غربيين وشرقيين من تلك القمة السامقة التي اعتلاها خلق رسول الله ﷺ، فكانت شرعاً وقدوة ونبراساً، يضيء ظلام الحلَك في شتى العصور، وعلى مساحات الوجود والعوالم.

د- وتربية قرآنية عالية:

وكذلك فليتعلم الناس كلهم من سيرة رسولنا وحبيبنا محمد ﷺ، ففيها ما يشفي الصدور، ويحكم السلوك، ويهدي السارين في ظلمات الحياة، ويدلّ الباحثين عن الحقيقة على مبتغاها ونقائها، وما فيه سداد الرأي، وعزّ الإنسان .. هذا إذا أردنا أن نرى ونسمع بأمّ أعيننا الشأن الأعلى في قضية تنظيم العلاقة بين المرأة والرجل، وفي قضية تكريم المرأة وإعلاء شأنها، بعد أن كانت في جاهلية العرب "ليست شيئاً" كما قال عمر رضي الله عنه، وهي أقلّ من ذلك في جاهليات الأمم الأخرى، التي كان بعضها يشك في إنسانيتها، وبعضها الآخر يعدُّها شيئاً من الأشياء، تنتقل ملكيته بالبيع والشراء.....

ولنقرأ مطلع سورة "المجادلة" ولنتعظ، ولنتدبر رعاية الله وتدبيره، وصنع الجماعة المسلمة على عينه وبتوجيهه الكريم، حيث لا ينسى ربُّ العزة حادثة مهما صغرت إلا وأنزل فيها القول الفصل على رسوله ﷺ:

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ **سورة المجادلة، الآية (١).**

ولنستمع إلى تفاصيل قصة المرأة الشاكية زوجها للرسول ﷺ قال الإمام أحمد (رضي الله عنه): حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش عن تميم بن سلمة عن عروة عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادِلة إلى النبي ﷺ تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل الله عز وجلّ ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾... وأخرجه النسائي وابن ماجة وابن أبي حاتم وابن جرير من غير وجه عن

الأعمش به)[١] ... وفي رواية لابن أبي حاتم عن الأعمش عن تميم بن سلمة عن عروة عن عائشة أنها قالت: تبارك الذي أوعى سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام (خولة بنت ثعلبة)، ويخفى عليّ بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ، وهي تقول: يا رسول الله: أكل مالي، وأفنى شبابي، ونثرتُ له بطني، حتى إذ كبرت سني، وانقطع ولدي ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، قالت: فما بَرِحَتْ حتى نزل جبريل بهذه الآية: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾[٢].

وتتمة للقصة نثبت هنا رواية ابن أبي حاتم عن أبيه عن موسى بن إسماعيل أبو سلمة، عن جرير بن أبي حازم قال: سمعت أبا يزيد يحدث، قال: لَقِيَتْ امرأةٌ عُمَر رضي الله عنه يقال لها (خولة بنت ثعلبة)، وهو يسير مع الناس فاستوقفته، فوقف لها ودنا منها، وأصغى إليها رأسه، ووضع يديه على منكبيها، حتى قضت حاجتها، وانصرفت، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين حبست رجالات قريش على هذه العجوز! قال ويحك وتدري مَنْ هذه؟ قال: لا. قال: هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات، هذه خولة بنت ثعلبة، والله لو لم تنصرف عني إلى الليل ما انصرفت عنها، حتى تقضي حاجتها إلا أن تحضر صلاة فأصليها ثم أرجع إليها حتى تقضي حاجتها)) [٣].

وقد قالت عائشة: وزوج خولة هو أوس بن الصامت، وكان امرءاً به

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير/المجلد السادس، ط أولى /دار الأندلس بيروت لبنان ١٩٦٦م /١٣٨٥هـ /ص٥٧٢.
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير/المجلد السادس، ط أولى /دار الأندلس بيروت لبنان ١٩٦٦م /١٣٨٥هـ /ص٥٧٢.
(٣) المصدر السابق، ص٥٧٣.

لمم ..

وإنه لأمر جلل أن يستمع رب العالمين إلى صوت امرأة تشتكي زوجها وتصرفه غير اللائق بإنسانية هذه المرأة وحقها، وإنه لأمر يستحق منا الوقوف طويلاً أمامه، حين تتحاور المرأة مع رسول الأمة وتجادله ليجد لها حلاً، تحصل بموجبه على حقوقها الأسرية وإنصافها من رجلٍ هو ابن عمها، اعتدى على وضعها وصفتها وحقها، ثم إنه لأمر يبعث بالإعجاب والتعجب، وهو رسولٌ إلى كل امرأة ألا تسكت عن حق شرعه الله لها، وإلى كل رجل ليكون وقافاً على الحق بشأن المرأة وما شرعه الله ورسوله لها. وهنا يحق لأي كان أن يتساءل، كيف أن رب العزة يصغي إلى شكاية من امرأة ضعيفة مهضومة الحق، فينزل أمره من السماء على رسوله أمين الأرض، قبل أن تقوم المرأة من مكانها.

وإذن فهي قصة لا يمكن إلا أن توحي لك أخي الإنسان بما يلي:

١- إن الله حاضر معك أيها الإنسان ((يسمع ويرى))، وهو مع ذلك مدبر هذا الكون، ومُسيّره إلى مصيره، فلا تظنن أن الله غافلٌ عما يعمل الظالمون في هذه الأرض، بل هو معكم أينما كنتم يرعاكم ويهديكم سبل الرشاد. وفي قصة خولة مصداق هذا، إذ لم يكن الرسول ﷺ وعائشة رضي الله عنها وخولة وحدهم، بل كان الله معهم، يسمع قول خولة وجواب رسول الله لها حين قال لها ((ما أظنك إلا أنك قد حرمت عليه))، مما اضطر خولة إلى أن تشرح وضعها، وترفع شكاتها إلى الله، الحاضر السميع البصير، الذي لا يُظلم في

ملكه أحد.

٢- إن المرأة كريمة مكرمة في دين الله، المنزلة آياته على محمد بن عبد الله ﷺ، فخولة بنت ثعلبة المرأة العادية من الأمة، التي لا جاه ولا ظهر ولا غنى لها، يسمع رب الأكوان نقاشها مع رسوله، ويصغي لبلاغتها وحسن عرضها قضيتها أمامه، وهو ما يدل على فصاحة المرأة، وأنها تعي قضيتها تماماً وتحسن شرحها، فيستجيب الله لندائها فوراً، فيرسل أمين السماء إلى أمين الأرض بحكم يرفع به الظلم عن امرأة من عامة الناس، ويرسي حكماً تحتكم إليه نساء العالم ورجاله حتى يرث الله الأرض ومن عليها وما عليها، إذ كانت مرافعة تلك المرأة (خولة) سبباً في إنصاف النساء، وسبباً في إحقاق الحق العام الذي يجب أن ينصت له الرجل.

٣- ومن معاني الإكرام للمرأة في هذه القصة وإحقاق حقها، والتمكين لها لدى المجتمع، ولدى الرجال بصورة خاصة حرص هذه المرأة على زوجها، وعلى الاستماع لرسول الله ﷺ بأن تعتني به وتراعيه وتصبر عليه، إذ قالت للرسول: وأنا أعينه في تدبير الكفارة عن الظهار الذي أشهره في وجهها، عندما قال لها: أنت عليّ كظهر أمي. إن حرصها ذلك هو كرامة وإكرام لها، خصوصاً عندما حضر جبريل تواً، يحمل قول الله الحق: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ إلى أن حدد ربنا الحكم في وضع هذه المرأة ووضع كل ما يحدث مشابهاً لهذا الذي حدث لها، وذلك بقول الله جلّت

قدرتـه وَعَلَت معانيـه وكلماتـه: ﴿ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1].

٤- وإن من معاني التكريم والكرامة للمرأة في ديننا الحنيف: أن الطاعة المطلوبة من المرأة للرجل (رئيس الأسرة)، هي الطاعة المبصرة، التـي لا تخلُّ بـالمعروف من أمر الله وسنة رسوله، ففي تمام قصة خولة مع زوجها أوس بن الصامت، أخي عبادة بن الصامت، جاء امتناعها منه حين راودها عن نفسها بعد الظهار قائلة له: لا والله حتى نرجع إلى الله ورسوله. وإذن فهي عندما تكون متوقفة عند الذي شرع لها من حق، لا تكون عبدة إلا لله، وهي في طاعتها لزوجها نزولاً على أمر الله ورسوله تكون حرة كريمة، مستجيبة لعهدها مع الله، ليس غيره .. فهل أدركنا هذه المعاني التربوية القرآنية في إكرام المرأة ورفع شأنها...؟

---

(١) المجادلة (٢ ، ٣، ٤).

هـ- ما العمل

ما العمل ..؟ أليس في كل ما كتب في الموضوع غَنَاءٌ حتى هذا الحين؟ أما قطعت كلماتهم جهيزة كل مبير مغترب؟ ولكن دعونا نعطي من وقتنا لحظة، نستمع فيها إلى قول هو عز الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾[1] إن في هذه الكلمات الغاليات ما يوافق البركات في الرأي والعمل، فيها سدٌّ لباب الجهالة، وحرث قاضٍ على ممالآت الصغار.

١- وإذن فالعمل يبدأ من هنا، من عند الإيمان بأن القرآن الكريم، كتاب الله العظيم الذي فيه الشفاء ويحوز الكمال، وهو الذي يصف الدواء، بعد أن يشخص الداء، وتشخيصه للداء هو الحق الذي يمحق الظلم، وإن أكبر وأعظم الظلم هو الإعراض عن الذكر والوصول بالناس إلى حال قال عنه الرسول ﷺ: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾[2]، فلما اتخذوه مهجوراً، وذهبوا يتلمسون من فتات موائد الآخرين ما يديرون به حياتهم وعلاقاتهم، كان ذلك لهم زيادة في الأحزان والخسران؛ إذ خرجوا من رحمة الله، ودخلوا في تخرصات البشر الهاربة من الحق، الساقطة في برك الفكر الآسنة؛ التي ثبت خسرانها وبوارها في ميدان فرسانها، إذ طوّحت بهم إلى حالٍ من الفوضى لا نهاية لها إلا بالعودة إلى فطرة الله التي فطر الناس عليها.. وهيهات

(١) الإسراء (٨٢).
(٢) الفرقان (٣٠).

هيهات أن تؤوب القافلة التي يقودها الكِبر المتعَمِّد بمياه زعيمهم إبليس، حين قال: ﴿ ...أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾[1] ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[2].

٢- إن العمل يبدأ بالعودة إلى كتاب الله سبحانه جلت قدرته وسنة رسول الله ﷺ تلاوة وفهماً وتدبراً وعملاً بهما، فذلك كله يدلنا على الحق ويهدينا إلى سبل الرشاد، فيما نبتغيه من نهوض بالرجل والمرأة، فهما كليهما يحتاجان لعون الله، والإنقاذ من براثن الشيطان الوسواس الخناس.

وقد ذهب إلى هذا المذهب،ما كتبه بإنصاف بعض المفكرين- مسلمين وغير مسلمين- ومن ذلك ما قاله المستشرق "جب"، ((فالإسلام هو أول من أقرّ المساواة بين الناس ... فليس هناك فرق بين رجل وآخر ولا بين رجل وامرأة))[3].

٣- ومع هذه المساواة في الإنسانية والتكاليف والجزاء والعديد من المهمات الأسرية والمجتمعية والسياسية، فقد جعل الإسلام من العدل أن يكون هناك تفريق في التعامل مع الرجل والمرأة بحسب ما أُهِّل له كلٌ منهما جسمياً ونفسياً، وفي ذلك التفريق كانت قمة العدل .. إذ بدونه يكون التكليف خارج قوانين العدالة؛ حين يكلف امرؤ - رجلاً كان أو امرأة -

(١) الأعراف (١١)
(٢) محمد (٢٤).
(٣) من كتاب "حينما يكون الإسلام" .. منقول من كتاب ((دور المرأة في المجتمع الإسلامي)) لتوفيق على وهبة ص ٣٥ – منشورات دار اللواء /السعودية .. وأثبتته مجلة اللواء الأردنية ٢٠٠٥/٢/٩.

تكاليف ومهمات لم يُهيأ لها جسدياً ونفسياً وعاطفياً .. إنه ظلم، وأي ظلم ..! أن لا ينظر إلى تلك الفوارق، وتلك الزوجية في المهمات والطاقات. وذلك الظلم هو ما أشارت إليه اتجاهات الأمم المتحدة في مؤتمر بكين ١٩٩٥ وما قبله من مؤتمرات عُقدت حول المرأة والأسرة، إذ جاء في بند مقرراته رقم / (١٨٠) قول المؤتمر: ((إننا ننادي بعدم حصر الأدوار بين النساء والرجال داخل الأسرة في قوالب نمطية على أساس نوع الجنس)). والذي يقرأ مقررات المؤتمر جميعها، يصل إلى نتيجة مؤكدة تقول: إن التوجه العام فيه هو توجه إلى فرض النظرة المنحرفة للأسرة والعلاقة غير السديدة بين مكوني الإنسان / الرجل والمرأة/ ، وذلك حين أشار كثير من البنود إلى تعداد أنواع الأسر والاعتراف بالشذوذ والزواج المثلي، والعلاقة الفردية بين الذكر والأنثى خارج مؤسسة الزواج والأسرة، وذلك بقولهم في تعداد أنواع الأسر: الأسرة النمطية المتعارف عليها، والأنماط الجديدة من الجنس الواحد (الزواج المثلي)، والعلاقة الزوجية بدون عقد زواج أي (الزنى). وقد طالب المؤتمر الدولي برعاية كل ذلك الشذوذ وحماية حقوق أهله..!!

٤- ولقد ندد مجتمع البحوث الإسلامية في الأزهر بما جاء في مقررات ذلك المؤتمر، فيما يتعلق بالأسرة قائلاً: ((إن برنامج المؤتمر يعتبر المفهوم الديني للأسرة مفهوماً عقيماً، ... وإن واضعي البرنامج لم يقنعوا بالوقوف عند حدّ التشكيك بالأسرة باعتبارها الوحدة الأساسية للمجتمع،ولكنهم نادوا بجرأة فاحشة بأن مفهوم الأسرة بالمعنى الذي يقره

الدين ليس إلا مفهوماً عقيماً، لأنه لا يتقبل العلاقة الجنسية الحرّة بين مختلف الأعمار، ويشترط أن يكون بين ذكر وأنثى فقط، وفي داخل الإطار الشرعي، ولأنه لا يمنح الشواذ حقهم في تكوين أسر من بينهم، ويتمسك بالأدوار النمطية الأبوة والأمومة والزوجية)) [1] لاحظ وصف ((النمطية))!!

٥- وإنه لشيء كارثي ذلك الذي يترتب على هذا التوجه الداعية له مؤتمرات الأمم المتحدة بشأن المرأة والأسرة والرجل، بحيث تحدث مصادمة غبية نكدة للفطرة البشرية السوية التي فطر الله عليها الآدميين، وهي تلك المصادمة المفضية إلى الفوضى في بناء العلاقة بين الرجل والمرأة وإلى إقامة بنيان الأسرة على أساسات من نبذ مساواة التكافل والتفاهم والانسجام، وفتح الباب على مصراعيه لفكر التطاحن والصراع بين الجنسين،والدعوة إلى حرية جنسية تضيع من خلالها كل حقوق للمرأة وكل كرامة لها، كما تضيع بسببها قيمة الرجل وكرامته وأخلاقه وحتى رجولته .. فإلى أي حتف تسيرون أيها الخبثاء البلهاء..؟! أفلا تتفكرون؟ فتؤوبون إلى الدين وما ارتضاه للعباد رب العباد من مسيرٍ موزون مأمون نظيف، تقوده من أرجائه كلمات الله العظيمة، المبتغية خير الإنسان وخير مجتمعاته ..أم أنكم قد خبث في نفوسكم وقلوبكم وعقولكم نوازع الخير والهداية، فرحتم تسوّقون مثل تلك الأفكار

---

(١) نقلاً من مجلة الأزهر، السنة (٦٨) عدد أيلول (سبتمبر) ١٩٩٥الصفحة ٤٤٦، وأثبتته مجلة اللواء /٢٠٠٥/٤/١٣ ص ٢٨/من مقال للدكتورة نوال أبو شرار.

التـي يشكو منهـا النـاس فـي الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، حيـث شـكت مؤسسة "كـارنيجي" قائلـة: (إن ١٣ مليـون طفل أمريكـي دون الثالثـة مـن العمـر مُعرّضـون لمتاعـب وأضـرار مـن المـرجح أن تلازمهـم مـا بقـوا أحيـاء) [١] وذلـك طبعـاً بسبب الفوضـى الجنسية والـولادة خـارج مؤسسـة الزواج والأسرة وهـو مـا دعـا إلـى ترويـع المسؤولين الأمـريكيين وقلقهـم الشديد..؛ ((إذ اتهم الرئيس الأمريكي (نيكسون) هوليـود بتدمير المجتمـع الأمريكي، من خلال ما تنتجـه من مـادة إعلاميـة تـدعو للإباحيـة. وكـذلك ممـا اضـطر الـرئيس "كلينتـون" أن يجتمـع مـع (٤٠٠) سـينمائي مـن هوليـود، والتمـاس الرحمـة مـنهم بـالمجتمع الأمريكـي، وذلـك بـالكفّ عـن إنتـاج الأفـلام الإباحيـة)) [٢] وتجـاه هـذا القلـق، تصـرُّ مـؤتمرات الأمـم المتحدة على إفسـاد الكـون، النـاتج عن التصـادم مع إرادة الخـالق البـارئ المصور، العـالم بمـا يُصلح هذا الكـون ويسير بـه آمنـاً، غير عـابئين بمـا يؤدي إليه هذا التصادم من الكوارث المجتمعيـة والسياسية والاقتصـادية، ومـا تكرّسـه فـي العلاقـات مـن صـراع وكراهيـة وفوضـى باسـم الحريـة والحقـوق والمسـاواة. وفـي واقـع توجهـاتهم خـرق للحريـة الحقيقيـة الموزونـة، وإلغـاء للمسـاواة السديدة، وهضـم لحقـوق المـرأة وكرامتهـا، واعتـداء علـى المجتمعـات الإنسـانية، بمـا تحدثـه مـن انفـلات لا يحسـب

(١) من مجلة اللواء الأردنية عدد ٢٠٠٥/١/٢٦ ص٢٦ من مقال للدكتورة نوال أسعد شرار ص٢٦، بتصرف قليل.

(٢) من مجلة اللواء الأردنية عدد ٢٠٠٥/١/٢٦ ص٢٦ من مقال للدكتورة نوال أسعد شرار ص٢٦، بتصرف قليل.

حساباً لتنظيم أو أخلاق أو أديان أو فطرة سليمة قويمة فطرها رب العزة في التكوين إذ قال جلت حكمته: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[١]، فبعبادته جلّ وعلا وطاعته تنجلي لكم آيات الحق، وينهزم باطل الشياطين، وبهما تتقون شرهم وشر أفكارهم العمياء التي يدعونكم إليها .. أيها المسلمون .. أيها الناس .. فأرزوا إلى مراد الله الذي أراد لكم منه طيب الحياة وأمنها ونظافتها ونظامها والحبّ بينكم الذي استودعته فِطَركم يوم نثر ذراريكم في ظهوركم .. فهو الموحي لرسوله ﷺ بالقول: ((النساء شقائق الرجال)) [٢].. ليقول لكم إن المرأة شقيقة رفيقة شريكة مساوية في الإنسانية والتكليف والجزاء، متكاملة مع الرجل في المهمات والأدوار، من دون خرافات الخبثاء الذين يريدونها عوجاً، بفرض المساواة التامة الظالمة، التي تضع الأمور في غير نصابها، وتكلف كلاً من المرأة والرجل مالا يطيقان، وهم يريدون من ذلك إفساد المرأة وإهانتها وظلمها، لا إنصافها والعدل بشأنها .. فالعدل كل العدل كامن في قول الله سبحانه: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾[٣] وفي قوله جلت قدرته وعلمه: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) البقرة (٢١).
(٢) أخرجه أحمد وأبو داوود والدارمي والترمذي وهو حسن.
(٣) آل عمران (١٩٥).

﴿ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴾[1] فالله العالم بما خلق يقول: إنهما دوران ومهمتان؛ للرجل مهمة ودور وللمرأة مهمة ودور، وهما متكاملان لا متصارعان، كي تقوم الحياة سديدة رشيدة آمنة طيبة نظيفة .. يكسب فيها الرجل وتكسب فيها المرأة، وهو كسب في ظل الرؤية القرآنية التي أعطت كل ذي حق حقه .. وأخيراً الله اسأل أن يهدي الناس إلى الحق ليثبتوا عليه فتقوم مجتمعاتهم على أساس من الحب والكرامة والمساواة التي أرادها الله لهم، فلا يهبط ميزانهم وكفتهم عما أراده الله من خير عميم لهذا الكون...

وصلى الله على سيدنا ونبينا وحبيبنا وقدوتنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه إلى يوم الدين... وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. فالحمد لله الذي مّن علينا باتباع دين الإسلام وهديه الأعلى والأغلى، إذ قال جلّ من قائل: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾[2].

---

(١) النساء (٣٢).
(٢) الحجرات (١٧).

الفهرس